المجلة العربية

مجلة الثقافة العربية

472



دراما الأتراك.. العودة على بساط الرومانسية

الملك المؤسس في سجلات الرحالة المغاربة

ثورات الربيع العربي أضرت بالأوطان والثقافة

نجران

أخدود الأدب والتاريخ والثقافة



دأبت المجلة العربية على إهداء قرائها كتيباً مرفقاً مع العدد في مختلف العلوم والفنون، في التراث والآداب والتاريخ والموضوعات ذات الطابع العلمي والثقافي.

المجلة العربية

نجران الثقافية

يُطالع القارئ لهذا العدد تحقيقاً عن "نجران الثقافية"، المدينة ذات العراقة والإرث الحضاري الممتد على مدى قرون، وهي المدينة السعودية التي تمثل حصناً وسداً ثقافياً وحضارياً منيعاً في أقصى جنوب المملكة العربية السعودية.

يأتي هذا الملف إيماناً من "المجلة العربية" بما تتوافر عليه هذه المدينة أو الواحة الجميلة من عمق حضاري وأثر تاريخي وشاهد آثاري عظيم، وبما تتمتع به اليوم من قدرات وكفايات ثقافية وأدبية وإبداعية، كان لها نصيبها وحضورها الوهّاج في المشهد الثقافي السعودي، وهي قدرات تستوجب تسليط الضوء عليها وتقديمها للقارئ العربي في كل مكان.

تنقل "المجلة العربية" شيئاً من "ثقافة نجران" وآدابها وفنونها، وسحرها وجمالها، إلى قرائها في العالم العربي وخارجه، ليطلعوا على شيء من ملامح تلك الحضارة، الممتدة والمتوالدة عبر قرون طويلة، نمت وازدهرت بين تلك الجبال الشامخة وفي بطون الأودية والسهول، وهو تحقيق لايلمُ – بطبيعة الحال- بنجران وتاريخها العتيق، ولا يُحيطُ بآثارها وتراثها وأهازيجها وحاضر تاريخها وثقافتها، إنما هي إطلالة سريعة ومحطة للتأمل من على شمِّ جبالها، الصامدة والحامية.

***

وفي "المجلة العربية" نستعد حالياً للاحتفال بمرور أربعين عاماً على تأسيس المجلة، وهو احتفال تأخر نوعاً ما، لظروف خاصة، وستكون باكورة هذا الاحتفال ستة إصدارات يُطالع القارئ لهذا العدد أغلفتها، وهي كُتب أعدها الزملاء في "المجلة العربية" ضمّت مختارات مما نشرته "المجلة العربية" على صفحاتها عبر أربعين عاماً، وستتنوع الكُتب على مجالات: القصائد، والقصة القصيرة، والحوارات، واستطلاعات المدن، والدراسات الأدبية، وتحقيقات ومقالات "الإعلام" في المجلة العربية. وسيجد القارئ لهذه الكُتب نوادر وشوارد، وسيُحيط بشيء من تاريخ المجلة العربية، وسيكون على اطلاع بأسماء أعلام ومشاهير من المملكة العربية السعودية، ومن العالم العربي ومن عرب المهجر شاركوا في صفحات "المجلة العربية"، كل حسب تخصّصه واهتمامه، وستكون هذه المؤلفات وما يتلوها من كُتب أخرى وثيقة تاريخية شاهدة على المنجز الثقافي والأدبي الذي قدمته "المجلة العربية" والذي بناه ووضع أولى لبناته وتعهده بالرعاية والاهتمام الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، رحمه الله، بإدارة ورؤية عصرية أنجزها الدكتور منير العجلاني، أول رئيس تحرير لهذه المجلة، ومن تبعه من الزملاء، رؤساء تحرير ومحررين وإداريين وفنيين، كانوا جميعهم خلف هذا المنجز الثقافي، الذي حقق ريادة وحضوراً قوياً بين أعمال ومجلات ثقافية عربية أخرى.

محمد السيف

المجلة العربية

العـــدد

472

جمادى الأولى 1437هـ | فبراير 2016 م

www.arabicmagazine.com

لمراسلة المجلة على الإنترنت

info@arabicmagazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)- شارع المنفلوطي

تليفون: 966-11-4767345 966-11-4777943

فاكس: 966-11-4766464

ص.ب 5973 الرياض 11432

صفحة المجلة العربية على facebook

@arabic_mag

arabic_mag

امتياز التوزيع



هاتف مباشر: 4871389 | هاتف: 4871414 فاكس: 4871460 | تلكس: 406725

كوندس إس جي | ص.ب: 84540 - الرياض 11671

الرياض	4871414	الباحة	7251869	الدمام	8112222
الزلفي	4222343	القصيم	3821942	القريات	6424512
أبها	2245984	الدوادمي	6423365	الطائف	7327711
الحوطة	5550777	المدينة	8361332	حفر الباطن	7222100
حائل	5323231	الجوف	6246733	تبوك	4230096
بيشة	6223073	مكة	5377730	جازان	3170381
جدة	6390333	ينبع	3223679	الأحساء	5922381
الخرج	5484020	نجران	5322654	عرعر	6625741

عبدالرحمن بن سليمان الرويشد

مؤرخ وباحث سعودي، لقب بـ«مؤرخ الدولة السعودية». ولد في الرياض 1347 ودرس اللغة العربية والشريعة، ونال شهادتيهما معاً عام 1377، عمل مستشاراً لدارة الملك عبدالعزيز، أسس مجلة الشبل، حصل على «جائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز لدراسات تاريخ الجزيرة العربية»، ووسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى. من مؤلفاته: الجذور الأصيلة للتعليم في وسط الجزيرة العربية، والرياض في مئة عام، والستون رجلاً خالدو الذكر، وقصر الحكم في مدينة الرياض، وإمارات اليمامة من حكم الفوضى حتى قيام الدولة السعودية.









كتاب العدد

أحمد مشاري العدواني، شاعر كويتي، كتب النشيد الوطني لدولة الكويت. وقاد من خلال أعماله مشروعات إبداعية وتنويرية، تستحق أن يقف عندها الجيل الجديد، وفاءً له، وتخليداً لاسمه.

هذا الكتاب هو بمثابة ومضات من مسيرته لخمسة عقود. يسلط الضوء على ما قدمه الشاعر الكبير لوطنه، وعلى إبداعه الشعري ومشروعه التنويري.

سعر العدد

السعودية 10 ريالات | الكويت دينار واحد | الإمارات 10 دراهم | قطر 10 ريالات | البحرين دينار واحد | عمان 800 بيسة | مصر 3 جنيهات | ليبيا 400 [illegible]

تونس ديناران | الجزائر 2 يورو | المغرب 10 دراهم | موريتانيا 40 أوقية | السودان 300 قرش | الصومال 100 شلن | سوريا 200 ليرة | لبنان 4000 ليرة

الأردن دينار ونصف | اليمن 100 ريال | بريطانيا 4 يورو | الاتحاد الأوروبي 4 يورو | أمريكا 4 دولار | كندا 4 دولار | أستراليا 4 دولار

الاشـــتراك الســـــنوي: سعر الاشتراك الفردي (140) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها سعر الاشتراك الحكومي (400) ريال سعودي.

بورتريه العدد : بريشة رضوان الرياحي



142

الظاهري.. شخصية العام الثقافية

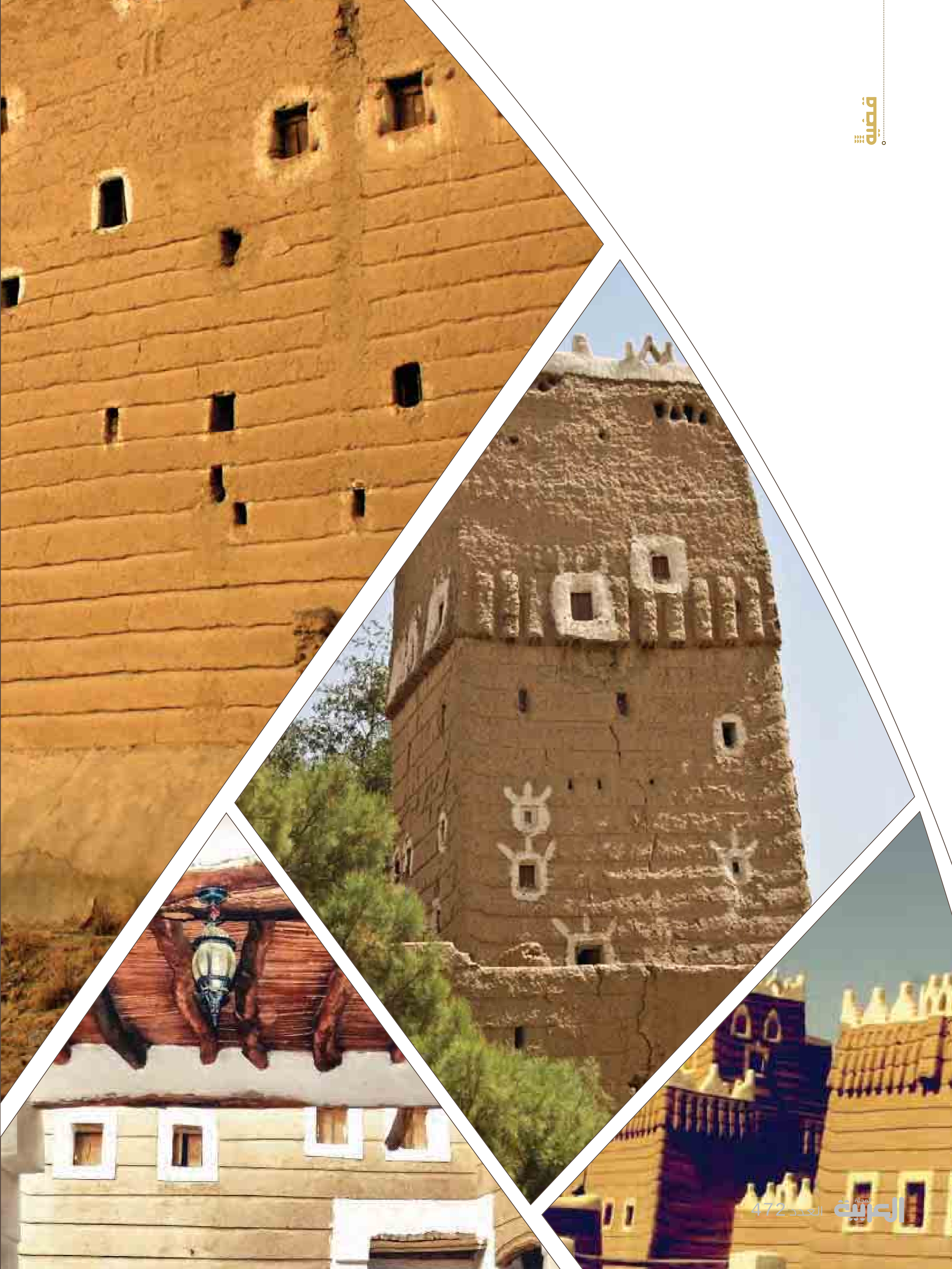
الإبداع

وكلاء توزيع المجلة العربية

مؤسسة الهلال للتوزيع - البحرين 0097317534559 | شركة الإمارات للتوزيع - الإمارات 0097143916501 | دار الشرق للتوزيع - قطر 009744557810 | مؤسسة العطاء للتوزيع - سلطنة عمان 0096824492936 | المجموعة الإعلامية العالمية - الكويت 009654826820 | الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة - المغرب «الدار البيضاء» 341622/341621 مؤسسة الأهرام - مصر «القاهرة» 002025786100 | الشركة التونسية للصحافة - تونس: فاكس 332499 - 343004 | المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - سوريا «دمشق» 223772 الدار العربية للنشر والتوزيع - اليمن «صنعاء» **فاكس:** 331797 **جوال:** 00967711523996 | وكالة التوزيع الأردنية أرامكس ميديا - الأردن 0096265358855

رقم الإيداع 15/1881 ردمك ISSN: 101103460

خارج المملكة (250) ريالاً (أو ما يعادلها) للهيئات (120) ريالاً (أو ما يعادلها) للأفراد.





عراقة الثقافة

المجلة العربية: نجران

للمكان والإنسان دور في تعدد الروافد الثقافية والحضارية. نجران، تلك المدينة الساحرة التي تقع في جنوب مملكتنا الغالية، والتي احتضنت العديد من الملهمين والمبدعين على مر العصور من الشعراء والأدباء والحكماء، كاستشهاد نبي الهدى صلى الله عليه وسلم بجدنا وخطيب العرب قس بن ساعدة، وحديثه عنه حين لقائه في سوق عكاظ.

وفي نجران يستلهم المثقف أنواعاً مختلفة من الثقافة بين الأدب والسرد والتاريخ والرسم والتصوير لتنتج فسيفساء متناغمة ومتجانسة مع ما ينتجه مثقفو الوطن بمختلف الميول والاتجاهات، ليكون الإبداع متوارثاً جيلاً بعد جيل.

ولعل روافد الثقافة في نجران تتمازج بين «الرسمي» ممثل في النادي الأدبي وجمعية الثقافة والفنون والملتقى الثقافي، ويرادفها الأعمال «الخاصة» للتصوير الضوئي والرسم.

أيضاً الفتاة النجرانية كانت ولا زالت تنثر الإبداع هنا وهناك في مختلف الميادين من الرسم إلى التصوير إلى السرد إلى مختلف الأجناس الأدبية.

نجران وحادثة محرقة الأخدود ولكم فيها آيات

د. حسين بن عايض آل حمد: نجران

قصة محرقة الأخدود واستشهاد المؤمنين بها حدثت أحداثها في نجران جنوب المملكة العربية السعودية في بداية القرن السادس الميلادي (524 ميلادي).

على الأرجح أنهم قوم آمنوا بالله العزيز الحميد، وفضلوا الشهادة وإحراقهم في الأخدود على التراجع عن إيمانهم بالله ، فاشتروا الآخرة بالأولى. قال تعالى في سورة البروج: (والسماء ذات البروج، واليوم الموعود، وشاهد ومشهود، قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد).

وأهل الأخدود المشار إليهم في الآيات الكريمة كانوا يقطنون نجران، وقد أشار إلى ذلك القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد»، وكان ذلك أثناء حكم الدولة الحميرية، وأشير هنا إلى أنه بسبب حادثة الأخدود هذه تم القضاء على الدولة الحميرية وسقوطها، كما سيأتي بيانه لاحقاً، وقد كانت نجران عند ذاك إحدى أهم حاضرات الدولة الحميرية التي تقام بها الأسواق، قال الشاعر الجاهلي:

إن تكونوا قد غبتم وحضرنا
ونزلنا أرضاً بها الأشواق
واضعاً في سراة نجران رحلي
ناعماً غير أنني مشتاق

عرفها اليونان والرومان كسوق تجاري على طريق القوافل التي تحمل عروض تجارة البخور والصموغ والتوابل والعقيق والأصباغ من اليمن بلاد العرب السعيدة وسائر مناطق الجزيرة وتعود إليها محملة بعروض فارس ومنسوجات وسيوف الشام ومنتجات الروم واليونان مارة بالحيرة ومن نجران تسلك طرقاً شتى.



كما بلغ من مكانة نجران أن بني بها كعبة زارها العرب أربعين عاماً، قال فيها الأعشى:

وكعبة نجران حتم عليك
حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح
وقيساً هُمُ خير أربابها

كما كانت تفض بها النزاعات، ومن أشهر حكامها أفعى نجران الجرهمي الذي احتكم إليه أبناء نزار، كل من مضر وربيعة وإياد وأنمار، الذين يعتبرون أجداداً لأكبر قبائل العرب الآن، والقصة معروفة وموثقة، وكذلك قس بن ساعدة الإيادي المتوفى قبيل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد امتدحه الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان على ما كان عليه أصحاب الأخدود من الإيمان والتوحيد وهو حكيم العرب وخطيبها، فهو أول من قال (البينة على المدعي واليمين على من أنكر) التي أصبحت إحدى قواعد القضاء الإسلامي فيما بعد، كان رحمه الله من الموحدين وليس من أصحاب التثليث، وقد شهد له الرسول بذلك.

وفي هذه الحقبة التاريخية المشار إليها سابقاً أثناء حكم الدولة الحميرية كان بنجران مدينة ضخمة مشيدة بالحجارة المقصبة ذات الأحجام الضخمة ومجهزة بالقلاع وأدوات الحرب وهي المدينة التي تم بها خد الأخاديد، حيث ظهر بين أهلها إذ ذاك رجل صالح يدعى «فيمنون» وكان يدين بالمسيحية الحقة التي جاء بها المسيح عليه السلام التي توحد الله عز وجل ولم يبقَ عليها إلا القليل من المسيحيين عند ذاك لكون الأغلبية قد خالفت ذلك النهج القويم وتثلثت في الشام والعراق ومصر وغيرها فأصبح ما يعتقد به الراهب «فيمنون» يخالف ما عليه القيصر ورهبان التثليث والعامة، ولذلك أصبح هو ومن على نهجه يتابعون ويخشون على أنفسهم ونهجهم، فخرج من الشام مكرهاً، وكان كلما عرف في بلد خرج منه حتى وصل إلى نجران فأقام بها، وكانت الدولة الحميرية تعتنق اليهودية، وكان البعض من أهل نجران يبعثون أولادهم إلى الساحر يعلمهم السحر وفيهم غلام اسمه عبدالله بن الثامر، فكان يمر على خيمة الرجل الصالح «فيمنون»، فأعجب بكلامه وعبادته فجعل يجلس إليه ويسمع منه ويطلع على أمور دينه وعلمه، وبدأ يعلمه أمور الدين حتى أتى إلى أسماء الله تعالى فطلبه أن يعلمه بالاسم الأعظم فامتنع وقال له إنك ستبتلى، فحاول عبدالله بن الثامر أن يعرف الاسم الأعظم بنفسه فقام بكتابة الأسماء كل اسم في لوح حتى أكملها ثم أضرم النار ثم قام برمي الألواح في النار فاحترقت الألواح إلا أحد الألواح وهو الذي كتب به الاسم الأعظم فعرفه، فروى ذلك للراهب فقال له: إنه قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك بهذا ستداوي الناس، فكان عبدالله بن الثامر يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأوباء، ويطلب مقابل ذلك الإيمان





بـالله، فسـمع بذلك جليس الحاكم وكان قد أصيب بالعمى، فأتـاه بهدايـا كثيـرة وقـال له: إن هـذه لك إن أنت شـفيتني، فقال: إني لا أشـفى أحداً، وإنما يشـفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فدخل دعوته الإيمانية فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الوالي: من رد إليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربـي وربـك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على عبدالله بن الثامر فأمر بإحضاره فجيء به فقال له الحاكم: أفسدت علـي أهـل نجـران وخالفت دينـي وديـن آبائـي. لأمثلن بك، لقد بلغ من سـحرك ما تبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل ما تفعل! قال: إني لا أشـفي أحداً إنما يشـفي الله تعالى. فأخذ يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضـع المنشـار في مفرق رأسـه فشقه حتى وقع شـقاه، ثم جيء بجليس الحاكم فقيل له: ارجع عن هذا الدين، فأبى، فوضـع المنشـار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بعبدالله بن ثامر فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به إلى الجبل فاصـعدوا بـه الجبل، فاذا بلغتم ذروته، فـإن رجـع عن دينـه وإلا فاطرحـوه، فذهبوا به وصـعدوا به لقمة الجبل، فلما بلغوا ذروته دعا ربه العزيز العليم عليهم، فرجف بهم الجبل، فسـقطوا وجاء يمشـي إلى الملك، فقال لـه الملـك: مـا فعل أصـحابك! فقـال: كفانيهـم الله تعالى، فدفعـه إلى نفر من أصـحابه فقال: اذهبـوا به فاحملوه في قـارب وعندمـا تتوسـطون به البحـر فإن رجع عـن دينه وإلا فاقذفـوه، فذهبـوا بـه وعنـد ذاك نـادى ربـه العزيـز العليم، فانكفـأ بهـم القارب فغرقوا وجاء يمشـي إلـى الحاكم، فقال له: ما فعل أصحابك! فقال: كفانيهم الله تعالى. واشتهر كل ما فعله الملك به لدى أهالي وادي نجران وماحولها، وسـار بذلـك الركبـان، فقـال ابـن ثامر للملـك: إنك لسـت بقاتلي حتـى تفعل ما آمرك به (لاحظ أيها القارئ الكريم قول ابن ثامـر للملك حتى تفعل ما آمرك به. أصبـح الفتى هو الذي يأمر الملك وهذا النص الذي ورد في حديث الرسـول صلى الله عليه وسلم) قال: الحاكم ما هو؟! قال: تجمع الناس في صـعيد واحد، وتصـلبني على جذع ثم خذ سـهماً من كنانتي ثم ضـع السـهم في كبد القوس وقل بسـم الله رب الغلام، ثم ارمنـي فإنـك إن فعلـت ذلـك قتلتني. ففعل الحاكـم ذلك ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع عبدالله بن الثامر يده على صـدغه في موقع السـهم فمات. فقال النـاس آمنّا بـرب الغلام ثلاث مرات. فقال للملك مستشاروه وخاصته: أرأيت مـا كنت تحـذر؟! قد وقع بك حذرك، قد آمـن الناس! فرفع الحاكم بالأمر إلى الملك الحميري «يوسف أسار» وكان يكنى بـ«ذي نواس»، وهو يهودي وكاره للمسيحية، فجيش الجيوش إلـى نجـران، ولمـا أصـر الناس علـى الإيمـان أمـر الملـك بالأخدود في أفواه «الطرق» فخدت الأخاديد وأضرمت فيها



النيـران، وقـال من لم يرجع عـن ذلك الديـن فارموه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة مع رضيع لها فتراجعت خشية على ولدها فنطق الرضيع وقال يا أماه اصبري فإنك على الحق، فكان أحد الثلاثة الناطقين في المهد، وعند سماعها لذلك مـن طفلهـا ألقت بنفسـها وبه فـي النار ونجوا من الضـعف والتقاعس.

هذه قصه الانتصار للحق وللإيمان. وقد ذكر أنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفر أحد الرجال نتوءاً فعثر فيـه صـدفة علـى جثمان عبـدالله بـن الثامر وهـو في نفس جلسته التي دفن بها وأصبعه على شجته، وأنه وجد بأصبعه خاتم منقوش عليه «ربي الله» وعلم عمر رضي الله عنه بذلك فأمـر أن يتركوه على حاله وجثته في المكان المعروف الآن باسـم «أبو ثامر»، وهـو بجوار آثار أهل الأخـدود الواقعة في مدينتهم الضـخمة ومعظمها عبارة عن حجارة مقصبة ذات أحجار ضـخمة، كمـا توجد بالمدينة نقوش وكتابات وبقايا فخـار أثـري وتوجـد بها مجموعة مـن الرحى الكبيـرة جداً التـى تسـتخدم فـي الطحـن، ومعصـرة ومهواة وبئـر مثمن الأضلاع مبني من الحجارة الضخمة.

وقـد نجـا البعض مـن هـذه المحرقـة البشـرية، وكان مـن جملتهـم «دوس بـن ثعلبان» الـذي ذهب للقاء القيصـر فـي الشـام وروى لـه مـا فعلـه ذو نواس الملـك الحميـري بالمسيحية والمسـيحيين فـي نجران، وطلب منـه الانتقام لهم، فأمر القيصـر نجاشـي الحبشة بذلك، فبعث النجاشي جيشاً بقيادة أرياط ويسـاعده أبرهـة الأشـرم، وقد قام ذلك الجيش بالانتقام لمحرقة أهل الأخدود وقضـى على الدولة الحميرية، وهذا ما تمت الإشارة إليه في بداية هذه الدراسة مـن محرقـة الأخـدود، وكانـت السـبب فـي القضـاء علـى الحميرييـن وسـقوط دولتهـم. وأبرهـة الأشـرم، هـذا الذي تولـى القيادة للجيش بعـد أرياط وكذا حكم اليمن، وهو من قـام بغـزو مكة محاولاً هدم الكعبة المشـرفة فأهلكه الله هو وجيشـه بالطيـر الأبابيـل ودحـر كيدهـم كما ذكر في سـورة الفيل بالقرآن الكريم. هذا والله الموفق.



آثار نجران والطوطمية

محمد هادي آل هتيلة: نجران

تعد الطوطمية «التعويذة» كما يطلق عليها البعض، ركيزة أساسية في حياة العرب قبل الإسلام، حيث لم نجد لهذا المصطلح إسهاباً في أدبيات التاريخ القديم، لكن وجد بعض الأحاديث المتناثرة هنا وهناك. والطوطم في قواميس اللغة هو: اسم لرمز مقدس لقبيلة ما.

ولعل البدايات الأُولى لذكر كلمة الطوطمية والطوطم في علم الأنثروبولوجيا يعود إلى ماك لينان عام 1870م، حيث أظهر بعض المستشرقين الغربيين اهتماماً بمعتقدات العرب قبل الإسلام مثل: سميث ودوير تسن وغوستاف لوبون وفيلها وزن.

وعادة ما تكون الطوطمية لحيوان أو نبات أو شيء تقدسه بعض الجماعات والقبائل، وذلك نتيجة لصلة روحانية أنشأها خيال تلك الجماعات فأصبحت ملازمة لها، كمعبود أو تعويذة لجلب الحماية والنصر، ولعل سكان نجران في فترات ما قبل الإسلام كانت لهم نفس المعتقدات، دلنا على ذلك بعض الآثار منها أثران سأتناولهما كما يلي:

أولاً: رأس الأسد الموجود في متحف الأخدود والمتحف الوطني والذي عثر عليه في مدينة الأخدود من قبل فلبي.

حيث أكد الباحثون أن يغوث يمثل الأسد وهو طوطم لقبيلة مذحج، حيث يحمل معهم في كل معاركهم وذلك لأمرين:

- يصدر صوتاً يشبه زئير الأسد وذلك من خلال دخول الهواء في فتحات وتجويف الرأس فيتم إنزال الرعب في نفوس الأعداء.

- يعمل على إيجاد دعم نفسي وروحي لأفراد الجماعة من خلال إيمانهم بدوره العقدي.

ثانياً: الحية وجدت على جدران مدينة الأخدود وفي مواقع صخرية شمال مدينة نجران، وكذلك ذكرها فرج الله ديب بأنها كانت تزين مداخل كنيسة نجران.

ولعل نفس المعتقد السابق ذكره في اعتقاد الارتباط الروحي والنفسي للحية بأنها رمز للخلود «حيث ربط الخلود بتبديل الحية لجلدها بين فتره وأخرى ما يؤكد على استمرار الحياة. وكان هذا المعتقد موجوداً في معظم الميثولوجيا العربية من حراسة الآبار والقبور والبيوت، وأعتقد أن هناك ارتباطاً بين هذا الأمر وحية «نحشتان».

ومهما يكون الأمر فإن الطوطمية كانت لدى العرب من الأمور الحياتية اليومية وذلك من خلال وجود رابط مشترك بين مجموعة من الناس ونوع محدد من الحيوانات والأشياء والظواهر.



نقش جداري لأشكال أفعوانية بمدينة الأخدود وهي امتداد لمعتقدات اليهود في الحية النحاسية «نحشتان» وهذه أيضاً صورة في حالة تزاوج

رأس الأسد الذي عثر عليه في مدينة الأخدود وهو يمثل طوطم لقبيلة مذحج





فاطمة آل تيسان: نجران

والقصد هنا ثقافياً وأدبياً رغم الثراء التاريخي الذي تشكل بفعل الأقوام والديانات التي قامت على أرضها والشخصيات الدينية والأدبية التي كان لها حضور في التجمعات الثقافية والمتمثلة في الأسواق كسوق «عكاظ، مجنة، ذي مجاز» والتي ربما كانت بمثابة المهرجانات الثقافية في عصرنا الحاضر، ولو أردنا استحضار الأماكن والشخصيات النجرانية التي يمكن أن تستغل سيرها كمادة أدبية فلن نستطيع إحصاءها، ويكفينا من ذكر الشخصيات خطيب العرب «القس بن ساعدة» الذي حضرت فصاحته بقوة في تاريخ الجزيرة العربية في عصر الجاهلية وبداية

نجران

لم تُقرأ بعد!!

عصر الإسلام. أما القصص والحكايا فسيرة أهل الأخدود ونضالهم الذي انتهى بمحرقة دوَّنها القرآن الكريم قبل أن يذكرها الرواة، هي وحدها كفيلة بميلاد العديد من الأعمال الأدبية، بل الملاحم الشعرية التي ستجد في سيرة المؤمنين ما يقفز بها إلى مصاف الأعمال الأدبية الخالدة. والأعمال الروائية هي الأخرى إن جعلت من ماضي هذه



المدينة مادة لها فستتفرد بطرح قوي بسبب تنوع الحياة وتعدد الأديان السماوية التي قامت على أرض نجران، فقد كانت اليهودية والمسيحية ثم الإسلام، وحتى بعد أن دخلت نجران في الإسلام بقي فيها بعض من قبائل الطائفة اليهودية الذين تعايشوا مع أهلها بسلام وحسن جوار حتى غادروا إلى اليمن، ورغم الذهاب إلا أنهم تركوا أساطير وحكايا فيها من الندرة والغرابة الشيء الكثير، وليس اليهود هم من أوجدوا لهم أساطير، بل إنسان المكان في تاريخه من المرويات والأساطير الشيء الكثير بعضها حول القبائل التي سكنت نجران قديماً، وكيف كانت قاماتهم التي تطال السماء إلا قليلاً وقوتهم التي لا تقهر، فأصبحوا بها أبطالاً يركبون أمواج السيل العارم فلا يغرقون ويحملون الصخور الضخمة فلا يتعبون، ونساؤهم كنَّ من القوة بحيث يشعلن المواقد في بطون الجبال بعد نحتها ويسابقن الريح في مواسم الحصاد هناك في أعالي وادي العرض يقطعون السنابل التي تنوء بحملها ثم يناولن المحصول أخريات في أسفل الوادي ليقمن بطحنه، كانت الشمس تغيب وتشرق في جباههن المشرعة للمطر، يبكين ويضحكن معها، يعلقن التمائم حول أعناق الصغار حتى لا يسرقهم البرق وهو يمد لهم السير في جداول الأودية التي ما تلبث أن تبتلع الأقدام وتغتال الخطى.

ورغم الموت وفاجعة الفقد إلا أن الحياة تطل ثانية بوجهها الماكر تطرق الفرح بأكف الأحزان على طبول البهجة وتغرق النشيد وسط الحناجر ليعلو غالباً نحيب الأمهات على جنبات الوادي وشهقات الصغار تلوح بالوداع مع مغيب الشفق وانبلاج القمر من رحم الليل البهيم، هكذا قالت الحكايا، وإن كذبت فبقايا الأمم البائدة من أوان فخارية وحلي تمزق أقدام العابرين بين الجبال وعبر الشعاب التي تضيق وتتسع من جبل مرون في غرب نجران إلى عمق الربع الخالي على مقربة من حاضرة قوم عاد، ونجران لم تكن حاضرة واحدة ومضت في السراب بل حضارات غادر جلها دون أن يمهل الرواة والمدونين الوقت لإيداع ما حفظته ذاكرتهم من نوادر وقصص رقاع الجلد أو ورق البردة.

لكن الآثار الباقية يمكن أن تلهم الجادين مسالك الطريق للبحث في ماضي المدينة واستخراج الدرر المدفونة بشرط أن تحضر الرغبة الملحة في البحث ويكون الدافع الأقوى الشغف بمعرفة الماضي وإنصاف الأقوام التي عمرت نجران ثم بادت ليأتي غيرهم ويكملوا الطريق إلى أن تراكم هذا الفيض من الآثار المهمة التي وضعت نجران في مصاف المدن التاريخية الضاربة في القدم.



نجران

من منظور ثقافي

عبدالله آل سدران: نجران

ما أن يتم التطرق إلى نجران إلا وتتجه الألسن فوراً إلى الإرث التاريخي والحضاري وامتدادات الماضي وعمقها مع القليل من المحسنات اللغوية عن التراث والعادات والتقاليد والقيم القبلية والإنسانية، ثم يقفز الحديث إلى جوانب التنمية التي شهدتها المنطقة في الحاضر، ونادراً ما نجد من يشير إلى الواقع الثقافي والفكري للإنسان في نجران.

ولعل ذلك يأتي من كون الساحة الثقافية والفكرية في نجران قد شهدت جموداً كاملاً وغياباً عن الخريطة ما عدا مجال الشعر النبطي أو الشعبي والذي يعتبر امتداداً لتكوين الإنسان منذ القدم وبعض الفنون والأنماط الشعبية والمحكيات والتي تعتبر أيضاً من ضمن التركيبة المجتمعية للمنطقة.

ما يعنيني هنا هو غياب النتاج الفكري والثقافي بمفهومه الحديث وما يصاحبه من حراك على مستوى البحث والتأليف والإبداع بمختلف أوجهه، وغياب الشخصية المثقفة المبدعة والمثابرة والمهتمة والتي يمكن قياس إنتاجها وأثرها على الساحة وفي المجتمع.

ومؤكد أن لذلك أسباباً جوهرية منها ما هو مرتبط بطبيعة المجتمع والإنسان في نجران ومنها وهو الأهم ما هو مرتبط بالجوانب التنموية في هذا المجال، مثل تأخر










التعليم في المنطقة وغياب المحفزات والحواضن التي تسهم في إثارة الاهتمام وخلق البيئات الملائمة والداعمة والموجهة والخالقة للقدوة.

ولنا أن نعلم أن الجوانب الثقافية والفكرية كانت مغيبة عن أي اهتمام من الجهات الحكومية المختصة، ولنا أن نعلم أن نجران لم تشهد أي إنجاز في هذا المجال إلا في بحر العشر سنوات الأخيرة فقط والتي تم فيها تأسيس نادٍ أدبي وفرع لجمعية الثقافة والفنون وإنشاء جامعة نجران، رغم أن أغلب مناطق المملكة قد سبقت نجران بعشرات السنين.

ولأن الإنسان في نجران خلاق بطبيعته ومتقبل بل ومتحفز للانخراط في هكذا مجال إبداعي، فقد شهدت هذه السنوات العشر الأخيرة قفزة وحراكاً غير مسبوق في المنطقة على المستوى الثقافي والفكري، فظهرت إبداعات ونتاج من أبناء وبنات المنطقة، وبدأت ملامح ما يمكن أن نطلق عليه ساحة ثقافية وفكرية في نجران، وأصبح لدينا أسماء يمكن ذكرها بل والتفاخر بها.

ظهرت كتب ومؤلفات مختلفة المجالات من رواية وقصة ومسرحيات ومؤلفات راصدة ومحللة لجوانب فكرية وتاريخية ودووايـن شعرية، وظهرت إبداعات متجلية في الرسم والنحت والتكوين والتصوير والفنون السمعية والبصرية مما شكل إدهاشاً لكل راصد ومتابع لهذه المناشط، والدهشة الحقيقية تتجلى لمن تتاح له فرص الاحتكاك بالناشطين في هذه المجالات جراء ما يلاحظه من عمق الموهبة والطموح والوعي والإلمام رغم التحديات وضيق الفرص وذات الحال.

وفي منظوري الخاص أن من الأسباب الرئيسية لهذه الطفرة النوعية المتجاوزة في الزمن والتجربة ما لعبته المنتديات الإلكترونية وما أتاحته من مساحات حرة استطاع من خلالها المبدعون والمبدعات النفاذ وتفجير طاقاتهم في ظل غياب المنافذ الأخرى.

ولعل من المهم التأكيد أن الصورة ليست وردية على إطلاقها، فلا يزال هناك الكثير من البقع السوداء والرمادية والتي يتحتم إزالتها حتى نستطيع التنبؤ بمستقبل مشرق حقاً، فالمؤسسات المجتمعية الرسمية لاتزال عاجزة عن القيام بمسؤولياتها، فلا النادي الأدبي بقادر على تجاوز نقطة الصفر رغم بعض المجهودات ما لم تترسخ القناعة بأن الفعل الأدبي يحتاج إلى إدارة متجاوزة وغير نمطية ومتحدية للواقع والعقبات، وأن الفعل الأدبي والثقافي

هـو بحـد ذاته إبـداع لا يؤمـن بالروتين، أمـا جامعة نجران فقد وضعت نفسـها في صـندوق مجاف للمجتمع وغير آبه بـأدواره خـارج النطـاق الأكاديمـي، وتأتـي جمعيـة الثقافـة والفنـون في مقدمة المحاولات الجادة والفاعلة بإسـهامات متواصلـة ومشـهودة في مجالاتها، لكنها تبقى أسيرة للفقر المـادي، ويبقـى الدور المحوري والأهم في تجهيز السـاحة وتهيئتهـا وصـيانتها بالجهـد والدعـم والرعايـة والمتمثـل فـي الجهات الحكومية وفي مقدمتهـا إمارة المنطقة والتي نطمح بأن تنشـئ جهازاً إدارياً داخل هيكلها التنظيمي خاصاً بتنميـة الفعل الثقافي في المجتمع يرتبط مباشـرة بسـمو أميـر المنطقـة، ويهتم بتنسـيق الجهود ودعمهـا وتوجيهها ورعايتهـا، ثـم يأتـي دور أمانـة منطقة نجـران والتي خيبت آمالنـا عندمـا منحـت أراضٍ للمنشـآت الثقافية فـي أماكن بعيـدة جداً عـن التواجـد السـكاني، مثـل: موقـع المركـز الحضاري، وموقع النادي الأدبي، وموقع المركز الثقافي في حين منحت المواقع المناسبة لاستثمارات المطاعم! كما أن طموحاتنـا في أن تتبنى الأمانة مبادرات لتجميل السـاحات والميادين بأعمال فنية للمبدعين من أبناء المنطقة -وهم كثر وهي تعرفهم وقد طرقوا بابها مراراً-.

بقي شـيء مهم جداً وهو الفعل الثقافي المسـتقل والذي يحظـى بقبـول لـدى الكثيـر مـن المهتميـن والمتمثـل في الملتقيـات والصـوالين الثقافيـة والأدبيـة والقائمـة علـى جهـود أشـخاص أو مجموعـات وكانـت لهـا مسـاهمات لا يمكن التغاضـي عنهـا في رمي الحجارة فـي المياه الراكدة، هـذه الملتقيـات تحتـاج إلـى لمسـة مـن العطـف والإيمـان التام بدورها الخلاق في بناء مجتمع صحي يسـوده الوعي والسلام والتطلع إلى آفاق رحبة لهذا الوطن والشعب ضمن الأطر والقوانين والمسلمات.

حفظ الله الوطن أرضاً وقيادة وشعباً.. وإلى الأمام دائماً.



رحلة لمدينتي الفاضلة

سعيد بن علي آل مرضمة: نجران

كلما مضت السفينة في الإبحار تبدأ الأمواج بالعد التنازلي، لتغوص بالبحر أصوات الضجيج، وتحل بالقلب نسمات الهدوء، وعلى وتر الذكريات تعزف الموسيقى نغمات الرحيل، فتحكي لي عن قصص الميناء المتناثرة على مرساتها العتيقة، وتسمعني جرس الانطلاق المعلن بداخلي حلول الرحيل والفراق، منطلقاً من مكان إلى مكان جديد، وعن حقائب المغادرين التي تحمل بداخلها أسراراً متراكمة، لا تخرج للعامة لأنها القداسة والخصوصية لحامليها، بل عن بقايا ذكرى تعلقت بشغاف القلوب مرة توجعنا ومرة تسعدنا وتذكرنا من هم داخله ولم يغادروا إلا بالأجساد أما عبقهم فلم يغادر أنفاسنا.

وألتفت للشواطئ لأجد لآلئ الحلم التي تنثر صوتها كأنشودة المطر، وبالشرفة البعيدة تسكن فتاةٌ حالمة تنظر للبحر من بعيد، عله يحمل لها رسالة عاشقٍ رحل، وجرحاً يتعلق ببصيص الأمل، وتغازل بحروفها آخر أمل تحمله داخل قلبها الصغير.

أصل بعد عناء وإرهاق من رحلتي الطويلة، وأنيخ ركابي على عتبات مدينة الجمال، فأجد كل الممرات فسيحة ولكنها بالبشر تزدحم وأصواتهم تلتحم، لا ينتظرون طويلاً، فجميعهم يمضون مسرعين وكأن بالجهة الأخرى من طريقهم حياة جديدة تحمل الاختلاف، تنتظر حضورهم ليكتمل عقد القدر المحتوم في الفصل القادم من حياتهم، كل ذلك يظهر جلياً بالضوضاء التي تثيرها أقدامهم، وبأعينهم تفسير الحكاية عن يوم قد يكون بالنسبة لبعضهم جميلاً والآخر يرى أنه شاق والثالث لا يعلم بينهما أين هو..!

مثل ذلك الشاب الذي احتسى فنجانه الثالث عشر وأطفأ لهيب اشتياقه، لا أعلم هل كان يقرأ خبراً أزعجه؟ أم أن



انتظاره طال لخبر لم يأتِ فأحبطه.

هو ضجر من كلِّ شيءٍ حوله حتى من صوت عزف القيتار وخلخال الراقصة وقُبلات طبعها العشاق بالجِدار خلفه.

هنـاك حتى الحانـات تلتزم النظـام، فمرتادوهـا لا يُؤذون المـارة ولا يرفسـون القطـط إنمـا ينثرون الحبـوب للطيور المهاجرة كأنهم يرسلون معها سلاماً لمن يحبون.

بمدينتـي الفاضـلة كل الأرض تتحـدث بصـوت واحـد، فجميـع الأديـان والأطياف والأجناس والألوان تتحد، كلهم يقفون أمام شباك حجز أفلام السينما يترقبون فيلم الحب والسلام.

الناظـر لهـم يجدهـم لا يتذكرون فـي تلـك اللحظات ما في بلدانهم من ألم حروب وفقر وجوع وانقلابات، فقط هم هناك يعيشون السلام ولا يريدون سواه.

الكل يقول هذه مدينتي فيبادلها الحب ويستمتع بدلالها، فيـزرع بسـاتين الزيتون لتزهـر حياته معها، ويـروي أكاليل الـورد من عرقه قبـل ماء الينابيع، ويغني للسـماء وللغيمة، ساعة تحمله وساعة يضمها لينعم بحنانها وهي تغطيه من ويلات الواقع، ثم يكتب ممسكاً بقلمه المكسور أشعاراً بوزن الحنين وقافية الألم.

وربمـا أننـا عندمـا نسـافر لا نكتشـف العالـم بل نكتشـف أنفسـنا.. ونكتشـف شـغفنا للاقتـراب مـن الآخر، لنكتشـف حقيقة ذواتنا بعد أن يطول فقدانها وبعد أن يطول اشتياقنا لهـا، فنجدهـا ببـلاد بعيـدة، ولكننـا نعيش فيهـا تفاصـيل اللحظـة، فالنظـر يمتـد لآخـر المـدى، ليخبر العيـن بأنها لازالـت تـرى الجمـال وتميـز الألـوان، والأذن تُطلـق العنان لتقتنص ما يُطرب قلبها والروح والجسد.

وكأن الجسـد يتأقلـم ببراعـة مـع كل تعريـف وتعريـب للاسـترخاء وللنقـاء وللنجـوم وللسـماء بل حتـى للانعزال بمحراب الهدوء ونقاهته.

وأجدني في سـفري أكتشـف ذاتـي وأهذبها لتـرى الرماد عقداً من الفضة منثوراً، وتؤمن نفسي بأن النار ليست عذاباً عندما يرسمها الفنان بلوحة الشتاء.

السـفر ليـس إلا أنـت بمـكان آخر اتسـع لك، ليكـون جزءاً من مذكراتك مع صـوت القطار وفنجان قهوة الانتظار، هو أنـت عندما تتحدث عن السـفينة وعن ما وجدته في البحار والطرقات.. وقد تجد نفسك أخيراً تتحدث عن أشياء كثيرة ليست سوى «أنت» التي نسيتها، خالياً من كل شيء عدا ذاتك التي طال اللقاء بها.



حبي لنجران

محمد أبو شرارة: نجران



أن تكتبَ عن نجران فهذه مغامرةٌ كُبرى، إنَّ البعد التاريخي الضَّاربَ في أعماق العصور، يتملكني بِرَهبَةٍ، كلَّما حاولت الكتابةَ عن نجران.

جئتُ نجران للمرَّة الأولى، فكنتُ كلما اقتربت منها، يلوح أمام مخيلتي «ذو نواس»، وهو يساوم مؤمني نجران على إيمانهم، فأعلم أن إيمان هذه المدينة لا يقبل المساومة!

ويلوح لي عبد يغوث الحارثي وهو في الأَسر يقول:

فَيَا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
نَداماي من نَجْرانَ أَنْ لا تَلاقِيَا
ولو شِئْتُ نَجَّتْني من الْخَيْلِ نَهْدَةٌ
تَرَى خَلْفَها الحُوَّ الْجِيَادَ تَوَالِيَا
ولكِنَّنِي أَحْمِي ذِمارَ أَبِيكُمُ
وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ الْمُحَامِيَا

فأعلم أن وفاء أهل نجران لا يقبل المساومة!

ثم يلوح لي قس بن ساعدة، فتعيدُ الأرض ترتيب فيزيائها، وتصبح أكثرَ اتزاناً، وأَرفَقَ دوراناً، ويعيد الوقت تهيئة نفسه، وأعلم أنَّ نجران بوابة الأرض إلى أفلاطون .

كنت أقترب، وكان بُرتقالُ نجران، أول سفير لنكهة نجران الساحرة، وكانَ الإشارة الأولى بأنني سأدخل الجنة ذات الأفنان.

كنتُ أتفرَّس الوجوه، وأتملَّى القَسَمات، وأنا أُعَلِّم اللغة العربية، فكنت ألمح في عيون الطلاب، مخايل النجابة، وملامح العبقريَّة، وكنت أقرأ فروسية فُطِر عليها أبناء نجران، وأصالة عربية ولدوا عليها، ونشؤوا في كنفها.

النجرانيون لا يتحدثون كثيراً، مقارنة بما يفعلون، لأن أغلب من يتحدث ويتباهى، إنما يتحدث عن مفقود، ويتغنى بما ليس لديه.

النجرانيون لا يتحدثون عن الكرم، لأن الكرم يأكل معهم ويشرب، ويسير على قدميه في بيوتاتهم العامرة، وأحيائهم المرحِّبَة المفتوحة الأبواب، والمُشْرَعة للضيف، المحتفية بالغريب.

لا يتحدثون عن الشجاعة، فهم يرضعونها مع لبن الأمهات، حتى لا تلمح في عيونهم إلا نُبْل الفرسان، وشكيمة العرب الأقحاح الخُلَّص.

إذا أردت أن تعـرفَ العـربَ علـى سـجيِّتهم، وكرمهـم، ونخوتهم، وشجاعتهم، وفروسيتهم، فكل ما عليك أن تذهب إلى نجران.

فكمـا يمتدُّ وادي نجران العظيم، تمتدُّ أيدي أهله بالكرم، وصـدورهم بالترحاب والأريَحيِّة، وكمـا تقف جبالُه ونخيلُه شامخةً تعانق السماء، يقف رجال نجران، حاجزاً منيعاً دون كل من تسوّل له نفسُه، النيل من أرض الوطن.

لم أكن حينما دخلتُ نجران أعلم أنني أدخل بوابة العالم، وأنني أسـير إلى عمق التاريخ الأبعد، وأنني موعود بالدخول إلى مدينة المؤمنين التي من دخلها كان آمناً.

هـا قـد غَـدَت نجـران جـزءاً من تكويـن الـروح، وشـرياناً يجري بالحب أبدَ العمر، عَبَرتُ إليها ذات يوم ربيعي أخضر، محملاً بعَبَق التاريخ، وبزهر البرتقال، فكانت بداية العشق!





الأسواق الشعبية في نجران

محمد القحص: نجران

حين العودة إلى نجران قبل توحيد المملكة نجد أفراد المجتمع يتمتعون بحس أمني وتجاري عال جداً، وتأكيداً لذلك قيام سوق اشتركت به كل قبائل المنطقة وحددت حدوده ووضعت له الشروط والمجابي «من الجباية» أي كنظام الجمارك اليوم.

كانت القوافل تفد من اليمن إلى نجران، البعض يبيع ويشتري في سوق نجران والبعض الآخر قوافل سيارة إلى الفاو، والبعض إلى الحجاز، ما دعا القبائل إلى وضع ترتيبات بأخذ العهود والمواثيق من كل قبيلة، حيث يؤخذ كبارهم وأخذ وجيههم على حماية السوق وطرق السوق ورحلات القوافل.

فكانت نجران مزدهرة آمنة إلى أن حصل خلاف على هذا السوق وريعه بين القبائل وانقطع البيع والشراء، إلى أن تدخل العقلاء ووضعوا آلية لإعادة الأسواق من جديد وكان الاتفاق كما يلي:

الأحد: سوق الصقور

الاثنين: سوق بني سلمان

الأربعاء: سوق آل لحسن ولد مر وولد عبدالله

الخميس: سوق آل هندي

الجمعة: سوق آل فاطمة

رتبت الأسواق بأوراق وكل قبيلة مسؤولة عن أمن وأمان السوق وحمايته وحدوده وأخذ العهد عليهم والمواثيق فانتشر الخبر إلى جميع المراكز التجارية في الحجاز وصنعاء وعدن والشحر والمكلا وأرسلت لهم هذه الاتفاقيات، فعادت بعد ذلك القوافل وازدهرت الأسواق وانتشر الأمن والأمان، حتى أصبحت أسواق نجران مضرباً للمثل في أرجاء الجزيرة العربية.

كانت هذه الأسواق بمثابة مراكز اجتماعية للإعلان من

القبائل للصلح والتسامح، حيث هناك مكان مرتفع يسمى «المنادي» يعلى من عليه بالصوت العالي لاجتماع ظاهر بأهل السوق ويعلن الحدث وكان هناك لجنة لفك المنازعات داخل السوق «التي قد تحدث بين البائع والمشتري» ويسمون أهل الخبرة.

أما المجبي «الجمرك بمصطلح اليوم» محدد على حمل البهيمة «سواء الجمل أو البغل وخلافه» وعلى كل سلعة تدخل السوق كذا ويوزع على أفراد القبيلة.

أما القوافل المتجهة إلى الحجاز أو الفاو أو نجد، فتأخذ معهم «سير» أي رفيق وحماية حتى وصولهم آخر حد من نجران مقابل كذا من المال، حيث تستلمه الجهة الأخرى من باب الاتفاق والأحلاف التجارية بين القبائل مثل حلف قبائل همدان وقحطان والدواسر لحماية القوافل ومرورها بسلام.

استمر الوضع على ذلك إلى قيام الدولة السعودية ودخلت نجران تحت الحكم السعودي وتبقى من الأسواق سوقا الاثنين والخميس اللذان كانا يقامان في مقر أبا السعود.

وأخيراً.. من جمال الأسواق القديمة أنها كانت وفق قوانين ونظم ولوائح تنم عن حنكة تجارية وسياسية.







الجنبية

زهو لكل نجراني





صالح مهدي ياسين: نجران

تعد الجنبية من أنواع السلاح الأبيض والمستخدم في جنوب الجزيرة العربية بشكل عام إما للحماية أو لتكملة زينة الرجل في تلك الأوقات.

واليوم أصبح الأمر ذا طابع خاص يتفاخر الجميع به في جميع المناسبات ومن جميع الأعمار، ويلاحظ ذلك من خلال وجود الناس في سوق الجنابي بنجران في حي أبا السعود الذي يلبي احتياجات المنطقة الجنوبية بالكامل وليس منطقة نجران وحسب ،حيث يتوافر به كل أنواع الجنابي وصناعتها، وقد مضى عليه أكثر من ثمانين عاماً.

يرتاد السوق جميع الشرائح إما للشراء أو التنزه حيث يتناثر أكثر من سبعين محلاً بين البيع والتصنيع للجلود والفضيات والحرفيين المهرة والمتخصصين، لصناعة تلك الجنبية ومن أنواعها ما يلي:

- المحلية: كانت تمثل الطابع النجراني ولا تستخدم إلا في نجران وتتكون من الرأس «والذي يتكون من عدة أنواع مثل القرن والبلاستيك والزراف الذي يعد أغلاها لندرة وجوده وجودته، السلة وهي أيضاً عدد من الأنواع منها العماني والحضرمي والمسمار القديم، وأفخرها النخيري لنوع الحديد وخفته، والجفل الذي يستخدم من الخشب، حيث يكون الخشب أنواعاً أفخرها خشب العشر يلبس جزء منه بالفضة والجلود حيث تعد من النوادر في وقتنا الحاضر.
- الخنجر: في نجران بصفة خاصة وجنوب المملكة بصفة عامة لها نفس الأنواع المذكورة في المحلية، إلا أنها تكون ملبسة بالفضة بالكامل.
- الجنبية النجرانية: وتتكون من الرأس بكافة أنواعه والغلاف من الخشب والجلد، وتستخدم الآن في نجران بشكل واسع ومن مختلف الأعمار والزراف هو أفخرها، وتتراوح الأسعار من الألف إلى المئة ألف ريال حسب نوع الخامة وندرتها.

يلي ذلك القرن وهو مأخوذ من قرون الحيوانات مثل الأبقار وأسعارها لا تتجاوز ثلاثة آلاف ريال.

والنوع الأخير هو البلاستيك حيث يعد أرخص أنواع الجنابي وهي بين مئة ريال إلى ألف وخمسمئة ريال.

وتمتاز الجنبية أيضاً بأنها أصبحت رمزاً للرجل في نجران وإرثاً تتناقله الأجيال.

لحن الشروق

ناجي آل معيوف: نجران

نجران حكاية الشمس
يا وجه النهار
يا ذاتي تهيم بك وذاتك لي القرار
سأحدث العالمين ذات يوم
عن قصة يذكرها الصغار
رفيقة الحلم
مصباحاً يشيح عن عيونهم
ويغرس بقاياه في وسائد أحلامهم أمانة التذكار
يعود صباحه شمساً
تراتيل وألسنا تبتلت أذكار
نجران ما بين القرار والقرار
ما بين بذرة وباسق الأشجار
أنت أنا وأنا ذاتك ما بيننا أسرار
أمضي كل مكان وأنت لي الدار
ابق مكانك إني لا أعود نحوك مرة
كيف أعود وما كنت لحظة لك جار
هنا حيث أكتبك ذاتي وأقرئك
لحن الشروق وكلك الأنوار



حكاية إبداع

ناصر الربيعي: نجران

مادامت الصورة في عيني فأنا حي والصورة في اعتقادي هي الحياة بكل تفاصيلها، عشت وداخلي مشبع بألوان الطيف منذ طفولتي، بدأت أتحسس الضوء بواسطة كاميرا صغيرة امتلكتها في التاسعة من عمري، متباهياً ومعلناً ولادتي الجديدة لوجودي على هذه الأرض كما هو رسم الضوء المحفوظ على ورق التصوير.. فقد كان حلمي آنذاك أن أمتلك مثل هذه الكاميرا لكن ثمن تلك الكاميرا كان باهظاً جداً بالنسبة لي.. فقد كان عشقي قبل امتلاكها حب طيور الحمام وتربيتها.. ولكن من أجل امتلاك تلك الكاميرا وقفت ما بين نفسي ونفسي في لحظات صراع كانت قاسية، وكان قراري صعباً جداً، ولكني توكلت على الله والدموع تغرق وجهي وبعت أجمل طيوري من الحمام لأدفع سعرها. لم أكن أريد لحظة تسجيل الضوء أن تفارقني ما دامت العين حيّة، فقد كبرت وكبر الضوء بداخلي وأنار لي دربي الفوتوغرافي، سقطت كثيراً وتعثرت مراراً.. كانكسار الضوء حين يلامس سطح العدسة.. لكن انكسار الضوء هذا كان يولد جمالاً رائعاً حين يلامس الفيلم في قلب الكاميرا حيث كان قلبي يقبع هناك. في تلك الفترة كُنت كمن يعيش على جزيرة مهجورة في سماء ملبدة بالغيوم بالكاد تخترقها أشعة الشمس لتنير الطرقات ويلفها الضباب من كل جانب. كنت كمن ينتظر مرور مركب ليأخذه إلى بر الأمان أو بانتظار عابر سبيل يمسك بيدي ليدلني على طريق النور، ولكن ومع الوقت بدأت أؤمن أنه لا بد لي من الاعتماد على نفسي حيث لا يد هناك تأخذ بيدي، وعلي أن أكتشف المجهول بنفسي رغم كل الصعاب، فليس هناك أي أثر لنبع المعلومة أو أي مصدر لغذاء الروح في علم الضوء ولم يكن للتصوير وجود وكيان كما هو الآن، واصلت البحث أتحسس طريقي للمعرفة التي كان بيني وبينها الكثير من الصخور والطرق الوعرة، ولكنني كنت أؤمن أن الضباب لابد أن ينقشع يوماً كي أستدل طريقي لمتابعة هذا المشوار لأصل إلى ما وصلت إليه اليوم .في عام 1997م وقع أول كتاب بين يدي يتحدث عن التصوير وكذلك امتلكت أول كاميرا احترافية فلمية وكانت من نوع نيكون، وهنا أصبحت أرى الضباب قد بدأ ينقشع وأصبحت أشعة الضوء تملأ المكان وبدأت تظهر لي تفاصيل الأشياء، حيث بدأت بتسجيل كل تلك اللحظات والتفاصيل من خلال عدستي، وكنت ومازلت أحاول أن أحقق مفهوم الصورة المعرفية التي تحمل في طياتها المعرفة والتجربة والعبرة والهم الإنساني، أحد أكبر همومي الفوتوغرافية التي أوليتها نصيباً كبيراً من نفسي اسمها نجران، هذه الواحة العذراء التي تربيت بين خبايا نخيلها ومزارعها وشربت من مياه ينابيعها العذبة وبيوتها الطينية الشامخة التي تتكلم عن تاريخ حضارة عريقة. هذه الواحة التي تحدّت الأزمان وبقيت شامخة في قلب الصحراء معلنة أنها مكان يستحق أن يرى النور فقد كان ذلك الحلم الذي داعب عيوني منذ رؤيتي لأول إشعاع النور فيها والتي لم تأخذ حقها في الإعلام والتعريف بها.. فوضعت الصورة خياري الأول للمحافظة على هذا الجمال وهذا الإرث الكبير الذي أصبحت في قلق حول مصيره مع تزاحم الحضارات والعولمة التي بدأت تخنق كل حضارة على حدة لتقتلها وتجعلنا كلنا دون استثناء نسخاً من صورة واحدة لتصبح حياتنا خالية من التجديد سطحية الفكر والثقافة تخاطب الأجساد دون إعارة الأرواح أية قيمة. نصيحتي لكل من أحب هذا الضوء فعليه أن يرتقي بنفسه علماً وفناً وأدباً ليرتمي ضوء الحياة بين أضلاع صورته.



كتب ومؤلفات عن نجران

المجلة العربية: الرياض

تحفل المكتبة العربية بجملة من المؤلفات والكتب التي تناولت المكون النجراني تأريخاً وثقافة ومكاناً وإنساناً ونشاطاً على مر العصور والأزمنة.

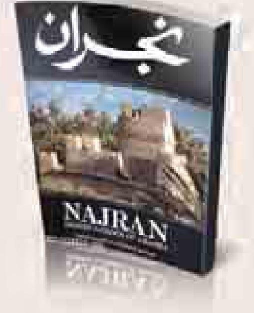


نجران: جدلية المكان والشخوص.. دراسة

من بين أحدث تلك الإصدارات كتاب (نجران: جدلية المكان والشخوص.. دراسة أنثروبولوجية) للباحث المؤرخ محمد آل هتيلة. وهو عبارة عن دراسة استقرائية تفتح منافذ بحثية جديدة في دراسة المدن، وهذه الدراسة تتناول نجران المدينة التي تعود إلى حضارات ما قبل التاريخ، ومرت عليها ثقافات الإنسان في كل مراحلها، وتوجت بالتوحيد الإبراهيمي كبداية لانتشار التوحيد في شبه الجزيرة العربية من الموسوية إلى المسيحية حتى فجر الإسلام.

كما تؤكد الدراسات التي أعدّها الرحالة الأوروبيون الذين توافدوا على الجزيرة العربية منذ نهاية القرن الثامن عشر، وكذلك المسوحات التي أجرتها الهيئة العامة للسياحة والآثار السعودية في منطقة نجران؛ أن تاريخها يمتد إلى ما قبل الميلاد بمئات السنين، استناداً إلى بعض المواقع الأثرية التي توجد بها كتابات ونقوش قديمة تعود إلى وقت بعيد، وتم اكتشاف بعضها بواسطة رحالة أوروبيين، ومنهم هاري سانت جون فلبي، وجونزاك وجاك ريكمانز، وليبنز، وألبرت جام وغيرهم.

وقد وجد المؤلف في بحثه أن لغات أهل نجران كانت متعددة منها الرومية ومنها الحميرية، إلا أنها كانت محدودة قياساً للغة العربية التي كانت سائدة عندهم. أضف إلى ذلك أن إبداع أهل نجران على صعيد الشعر والحكمة والأمثال والخطابة، فكان منهم عدد كبير من الشعراء والحكماء. وقد تم تدعيم الكتاب بدراسات بحثية متعمقة ونقوش وصور ومخطوطات وجدت في منطقة نجران.



نجران والمصور الفرنسي تشيكوف

يكشف المصور الفرنسي تشيكوف مينوزا في كتابه التوثيقي (نجران) عن مجموعة نادرة من الصور الفوتوغرافية، والتي كان قد التقطها لمنطقة نجران في السبعينات الميلادية. ويعرض نماذج منها تحكي عن قصة نجران وعراقتها التاريخية والأثرية والسياحية، وعاداتها وتقاليدها القديمة، ونشاطاتها واحتفالاتها وفنونها الشعبية، وصناعاتها المحلية وحرفها اليدوية، و(جميع مظاهر الحياة في نجران).

وجاء الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية في 150 صفحة من الحجم الكبير، وتضمن عدة أبواب منها: الزراعة وفن العمارة، والفنون والتقاليد، والحياة في الصحراء، ونجران الحديثة. كما استطاع المصور الفرنسي على مدى السنوات التي عاشها في نجران أن يجمع في صوره العديد من الانطباعات الذهنية المثيرة لتعطي رؤية ساحرة لمعالم الفن والجمال وتقاليد الماضي العريق، التي تمثل جزءاً من تراث أهالي منطقة نجران، ولها قيمة عظيمة تتناقلها الأجيال. فأهالي منطقة نجران شديدو الاهتمام بعاداتهم وتقاليدهم القديمة يتناقلونها جيلاً بعد جيل، ولعل أشهر العادات النجرانية هي إكرامهم للضيف وتقديمهم يد العون لكل من يقصدهم. ولنشاط أهالي نجران وحماسهم التلقائي أكبر الأثر في احتفاظ هذه المنطقة بأعيادها واحتفالاتها الشعبية التي تعبر عن مظاهر البهجة في مختلف المناسبات (الأعياد والزواج والختان والعودة إلى الوطن)، وهذه التقاليد العريقة تحظى باهتمام أهالي نجران وتدفعهم إلى التعبير عن صدق أحاسيسهم وشعورهم بالجمال وما يتسمون به من غنى حضاري.

نجران: نجراميتروبوليس مدخل إلى نجران الحديثة



يتناول كتاب: (نجران: نجراميتروبوليس مدخل إلى نجران الحديثة) لمؤلفه اللواء الدكتور محمد بن فيصل أبو ساق؛ نجران ليس بمفهومها الحديث بقدر ما هو رصد وتحليل لأبرز مكونات شخصية نجران بين المكان والزمان والإنسان. حيث يشمل إضاءات عن أخبار نجران ما بين عام 24 ق.م وعام 1994م تقريباً. وجاء الكتاب الصادر عن دار طوى في ثلاثة فصول في كل منها عدد من المباحث. ولعل الجديد فيه أنه يضع مقدمات أو مداخل لمعلومات أخرى عن الواقع النجراني وطبيعة الحياة قبل الحكم السعودي، لم ترصد وتحلل بعد كما ينبغي. ولعل في هذا الكتاب مفاتيح لفهم تاريخ نجران. ويقع الكتاب في 367 صفحة من القطع الكبير، ويعرض ويحلل عدداً من الوثائق التاريخية التي يمكن أن تكون مقدمة ليتنافس الناس على إخراج ما لديهم من وثائق أصبحت بحكم الزمن ملكاً مشاعاً أكثر من كونها خصوصيات مقفل عليها. فالناس في الغالب تتعامل مع الوثائق بعمومها وكأنها كنوز لا يجوز فتحها. كما يلم الكتاب شتات كثير من المعلومات المتناثرة بين المصادر والمراجع، ويسهل على الباحثين وضع قائمة طويلة بالمصادر والمراجع التي تهم كل باحث عن الشؤون النجرانية القديمة. كما أن فيه تحليلات ومقارنات حول كثير من القضايا التاريخية ومن أبرزها الأخدود، والديانات، واسم وحدود نجران، وغيرها.

نجران والنصرانية الأولى



وعن (الدار العربية للعلوم ناشرون) صدر كتاب: (نجران والنصرانية الأولى)، لمؤلفه الباحث السعودي النجراني محمد آل هتيلة الذي يستدرج مساجلات تاريخية ودينية صاخبة عن الجانب المخفي في الجزيرة العربية ونجران والمسيحية الأولى. ذلك أن ولادة السيد المسيح تحت ظلال نخلة والصورة المدهشة التي يرسمها القرآن الكريم لولادته وأمه العذراء ما تزال ذات طابع إشكالي مثير للسجال لدى كثير من المؤرخين والباحثين إلى اليوم. إن علاقة القصة القرآنية عن مولد السيد المسيح تحت نخلة باسم هذا الوادي يجب أن يكون مدخلاً لدراسة قصة نجران القديمة، وهذا ما فعله مؤلف الكتاب الذي سوف يثير بدوره حميّة العلم والبحث لدى كثيرين، وربما حنق أصحاب العقائد وهم كثيرون أيضاً.

يقول المؤلف عن كتابه هذا: (تعد نجران ضاربة في قلب التاريخ لتصل إلى أعلى الرتب بين المواقع المشهورة عالمياً منذ العصر الحجري، حيث اجتهدنا في تقديم حقبة زمنية مهمة، تلمسنا معظم ما طرح حولها وأوضحناه بشيء من التفصيل والتحليل، فعلى مدى أكثر من 25 عاماً كانت نجران عامرة بالآثار والناس والاستيطان، وهذا الأمر جعلها من المدن القليلة في المملكة، بل العالم بأسره التي لها هذه الخصوصية وهذا التميز الرباني...).

نجران تاريخ وإنسان



أما الكاتب محمد طحنون فأصدر كتاب (نجران تاريخ وإنسان) عن مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت. وحول الكتاب يقول المؤلف: (ليقيني بأن الكثير من صفحات كتاب نجران لا تزال غير مقروءة وبها من كنوز المعرفة عن تاريخها وإنسانها ما يستحق إخراجه، ولعشقي الكبير لما بين طياتها، فقد بحثت جاهداً عن ذلك، وكان تحقيقه حلماً كبيراً طالما حلمت به).

مبيناً أن كتاب (نجران تاريخ وإنسان) ينفرد بحقائق وتفاصيل دقيقة تروي ذلك التاريخ المجيد لم يتم التطرق لها من قبل، ما يجعل من الكتاب تحفةً أدبيةً تاريخيةً فريدة ستكون بلا شك مرجعاً دسماً للمهتمين بتاريخ نجران والراغبين في مواصلة مشواره والكشف عن جواهر مكنوناته.



نجـــران

الثقافة والتاريخ.. المكان والإنسان

المجلة العربية: الرياض

تحضـر «نجـران» فـي سـجلات التأريـخ البعيـد لمـا قبل الإسـلام ومـا بعده إلى عصـرنا الميمون الحاضـر حضـوراً عميقاً ضـارباً في أعماق الحضـارة والبناء الإنساني الأصيل سـلوكاً وثقافـة وعـادات وتقاليد.. بـل وشخصـيات تاريخية شـهيرة مرت على هذه الأرض.. ناهيك عن حكايا القصص التاريخيـة التـي شـهدتها أرض نجـران الخصـبة بالثقافة وبالتاريخ والشواهد.

وفـي العهـد السـعودي الزاهـر حظيـت منطقـة نجـران كغيرهـا من مناطق واتجاهات الوطن باهتمام رسـمي ودعم حكومـي لكافـة أنشـطة واهتمامـات الناس، ومنهـا الحقول الثقافية التي ازدهرت ازدهاراً واضحاً في هذا السياق.

وفيمـا يلي تعرض «المجلة العربيـة» أبرز كيانات الثقافة والمعرفة في نجران:

النادي الأدبي الثقافي بنجران

وجـه خـادم الحرميـن الشـريفين الملـك عبـدالله بـن عبدالعزيـز يرحمه الله في أثنـاء زيارته لمنطقة نجران في عام 1427هـ بإنشاء نادٍ أدبي يخدم شريحة المثقفين والأدباء في هذه المنطقة الزاخرة برموز الثقافة.

وصـدر قـرار معالي وزيـر الثقافة والإعـلام برقم م / و / 1742 / 13 بتاريـخ 16 / 8 / 1428هـ والمبنـي علـى موافقة المقام السامي بإنشاء النادي.

وقد تم افتتاح مقر النادي في حي الأمير مشعل، ويحتوي المقـر علـى مكاتـب الإدارييـن وقاعـة محاضـرات وخيمـة ثقافيـة للقاء مثقفي المنطقة، ومكتبـة تحوي الجديد من الكتب والدوريات الثقافية والأدبية.

مهرجان قس بن ساعدة

عمـل نادي نجـران الأدبـي الثقافي خلال عـام كامل على وضـع برامـج ثابتة تسـجل له بيـن الأنديـة الأدبيـة، حيث إن ما يميز حسـن سـير العمل هو وجود البرامج والمهرجانات الثابتة التي تتصف في مجملها بالتطوير الدائم.

وكانت انطلاقة النادي من خلال مهرجان قس بن ساعدة الأول الـذي تبعتـه الدورات الأخرى وسـط إعجـاب وتفاعل كبيرين من قبل المتابعين والإعلاميين والمثقفين.

جمعية الثقافة والفنون

تقـوم جمعيـة الثقافـة والفنـون فـي المملكـة العربيـة السـعودية بـدور مهـم فـي حيـاة المبدعيـن والمهتميـن بالجوانـب الثقافيـة والإبداعيـة فـي شـتى مجالاتهـا، فهي بمثابـة المـلاذ والوجهة لصـقل الموهبة وتعزيـز الجوانب الإيجابيـة فـي حيـاة الموهـوب فهي عبـر لجانها المتعددة تثـري معـارف الشـباب وتوسـع مداركهم وتصـقل مواهبهم وتبـرز أعمالهم للمجتمـع ليكونوا نواة لدائرة أكبر وأشـمل في المعرفة والإبداع.

وجمعيـة الثقافـة والفنـون بنجـران تقـوم بدورهـا المنـوط بهـا ضـمن تلـك الكوكبـة مـن الفروع فـي مختلف مناطـق المملكـة إذ تقوم الجمعية بعمل شـراكات تسـتهدف المبدعيـن والمبدعـات اكتشـافاً وصـقلاً وتقديمهـم فـي المهرجانـات واللقـاءات والمسـابقات، فهنـاك خمـس لجان رئيسـية (التصـوير الضوئي، والرسـم التشـكيلي، والمسـرح، والموسيقى، والتراث الشـعبي) بالإضافة للمنتدى الثقافي. وكل تلك اللجان تقوم بدورها في اكتشاف الشباب الموهوب وتدريبه وإخراجه للحيز الأكبر.

صور خلف السور



علي العلوي: المغرب

1

وَقَافِيَةٍ تَصُومُ عَنِ الْكَلَامِ
وَتَصْرُخُ عَالِياً بَعْدَ الصِّيَامِ
أُطَارِدُهَا فَتَطْرُدُنِي بِلُطْفٍ
وَتَشْرُدُ فِي يَدِي حَدَّ الْهُيَامِ
أُدَارِيهَا فَتَرْفُضُنِي بِعُنْفٍ
فَأَسْلُكُ دُونَهَا دَرْبَ النِّيَامِ

2

وَلَقَدْ كُنَّا فُرَادَى
وَتَرَكْنَا بَعْضَنَا يَوْمَئِذٍ مِثْلَ الصَّدَى
لَمْ يَكُنِ السُّورُ قَصِيراً
مِثْلَمَا لَمْ يَكُنِ النُّورُ نَصِيراً
إِنَّمَا جُدْنَا بِمَا يَكْفِي مِنَ الصَّمْتِ
وَعُدْنَا حَامِلِينَ الْمَوْتَ فِي كَفِّ النَّدَى

3

أَهَذِي أَنْتِ حَقّاً
أَمْ سِوَاكِ؟
وَهَلْ أَنْتِ الَّتِي
وَحْدِي أَرَاكِ؟
جَمِيلٌ أَنْ تَكُونِي دُونَ ظِلٍّ
وَأَجْمَلُ مِنْهُ
أَنْ تَجِدِي أَنَاكِ
فَهَذَا الْوَجْهُ مُخْتَلِفٌ
بِشَكْلٍ كَبِيرٍ عَنْكِ يَا وَجْهَ الْمَلَاكِ
فَسِيرِي فِي سَنَا الذِّكْرَى كَطَيْفٍ
فَإِنِّي سَائِرٌ نَحْوَ الْهَلَاكِ

حكاية قصيدة

في تراثنا الأدبي العربي طائر يحلق بجناحين في ثنائية من نوع مختلف، ذلك الطائر يتجسد في (حكاية قصيدة)، تلازما معاً، فارتبطت القصيدة بالحكاية والحكاية بالقصيدة. وأدبنا العربي يزخر بالعديد من تلك المواقف والقصص التي خلدتها القصائد، حتى استحال بعضها إلى ثنائية متلازمة تناولها الرواة والنقاد، وحيكت حولها خيوط، وأضيفت إليها أخرى، حتى صارت أسطورة متماسكة تروى جيلاً بعد جيل.



مرور العمر يوحي بالشعر

د.عبدالله ثقفان: الرياض

الحياة تجاريب، وكلما مر يوم، زادت التجربة، وركد العقل، مدركاً هذا الإنسان أنه يعيش رحلة تختلط فيها المآسي بالأفراح، والعاقل من أدرك ذلك، وأكثر من يتفاعل مع هذه الحياة «الرحلة» أصحاب المواهب، خصوصاً الشعراء، فعبدالرحمن بن محمد عماد الدين (978 – 1051هـ)، والذي اشتغل بالإفتاء والتأليف والتدريس بمدارس الشام؛ كان من أولئك الذي جربوا الحياة بحلوها ومرها، وهو ذاك الذي كانت بينه وبين «ابن ظافر» صاحب «الريحانة» مجاوبات ومراجعات، منها قول «ابن ظافر»:

أني ارتحلت وذكركم أبداً على
طول المدى مائي النّمير وزادي
يا ابن العماد لأنت عمدة سادة
تُمتاح في الإصدار والإيراد
إرماً غدت أرض الشآم لأنها
ذات العماد بكم وأيّ عماد
بل جنة فيها الثناء مخلّدٌ
أترى لها بعد البعاد بعاد

فرد عليه بقصيدة طويلة، منها:

هذي درار نورها لي هادي
وشهابها رُجُمٌ على الأضداد
أم روضة بسمت تفور زهورها
أم حُلّةٌ وشيت من الأبراد

وكان شاعرنا قد مرت به الحياة، أو هو مر بها، فتذكر أيامه وتذكر واقعه، فقال:

لقد آن صحوي من سُلاف صبابة
لقد طال ما خامرتُ جهلاً خمارها



هجرت الهوى والزهو حتى اشتياقه
وطيب ليالي اللهو حتى ادّكارها
وعفّيت سبل الهزل بالجد مقلعاً
وعفتُ مسرات جنيت ثمارها
آثام كفيت اليوم بالترك شرّها
لعلّي غداً في الحشر أكفى شرارها
قطفت أزاهير الصبابة في الصبا
وقد صار عاراً أن أشمّ عرارها
فلو صائدات القلب أقبلنَ كالمها
وقبلن رأسي ما قبلت مزارها
وقد كنت أودعتُ الحجا فاستردّه
إلى النفس شيبٌ قد أعاد وقارها
وكان شبابي شبّ نار صبابتي
فمذ لاح نور الشيب أخمد نارها
تُرى شيبتي ما عُذرها لشبيبتي
وقد صبغت قبل الكمال عِذارها
تبسّم ثغر الشعر فيها تعجباً
لها إذ رأى ليل السّبال نهارها
فما زار وكر الشعر فيها غُرابهُ
ولا دار حتى استوطن الباز دارها
عسى الآن عمّا قد عثرت إنابةٌ
يقيلُ بها للنفس ربي عثارها
عسى رحمةٌ أو نظرةٌ أو عنايةٌ
يتمُّ سعودي في صعود منارها
عسى نفحة من نور نور معارف
تهبُّ فتختار الفؤاد قرارها

إلى قوله:

ولطف إلهي قُطْبُ دائرة المنى
فإن عليه في العطاءِ مدارها

* انظره في كتاب: ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا، بتحقيق عبدالفتاح الحلو، ج1، ص 221 - 227.

وزير ثقافة مصر الأسبق فاروق حسني:

الربيع العربي حرمني من اليونسكو

داليا عاصم: مصر

عرف الفنان فاروق حسني بلقب «الفنان الوزير» كونه تولى وزارة الثقافة المصرية لربع قرن من الزمان، منذ أكتوبر عام 1987 وحتى يناير 2011، حقق خلالها إنجازات كبرى في تاريخ الثقافة المصرية. كما كان من أكثر الوزراء إثارة للجدل حول قضايا فكرية ودينية واجتماعية. وهو فنان تشكيلي معاصر له دور تنويري في دفع الحركة الفنية المصرية نحو الحداثة والتجريب، حفر لنفسه مكانة خاصة في الفن المصري، بأسلوبه وتقنياته ومنهجه اللوني الذي أثار النقاد حول العالم، فاعتبروه صاحب اتجاه متفرد يجمع بين التجريد والتشخيص. التقته «المجلة العربية» في مرسمه ومتحفه الخاص في حوار شامل حول حياته وأعماله ومعاركه، فإلى نص الحوار:

أجهز لمتحف خاص في الزمالك يجمع أعمالي ومقتنيات نادرة.. ولم أحسم بعد كتابة يوميات لتجربتي الوزارية

صدر مؤخراً كتاب مصور عن أعمالك الفنية باللغة الإنجليزية يلخص مشوارك الفني، فماذا عن تجربتك كوزير ثقافة مصر؟

- يجمع الكتاب الجديد المراحل والتحولات الفنية التي مررت بها منذ السبعينات وحتى الآن. لم يتناول الكتاب الفترة الكلاسيكية الأكاديمية، وفترة محاكاة الواقع والطبيعة، وبدأت من المرحلة الميتافيزيقية، والتي تولدت في باريس، من أول لوحة تجريدية وكيف تغير شكل التجريد وإيقاعاته البصرية والحركية ووجود أنماط من الأشكال التي تمثل التجريد المطلق، وصولاً إلى المرحلة الأخيرة التي راودني فيها الحنين للتشخيص في المجال التجريدي، ويدخل فيها المجال الميتافيزيقي. أما تجربتي في الوزارة فهناك إلحاح من قبل كثير من الأصدقاء على كتابة يوميات العمل الوزاري لإفادة الآخرين، وهو أمر لم أحسمه بعد.

هل تحاول التفرغ للفن فقط في تلك المرحلة بعد 25 عاماً كوزير ثقافة؟

- أنا اعتبر الوزارة «مهمة عمل» وانتهت. وفي الحقيقة لدي مشروعات فنية أخرى، لأنني لم أخرج كل طاقاتي الإبداعية بعد، كما أن التجريد يحتاج طاقة عاطفية جبارة ومهولة جداً لكي يخرج، غير التشخيص الذي يحتاج لجهد عضلي، وبالتالي ربط العقل بالطاقة الابداعية عملية مرهقة، لكن إذا وجدت الوقت لذلك سوف أفعل.

هل تطلعنا على تلك المشروعات؟

- أجهز لمتحفي الخاص، وهو الذي سيبقى ليتحدث عني وعن أعمالي، وسيكون مقره بحي الزمالك، يجمع أعمالي ولوحاتي إلى جانب مقتنياتي الشخصية من الأعمال الفنية لكبار الفنانين في العالم ومن مصر أيضاً، فلدي مقتنيات: لآدم حنين ومحمود سعيد، ومحمد ناجي.. وغيرهم، فضلاً عن كبار الفنانين الفرنسيين والإيطاليين، وأيضاً مكتبة ثرية ومقتنيات من التحف التي انتقيتها بعناية وجمعتها



خلال أسفاري حول العالم. كما أعكف على توثيق تجربتي في الترشح لليونسكو، لأن بعض الأصدقاء نصحوني بتوثيقها لإفادة الآخرين، وهي بالفعل تجربة ثرية أتطرق فيها إلى أسرار لم أكشفها من قبل عن علاقات بشخصيات دولية، وأحداث وملابسات الترشح.

بخصوص تجربة الترشح لليونسكو، هل هناك أسرار جديدة لم تكشفها من قبل؟

- بالطبع، فقد كانت معركة سياسية بامتياز، واكتشفت أن مسألة «الربيع العربي» التي كان مخططاً لها هي السبب وراء تغير موقف بعض الدول ومحاربتها لي كي لا أفوز بالمنصب، فكيف سيكون عربي ومصري على رأس منظمة اليونسكو وهم يريدون تقسيم الوطن العربي. لقد عمل اللوبي اليهودي بأقصى جهد. وفوجئت، فبعد دعم الرئيس الفرنسي آنذاك نيكولا ساركوزي الذي قال لي حرفياً: (أنا أدعمك وفرنسا كلها وراءك)؛ تغير موقفه تماماً، كما سعت دولة قطر إلى تغيير مواقف دول عربية وإسلامية.

البدايات والإرهاصات الفنية

نشأتك في حي بحري بالإسكندرية، كيف أثرت على مسيرتك الفنية والعملية؟

- بدايات أي إنسان تبدأ من طفولته ومن الشباب المبكر جداً، ويكون لها عامل كبير جداً في التأسيس والأحلام. ووجودي أمام البحر والأفق الممتد أثر على تكوين رؤيتي الفنية، ثم كانت الثقافة الكوزموبوليتانية في الإسكندرية والانفتاح على الثقافات المختلفة لها أثر عميق أيضاً. أما الموسيقى فكانت عاملاً موحياً للتأمل بشكل كبير جداً، كنت أستمع منذ طفولتي للموسيقى الكلاسيكية، ووالدتي شجعتني، وأنا أتعجب كيف تنبأت بموهبتي وفني، حتى عندما بدأت توجهاتي التجريدية في الفن تظهر كنت أعلم أن كل الناس سوف تنتقدني عليها، لكن والدتي شجعتني وكانت تقتني أعمالي.

ما هي القراءات التي شكلت خلفيتك الثقافية؟

- لا شك أنه في ظل الحالة الثقافية في مصر آنذاك، وقراءاتي للأدب الغربي، فقد كنت مولعاً بشعر تي إس إليوت،


مع الأغا خان


الأمير تشارلز


الشيخ زايد آل نهيان بمسجد محمد علي بالقلعة


الشيخ عبد الله بن زايد

و ر ا مبو ،

فيرلين، وكنت أقرأ لكل الكتاب الذين يجمعون بين الجانب السردي والفلسفي، كنت ولا زلت عاشقاً للغرابة في الكتابة، كما أعشق رؤية كل غريب في الطبيعة، وكنت أفاخر بيني وبين أصدقائي أنني قرأت لأوجين يونسكو، وأوسكار وايلد، وجوناثان سويفت.. وكنت معجباً بعنصر الدهشة التي تبثها كتاباتهم، وهي عنصر أساس في تحريك الطاقة الإبداعية. كنت أجد بداخلي صراعاً يتأجج دوماً للتعبير بالفن والتشكيل عما قرأت بشكل أفضل من كتاباتهم، وحالياً أظل أتعجب من وجود روح التحدي والتصدي للاشيء، كيف كنت أنافس بيت شعر، أو نصاً فلسفياً لأرسطو أو نيتشه؟!

أدين بالفضل لكتاب «حوار العباقرة» قرأته وعمري 16 سنة، كان بمكتبتي، ولكن فقدته أثناء انتقالي لباريس. كانت في الكتاب حوارات بين سقراط وبيكاسو أو شاجان، حوار بين شخصيات ومفكرين ومبدعين في مختلف المجالات. وكتاب «الموسيقى والحضارة»، لهوجو لايختنتريت، علمني التكنيك الموسيقي والتراكيب الموسيقية والأساليب، بدءاً من عصر الباروك. فانصهرت كل تلك القراءات بداخلي.

استعدت 21 ألف قطعة أثرية من إسرائيل.. والمعارك التي خضتها تعكس حجم إنجازاتي في الثقافة والآثار

الحياة الشخصية لفاروق حسني واتهامات الشذوذ

صرحت في أكثر من منبر، بأن وزير الإعلام الأسبق صفوت الشريف اتهمك بالشذوذ بهتاناً، فلماذا لم تتزوج حتى الآن؟

– المرأة لها دور كبير جداً في حياتي سواء حب أو ارتباط أو حتى زواج عرفي. تزوجت عرفياً لعامين، وارتبطت بعلاقات عديدة، وكانت معروفة في المجتمع، لكن لم يكتب عنها في الصحافة، لذلك لا يعرفها الرأي العام، حتى أثناء شبابي في أوروبا كانت لي صداقات حميمة في أوروبا. لا يوجد رجل يستطيع الابتعاد عن المرأة. مررت بعدة تجارب لكنني لا أحب أن تكون حياتي الشخصية منكشفة. وبوجه عام، أنا ضد الحياة الزوجية لأن مؤسسة الزواج تسبب لي إشكال كفنان لأنني عاطفي جداً والارتباطات الأسرية والأطفال وغيرها كانت ستؤثر حتماً على حياتي الفنية والعملية. لكن علاقاتي كاملة ومتغيرة ومتعددة.

معارك فكرية وسياسية

كونك أهم وزير ثقافة في العالم العربي، ما هي أهم المعارك الفكرية والسياسية والاجتماعية التي خضتها من وجهة نظرك؟

– أهم شيء في فترة ولايتي للوزارة كانت المعارك، لأنها تعكس حجم عملي وتثير الانتباه للحدث وما وراء الحدث، لن أتحدث عن الأصول الثابتة التي حققتها: المكتبات والمسارح ومراكز الإبداع. وأكثر المعارك التي كنت خضتها كانت حول مفهوم العمل الثقافي وفلسفته. كنت دوماً أتحدث عن تحديث الرؤى الثقافية. كانت هنالك رؤى لكنها جامدة تحتاج لتحديث، هؤلاء كانوا يهاجمون إنقاذاً لكيانهم، ولا يقدمون الجديد بل يهاجمون كل جديد، تلك كانت أكثر حروبي ومعاركي أهمية.

وماذا عن معاركك مع «الإخوان المسلمين» وأزمة تصريحاتك عن الحجاب؟


البابا يوحنا بولس الثاني - بابا الفاتيكان الأسبق


الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك وقرينته.


المخرج شادي عبد السلام والفنان بيكار


الملك محمد السادس ملك المغرب

- كانت أغلب معاركي معهم تتعلق بحرية الفكر والإبداع، وكانت تلك القضايا تطرح أمام البرلمان المصري وأشهرها قضية رواية «وليمة لأعشاب البحر» لحيدر حيدر، وفوز سيد القمني بجائزة الدولة، كانوا يحاولون دائماً الهجوم من خلال الدين. وبعد الثورة حاولوا اتهامي بالفساد المالي وأصروا على سجني لكن القضاء أنصفني. وكانت تصريحاتي حول الحجاب أيضاً وسيلة لهم للهجوم، انتزعوها من سياقها وحولوها لقضية رأي عام. وما زلت عند رأيي فأنا ضد حجاب الأطفال، لأنه استحضار للأنوثة المبكرة وقتل لمرحلة الطفولة التي هي حق من حقوق المرأة.

موقفه من ثورة يناير 2011

هل أضرت ثورة 25 يناير مصر، وبرأيك لماذا لم تتحقق ثورة ثقافية وفكرية واجتماعية؟

- بالطبع أضرت بالثقافة تحديداً، لأنه لحدوث ثورة ثقافية لابد أن نحدث هزة في الكيان الفكري، نتخطى الواقع لواقع جديد له مذاق آخر، وهذا هو جوهر الفن. ولكي يعتلي أحد مركبة الثقافة ويتجه فيها لتصورات معينة، يحتاج إلى خيال وتصور ذهني عالٍ في كل تلك القضايا، فضلاً عن جمع من العقول المحيطة به يملكون من الخيال ما يساعد على انطلاق الخيال الجمعي.

وزير الثقافة الحالي حلمي النمنم مثقف، وأعرفه جيداً، وله قدرات ذهنية عالية، وعنده طاقة مؤثرة؛ لكن وزارة الثقافة تحتاج لضفيرة من كلما يشكل وجدان الشعب، كما يجب تحفيز الشباب على جنون الفن والإبداع. الإبداع جنون، إذا لم تكن هناك هذه الومضة التي تخرج إبداعاً جديداً يثير المجتمع ليظل يفسر ويحلل لن تجدي تنمية ثقافية.

أثناء فترة ولايتي أسست مسرح الهناجر، ومركزاً للإبداع، والمكتبة الموسيقية بدار الأوبرا، ورممت البيوت الأثرية التي تحولت لمراكز ثقافية: السحيمي والهراوي وطاز، وبيت العود.. وغيرها. حاولت تقديم مفهوم جديد للعمل الثقافي. ورغم طول فترة ولايتي إلا أنني لم أحقق كل ما تمنيته لمصر.

هل إقامتك في دبي لأربع سنوات عقب الثورة كانت نوعاً من الهروب؟

- وجدت فرصة عقب الثورة للاستراحة من متاعب وظيفة «الوزير» وإخلاء المساحة للفنان بداخلي، وأقمت معارض في دبي وأبو ظبي والكويت وباريس، ووجدت تجربتي الإبداعية تتشكل من جديد، وخضت مرحلة فنية جديدة تمزج بين التجريد والتشخيص، في الوقت ذاته لا يخفى على القاصي والداني تدهور أحوال الثقافة والفن التشكيلي بوجه عام في عهد الإخوان، فكان من الصعب علي وأنا أعلم فكر ومرجعية الإخوان أن أقيم معارضي في مصر، لأنهم لا يؤمنون بالفن أو الإبداع، فالفن في نظرهم عورة يجب تغطيتها. أما في أعقاب ثورة «30 يونيو» فوجدت مصر التي أعرفها عادت من جديد وخرجت من ظلامها الدامس وكبتها، ودبت فيها الروح. وشعرت برغبة في العودة لحضن

انتزع البعض تصريحاتي من سياقها وحولت لقضية رأي عام



مع بطرس بطرس غالي أمين عام الأمم المتحدة سابقا



مع جورج بوش الأب - الرئيس الأمريكي السابق



مع زملاء الدراسة بكلية الفنون الجميلة في رحلة لمعبد أبو سمبل



فريدريك مايور المدير العام السابق لليونسكو.

مصر التي شهدت تطور مراحلي الفنية.

وماذا عن الرؤية الثقافية في العالم العربي في ظل الظروف الراهنة؟

- العمل الثقافي في مصر كان له تأثير على العالم العربي، ولا شك في ذلك. مصر دولة ثقافة، ليست دولة صناعة أو زراعة، بها مئات من المتاحف والمكتبات والمبدعين، والمنتج الثقافي المصري له بريقه ووهجه. ما يدور هنا يؤثر على العالم العربي، لأنهم يعشقونها. لكن التعاون بين الدول العربية مهم لأنه لو استطاعت دولة التفوق سينمائياً أو تشكيلياً أو أدبياً فالعائد لنا جميعاً، وأي مهرجان أو فعالية ثقافية ناجحة تجعلنا نشعر بالفخر أمام الغرب.

الاتهامات والإنجازات

لماذا لا تزال هناك اتهامات لك بأنك السبب في تدهور الثقافة؟

- من لا يعرف لن يقدر، لكن من يعرف يقدر! لويس عوض ونجيب محفوظ، ويوسف إدريس، ولطفي الخولي، وأحمد بهاء الدين، وسعد الدين وهبة، ويحيى حقي؛ كل هؤلاء كانوا مقدرين لدوري في الوزارة، فهل كل هؤلاء مخطئون؟!

التاريخ سوف ينصفني بما قدمته لمصر، فلم يكن في عهدي حجب لأحد، وكنت دوماً مناصراً لحرية الفكر والإبداع للجميع! وأتصور أن من لا يملك شيئاً ليقدمه يريد أن يكون له موقع بالانتقاد وينتقدني على حساب

مصر دولة ثقافة وليست دولة صناعة أو زراعة

مقعد في الوزارة الحالية التي جاءت عقب 11 وزارة خلال 5 سنوات!

لاحظي أيضاً أن وزارة الثقافة في عهدي كانت وزارتين في وزارة «الثقافة والآثار»، كان لدي هم كبير جداً في الآثار، وكان لابد أن يأخذ اهتماماً كبيراً جداً، لأنها كانت مهملة. كانت خمسة متاحف فقط في مصر، اليوم هناك 42 متحف آثار فقط، فضلاً عن متحف الحضارة والمتحف الكبير، غير المتاحف الفنية والتاريخية، كلها حوالي 80 متحفاً. وأؤكد لكِ أنه لا يوجد مكان في مصر بدون متحف.

بعد 18 سنة في أوروبا كنت أرغب أن أرى بلدي لا تقل عن أي بلد آخر، وليس عندنا عذر، لدينا الإنسان والإمكانات والحضارة، ومن العيب أن دولة عظيمة مثل مصر، لا يعرف أبناؤها كيفية تطويرها، والأفكار كثيرة جداً.

هل كانت لديك مشروعات لم تتمكن من تحقيقها أثناء ولايتك لوزارة الثقافة والآثار؟

- بالطبع، كانت لدي فكرة مشروع متحف للآثار الغارقة، ومتحف تحت الماء بالإسكندرية، يحوي أطلال قصر كليوباترا ومعبدها وبقايا فنار الإسكندرية أحد عجائب العالم القديم. وبالفعل كنا بصدد دراسة عدد من الأفكار من أوروبا وآسيا، لكن كان في ذهني فكرة أبعد، أن يتم استغلال الميناء الشرقي بإغلاق البوغاز وتفريغ مياه البحر تماماً من فوق الآثار الغارقة، وتتم عملية الحفائر الكاملة للإسكندرية الغارقة، لأنه هناك كنوزاً لا يمكن إخراجها، فهناك قطع أثرية ضخمة جداً. وكانت تكلفة المشروع مليار





فاروق حسني في مراحل عمرية مختلفة



هيلارى كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة



في مكتبه

دولار، ولم تكن الإمكانات المادية متاحة لذلك، ورغم أن الفكرة «جنونية» لكنها كانت ستجلب الملايين والمليارات، وأنا حزين أن هذا المشروع لم يتم. وكنت أتمنى أيضاً مزيداً من التطوير لمنطقة القاهرة الإسلامية، لأنها ليست فقط شارع المعز، كنت أود أن يكون حياً متكاملاً، وللأسف المشروع لم يكتمل كما كان في ذهني. كذلك لم يكتمل مشروع تطوير المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية، ولا متحف نجيب محفوظ.. وغيرها. أتمنى أن أراها تتحقق قريباً.

كانت لك تصريحات قلت فيها «وزارتي كان بها أخطاء»، ما هي الأخطاء التي قصدتها؟

– لا أحد معصوم من الخطأ، الخطأ الكبير أنني لم أصر تماماً على تعيين من 20 إلى 30 شاباً في المراكز الثقافية وقصور الثقافة لخلق حالة ثقافية عامة «كمحرك ثقافي»، وكنت دوماً أقول لكل رئيس هيئة لدي إن هذا مفتاح النجاح، لكنني لم أكن لأدير كل هيئة من هيئات وزارة الثقافة بنفسي! فقد كانت لدي وزارتان في وزارة واحدة، وكانت رئاستي للمجلس الأعلى للآثار مع الوزارة تحتل جزءاً كبيراً من طاقتي، حيث كنت دوماً حريصاً على تنمية قطاع الآثار وجلب السياحة للإنفاق على الثقافة.

بصفتك عاشقاً للآثار، كيف ترى تدمير تنظيم «داعش» لآثار سوريا والعراق، وماذا كنت ستفعل لو كنت مديراً لـ«اليونسكو»؟

– ما حدث جرائم كبرى في حق البشرية، وليس في حق تاريخ وآثار العراق وسوريا فقط. هذا التنظيم الإرهابي هدفه واضح هو محو تاريخ البشرية، وتحديداً الأمة العربية وحضارتها العريقة، فالآثار هي بصمات الإنسان ودليل وجوده في هذا الكون. ودور اليونسكو دوماً يظل مقيداً وفق حسابات سياسية، كما أن ضآلة ميزانيته الحالية، تكبح دوره في حماية التراث العالمي. لكن لا ينبغي لنا نحن العرب السكوت عن تلك الجرائم وتحريك المجتمع الدولي بشتى الطرق. لابد أن نحارب التخلف والجهل لدينا، ولابد أن نقطعه لكي نعبر تلك المرحلة التاريخية الحرجة.

ما ردك على الاتهامات التي تلاحقك بالتفريط في الآثار المصرية وتهريبها لإسرائيل وقطر؟

– لمن يمكن أن أهدي شيئاً لا يقدر بثمن من تراث بلادي؟! لقد استعدت 21 ألف قطعة من إسرائيل فقط، فضلاً عن باقي دول أوروبا وأمريكا. ولمن يكيلون الاتهامات أود تذكرتهم بأنه في عام 1987، حينما توليت الوزارة كانت البعثات الأثرية تحصل على 10 % من الخبيئة الأثرية المكتشفة، ومنعت ذلك بتعديل القانون وبقرار وزاري، وقلت أمام مجلس الشعب (يكفي أنهم يحصلون على درجات علمية من كشوفهم الأثرية)، وحدثت مشاكل كثيرة مع مجلس الشعب بسبب ذلك.

تنظيم داعش هدفه محو تاريخ الأمة العربية وحضارتها

النوم على السطح

عبدالباقي يوسف: العراق

استفاق ألماظ من لفائف نومه العميق ببطء شديد وهدوء تام دون أي شعور بالفزع، انفرجت عيناه بلطف للحظات، ثم ما لبثت الرموش أن تشابكت مع الرموش لتعيد حدقتَي العينين إلى طواف مملكة الغموض، ثم بعد هنيهة عادت الرموش تتباعد عن بعضها مسافة دهر لتنفتح حدقتا العينين برفق وتؤدة، وأعضاؤه تتذوّق لذة الاستلقاء على الظهر بمفاصل مفككة مستكينة في قاع الاسترخاء البدني والروحي.

راوده إحساس في لحظات أن جسده وردة بدأت تتفتح أوراقها مع بدء انتشار بزوغ فجر ربيعي حافل على ظلمة الشجرة التي تنتصب بشموخ في مجد علوها.

أزاح الشرشف الحريري الشفاف الزهري اللون عن جسده بالكامل، فبدأت مسامات الجسد تتلقى نفحات نسيم عليل كأنها انبثقت من حيث لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهو متكئ بثياب خضر من سندس وإستبرق على أريكة من أرائك جنان خلد تجري من تحتها عذوبة أنهار لا تشوبها شائبة.

بدأت أساريره تتفاعل بأنس مع نفحات النسيم الذي يتداعى إلى رعشات الروح والجسد في بهاء ألق هذه اللحظات الاستثنائية النادرة.

أحس بأن مفاصل عموده الفقري تستلذ بأخذ أعظم جرعات استرخائية ذهبية، فتعانق أساور اللذة خصلات ذهب الاسترخاء ليقدّما هديتهما الثمينة إلى سائر مناخ النفس المنتشية في قمة السطح الذي يستلقي عليه مع زوجته وأطفاله الثلاثة.

خمس سنوات وهو يكتشف مزايا النوم على السطح في تلك الإطلالة المفتوحة في جميع الأوقات:

بهاء إطلالة أول المساء، لمسات إطلالة سكون الليل، سحرية إطلالة شروق الشمس، عبق إطلالة نفحات الصباح.

كل إطلالة تتمتع بمناظر جديدة تمدّ النفس بمشاعر الحيوية والتجدّد. كان في الماضي حين يقبل الصيف، ينام مع زوجته على سرير صغير يتسع لجسديهما بالكاد في فناء الدار، وحين ولدت ابنته بعد خمس سنوات من الزواج اضطر أن يبتاع سريراً حديدياً كبير الحجم كي يتسع لنومهم معاً في الحوش.

عندما حلّ الشتاء، أحس بأن مساحة الحوش تضيق بالسرير الكبير والمكيّف المائي الذي لم يعد لهما لزوم في الحوش، فكانت فكرة أخذهما إلى السطح ووضعهما إلى جانب السرير القديم.

خمس سنوات مضت منذ أن اتخذ مع زوجته قرارهما الحاسم بالنوم على السطح في فصل الصيف الذي يكون عادة شديد الحرارة، مقارنة بالشتاء الذي يكون شديد البرودة، والربيع الذي يكون غني الخضرة، والخريف الذي يكون شديد هبوب الرياح التي لا تدع ورقة على غصن شجرة إلا وتطرحها أرضاً وتدفع بها على شكل ركام إلى حيث الأودية والأنهار.

كان ذلك اليوم من الأيام الأولى لقدوم الصيف، كان إذ ذاك مع زوجته على السطح كي يهيئا السرير والمكيّف لإنزالهما باستعانة بعض الجوار إلى الحوش.

في تلك اللحظات الصباحية من يوم الجمعة قالت له زوجته وهي تجوب بنظرها الأسرّة المحجوبة بالستائر فوق الأسطح وكأنها تنظر إليها أول مرة: النوم على السطح يشرح النفس يا ألماظ. شاركها النظر إلى جمالية الأسرّة المنتشرة على الأسطح وقال: معك حق يا تقى.

قالت: لا نحتاج سوى إلى سلّم حديدي، وارتفاع بالقرميد على دائر السطح.

عندها راوده شعور بالتردد في إنزال السرير، واكتفى بإنزال المكيّف.

في الأسبوع القادم ذهب إلى الحدّاد، وجلبه كي يأخذ المقاس ويخبره بتكلفة السلم الحديدي، ثم ذهب إلى البنّاء واستطاع أن يأخذ فكرة عن تكاليف هذه الإضافات إلى بيته.

بعد نحو أسبوعين آخرين رأى بأنه مستعد أن يتحمل هذه التكاليف، فشرع في تنفيذ الفكرة، واستغرق ذلك نحو عشرة أيام من العمل حتى أصبح السطح جاهزاً لاستقبالهما في هيأته الجديدة.

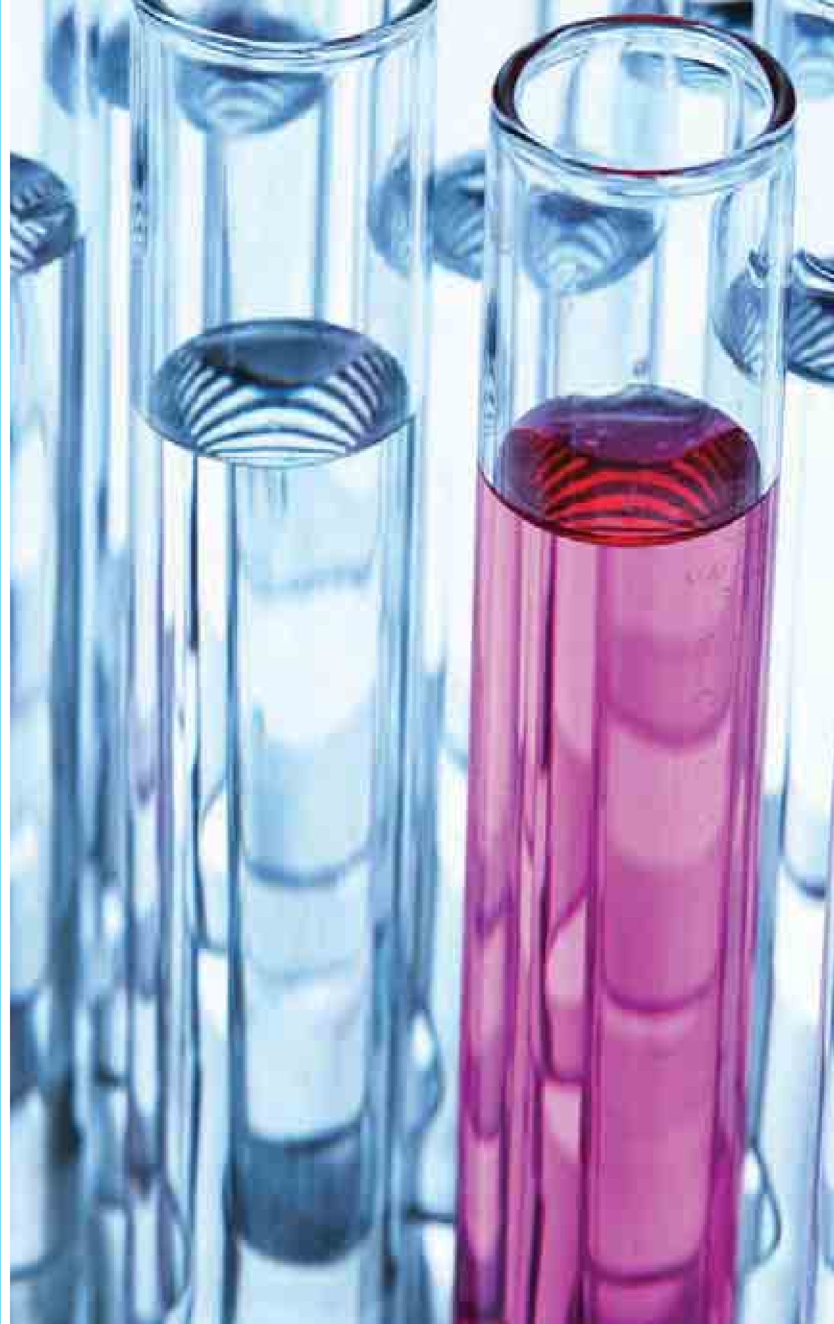
بدأ الصعود إلى السطح بمثابة نصف نزهة بالنسبة لعائلته الصغيرة، حيث يمضون معظم الوقت عليه، تناول الفطور في الربيع، والمشاوي عند الغداء، وفي الشتاء الجلوس بدفء الشمس، وفي الصيف السهر والنوم.

فتقول تقى: أشعر بأننا امتلكنا مساحة أرض إضافية في بيتنا، ماذا كنا سنفعل دون السطح.

إشكالية ترجمة المصطلح

السيميائي إلى العربية (الـ Sémiose أنموذجاً)..





د.فريد أمعضشو: المغرب

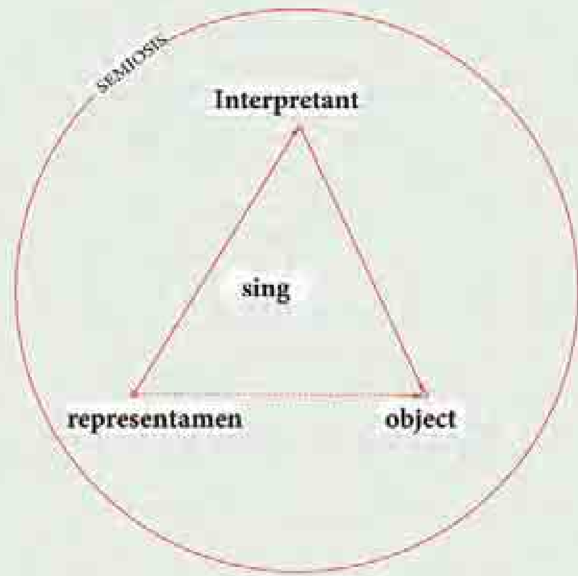
لعلّ من أكثر مصطلحات السيميائيات التي شَغلتْ نقاد هذا المجال ودارسيه، في الغرب وفي غيره، اصطلاحَ الـ«Sémiose» أو الـ«Sémiosis» الذي يبدو أشْبَه بـ(العنكبوت الذي يتوسَّط شبكة العلاقات بين ثلاثة عناصر (في فلسفة بيرس التثليثية)، هي: «العلامة أو الممثِّل» (Representamen)، و«الموضوع» (Objet) الذي تحيل عليه، ومؤوّلها (Iinterprétant)....

ويحدده جيرار دولودالّ (G. De Ledalle) بأنه حركة أو سيرورة تفترض تشارُك ثلاثة عناصر هي: العلامة الممثل، والعلامة الموضوع، والعلامة المؤول.

وهـذه الحركـة المتداخلـة بيـن هـذه العناصـر الثلاثـة لا يمكـن بـأيّ شـكل مـن الأشـكال أن تُختصَـر فـي علاقـات زوجية). وقد حار الدارسـون العرب المعاصـرون، فعلاً، في ترجمة هذا المصـطلح «الإشكالي» إلى لغتهم، لذا ألفَيْناهم كثيري التخبُّط في هذا المضـمار؛ الأمر الذي حَدا أكثرهم علـى الاكتفاء بتعريبـه أو إدخاله إلى العربيـة دون إجراء أي تحويـر في بنيته انسـجاماً مع نظام اللغة العربية الصـوتي والصرفي. فمن العامدين إلى تعريبه، وهم كُثْرٌ، نذكر، مثلاً، عبد السـلام بنعبدالعالي، ومن العامديـن إلى إدخاله، وهم أقـلُّ عدداً مـن المتقدمين، نذكر عبدالرحمـن بوعلي الذي اقترح له مصطلح «السيميوز»، وسعيد علوش الذي نقله إلى العربية تحت مصطلح «سيميوزيس». وقابله أنور المرتجي، فـي كتابـه «سـيميائية النص الأدبي»، بعبـارة «كل مـا هـو سيميائي» طوراً، وأثْبَتَه، طوراً ثانياً، بأحْرُفه اللاتينية فقط (Sémiosis)، لَمّـا أعْيـاه البحث عن مقابل عربي أنسـب أو مُناسب، على الأقل، لمفهومه. واقترح حسين خمري ترجمة هـذا المفهـوم بتعبير وَصْـفي، هـو «الوظيفة السـيميائية»؛ وهـي صـيغة لا تسـمي ذاك المفهـوم بقـدر مـا تشـير إلـى وظيفتـه أو تعـرِّف بـه، ويبـدو أن الناقـد قد اسـتقى تعبيرَه هـذا مـن معجم غريماص وكورتيس المشـهور، الـذي رادَف بين الـ«Sémiosis» و«الوظيفة السـيميائية» (Fonction sémiotique)، وجعَلهمـا بمثابـة أمـر واحـد يحيـل علـى «العملية التي تشيِّد العلاقة الافتراضية المتبادلة بين شكل التعبيـر وشـكل المحتوى باصـطلاحات هلمسـليف، أو بين الدالّ والمدلول باصطلاحات دو سوسير». ويُترجَم مفهوم السيميوز، عربياً، بـ«التأشير» (بشير القمري مثلاً)، وبـ«عمل الإشارة» (بسام بركة مثلاً)، وبمصطلحات أخرى غيرهما.

وللناقـد الجزائـري عبدالملك مُرْتاض جهـدٌ متميِّز في هذا السياق، وإنْ لم يَسْلَم، هو الآخَر، من الوقوع في الحَيْرة، لـدى تعامله مع هذا المفهـوم الأجنبي، ومحاولته نقلَه إلى العربيـة. فقـد وجدناه، في أول اتصـال له بالـ«Sémiose»، يكتفـي بتعريبه، مُقتفياً أثرَ جُلِّ مَن سـبقوه، ولكنه خالفهم بإسـقاطه إحدى ياءَي الكلمة (سـمْيُوزة)؛ لأنه لم يرَ فائدة فـي مـدِّ الحـرف الأول مـا دامـت كَسْـرته مُغْنيـةً عـن الياء. وفـي مرحلـة ثانيـة، ألفيْنـاه يذكـر هـذه الكلمـة المعَرَّبـة مقرونةً بالمصـطلح الذي يقترحـه ترجمةً لمفهومها، وهو «المُواسـم». يقـول: (ليـس النص، فـي النهايـة، إلا شـبكة العلاقـات القائمـة على تبادل السـمات البسـيطة: المواقع، والتـي تُفضـي إلـى نشـوء مُثـول السـمات المركبـة التـي تفضـي إلـى مُثول الملفوظـات أو المنطوقـات التي هي، في حقيقتها، «سـمْيوزة» أو «مواسِم» (بضم الميم الأولى)، وهو من ترجمتنا الشخصـية لمصـطلح «سـميوزة»...، ينشـأ عن السـيمائية التـي هـي إجراء متحكِّم في هذه العناصـر على غاية من الصرامة). وفي مرحلة ثالثة، رأينا مرتاضاً، بعد طـول تفكر وتنقيـب عـن المقابل العربـي الأنْسَـب لمفهوم السـيميوز، يسـتقرّ علـى مصـطلح «المُوَاسـم»، ويعمـد إلـى كتابتـه وحـدَه دون أن يُرْفقـه بمُرادفه الفرنسـي أو المُعَرَّب. وقـد تأتّـى لـه ذلـك بعد قـراءة كتـاب «السـمة» (Le signe، Labor، Bruxelle، 1988) لأمبرتـو إكو (U. Eco)، وبعد أن تبـدَّى لـه أن لفظـة «السـميوزة» لا تعني شـيئاً فـي اللغة العربية غير القُصُـور عن إيجاد مقابل عربي يكون له الحد الأدنـى من العلاقـة بالمعنى الأصـلي المسـتعْمَل في اللغة





السيمائية الغربية. وقد علّل مرتاض مقترَحه ذاك بما يدل على أنه كان واعياً ومدركاً أبعادَ مصطلحه، الذي يُعْزى إليه الفضل في إتْحاف العربية به، إلى جانب مصطلحات أخرى لم يلقَ أكثرُها الرواج الذي كان ينتظره منها!؛ إذ يقول: (لقد اقترَحْنا «المُواسم» على أساس أنه مفهوم قادر على المشاركة، بل البَلْوَرَة والربط بين هذه الأطراف الثلاثة التي تكوّن هذا النظام السيمائي). واشتقَّ من مصطلحه هذا لفظ «التّواسُم» - على زِنَة «التّفاعُل» التي تفيد غالباً معنى المشاركة؛ كما يقرر ذلك علماء الصرف - قاصداً به (شبكة العلاقات الرابطة بين السمة بوصفها مظهراً، والسيمائيات بوصفها إجراءً).

بعد كل هذا التضارُب والاختلاف الحاصل بين الدارسين العرب المعاصرين، وهم يواجهون مصطلحاً أجنبياً بعيْنه، وانقسامهم بين معرِّب ومترجم له، يقول يوسف وغليسي متسائلاً ومجيباً في الآن نفسه: ألا يَدْعونا كل ذلك إلى إحياء مصطلح تراثي آخر، قد يليق بهذه «السميوزة»، وهو «التّسْويم» الذي اقترحه حازم القرطاجنّي قديماً ليُطلقه على العملية التي يقوم بها الشاعر القديم حين يتفَنَّن في الانتقال من حال إلى حال، ومن مقصد إلى مقصد، أو من موضوع إلى آخر داخل القصيدة الواحدة، لكنه يَصطنع براعة خاصة في كل مقطع، تَشي بالانتقال، وتُعلم بحُسْن تخلص، رأفةً بالنفوس المتلقية... كأن القصيدة هنا «ممثل»، وتغيّر أحوالها أو تعدد الأغراض التي تلتئم ضمنها «موضوع»، ونشاط النفوس المتلقية لها «مؤول»، والعملية التي يقوم بها الشاعر للربط بين هذه الأطراف كلها «تَسْويم».


يوسف وغليسي


عبدالرحمن بوعلي


عبدالملك مرتاض


أنور المرتجي





شخصية الملك عبدالعزيز في مرآة الرحالة المغاربة

الزبير مهداد: المغرب

يعد الملك عبدالعزيز آل سعود المؤسس الفعلي للمملكة العربية السعودية، فقد كان له تأثير كبير على بلده وعلى كل المنطقة، بفضل الإنجازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحققت على يديه، والوزن الكبير الذي اكتسبته المملكة بفضل سياسته الحكيمة وتدبيره المحكم لعلاقات بلده الخارجية وسياسته الدولية.

وتعد الرحلات الحجية إحدى أهم الوثائق التي تدون منجزات الملك وترصد التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي تم في ظل حكمه.



ذكر الحجوي أن الملك عبدالعزيز كان كثير الصلاة بالليل والنهار كثير الأذكار قليل النوم يكتفي بنوم ست ساعات.. بار بوالديه كريم النفس سخي اليد

وهذا المقال يحاول استقراء رحلات خمسة كتاب مغاربة، زاروا المملكة في عهد الملك عبدالعزيز ودونوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم، وهم، الأول إدريس بن محمد الجعيدي، قاض، رحل إلى الحجاز عام 1348هـ 1930م، نشر مذكرات رحلته في حلقات بجريدة السعادة، الثاني محمد بن أحمد الهواري، رئيس تحرير جريدة «السعادة»، رحل إلى الحجاز سنة 1352هـ 1934م نشر مذكرات رحلته بجريدة السعادة، ثم أصدرها في كتاب «دليل الحج والسياحة» تضمن ثمانين صورة فوتوغرافية تعتبر اليوم نادرة لأقدميتها، الثالث أحمد الرهوني التطواني، عالم، قاض ووزير عدل خلال الاستعمار، رحل إلى الحجاز عام 1937، نشرت رحلته في تطوان، الرابع محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، فقيه، عالم إصلاحي ووزير، حج عام 1946، خلف تقريراً مخطوطاً حول رحلته، الخامس محمد بن عبد السلام السايح، عالم تولى القضاء رحل إلى الحجاز على رأس الوفد المغربي، عام 1366، خلف أخبار رحلته «لمحة البصر على الديار المقدسة» مخطوطاً في خزانته.

القاسم المشترك بين هؤلاء الرحالة، هو درجتهم العلمية العالية، وتوليهم مناصب المسؤولية العلمية والإدارية والقضائية في بلدهم، وتوثيقهم لرحلاتهم منها ما نشر في كتاب، أو على صفحات جريدة «السعادة» الواسعة الانتشار بين النخب المثقفة. حرصاً منهم على تعميم المعرفة وتنوير الرأي العام بمشاهداتهم ومعايناتهم بالمملكة العربية السعودية في فجر نهضتها بقيادة الملك عبدالعزيز.

صفات الملك

خصص الرهوني الفصل الأطول في الرحلة للجانب السياسي لمكة، بالحديث عن تاريخ إمارة مكة من أيام الخلفاء ثم الأشراف فالدولة السعودية الحديثة، ثم أتبعه بالحديث عن الملك عبدالعزيز، الذي ترجم له ترجمة حافلة، فتحدث عن نسبه، نشأته، صفاته وهواياته ومواقفه، مؤكداً أن مواقفه لها أثر في التاريخ الحديث في المنطقة كلها.

في بدنه

انفرد الهواري بتحديد صفات الملك البدنية، ما يمكن من تكوين صورة دقيقة عنه (طويل القامة، ضخم الجثة، واسع الفم، ذو وجه مدور لوحته الشمس، أسمر البشرة، قل أن يوجد من يدانيه في الطول. ذو لحية صغيرة، وبأحد أصابعه شلل). في حين أن الحجوي ذكر أنه يلبس النظارات على عينيه، ولكن يقرأ بدونهما.

نظيف البدن، يكثر الاغتسال، حتى ربما يغسل في يوم الصيف ست مرات.

ثقافته

ذكر الرهوني في حديثه عن الملك أنه دخل المكتب وعمره سبع سنين، وختم القرآن الكريم صغيراً، وكان يحضر مجالس والده، وتعلم حينئذ التوحيد ومبادئ الفقه في كراسة أعدها له والده. فثقافة الملك عبدالعزيز يقول الحجوي إنها عربية لا يخالطها شيء من الثقافات الأخرى،



وقد درس الفقه على المذهب الحنبلي والتوحيد على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وأعرب الهواري عن إعجابه بخصال الملك وبخاصة تمتعه بقدرة مميزة على ارتجال الخطب الطويلة بلسان بين، لا تلجلج فيه ولا توقف، ويخطب على البداهة كأنه طالع ليالي عديدة، ولا تقيد بأساليب البلغاء أو قواعد اللغة، بل بمطلق لهجة أهل نجد، مع الركون في الغالب إلى المسحة الدينية، يستحضر الآيات والأحاديث كأنها مكتوبة أمامه.

الحجوي أيضاً أكد ما ذكره الرهوني والهواري عند تعداد صفات الملك، فأشاد بعلمه وفصاحته، ومهارته الخطابية، كما نوه بما يتميز به من «ذكاء متوقد وحافظة جيدة وطوية إسلامية وشهامة عربية».

تقواه وتواضعه

كثير الصلاة بالليل والنهار، كثير الأذكار قليل النوم يكتفي بنوم ست ساعات.

بار بوالديه، رحمهما الله، عزوف عن لذة الأكل والشرب إلا ما لا بد منه، كريم النفس، سخي اليد إلى أقصى درجة، إذا ظفر، حَلُم وعفا حتى صار أعداؤه أحباباً له.

ملابسه بسيطة جداً ونظيفة، وقد ارتدى فوق قميصه الأبيض، عباءة سوداء من نسيج الصوف الرقيق. يميل في ذلك إلى البساطة التامة، كما هو شأنه في كل شيء، حتى لم نر من يفضله من رجاله.

وقد رأينا لجلالته، أيضاً، على مائدة الطعام البساطة التامة، بحيث أنه يحادث الناس من دون كلفة، ويعاملهم معاملة الأخ المسلم لأخيه، مع المجاملة والهش في الوجوه، من دون الخروج عن دائرة الجد والآداب.

شجاعته ورباطة جأشه

يتفق الحجوي مع الرهوني في وصف الملك عبدالعزيز بالشهامة والشجاعة والإقدام وعزة النفس وعلو الهمة، ويذكر الهواري ذلك بشهادات ووقائع تاريخية: (رافق والده في غزواته، وفي 3 شعبان عام 1319هـ، ابتدأ انتصاره حيث انتصر على ابن الرشيد، وأخرجه من مدينة الرياض وحازها، ولم يزل في انتصار إلى أن استولى على الحجاز عام 1343هـ/ 1921م، ولم يزل ملكاً بها إلى حيث يشاء الله). يضيف الحجوي أنه يتمتع بحظ قوي في تسيير مملكته والظفر بأعدائه.

كرمه وحفاوته

حفاوة الملك عبدالعزيز بضيوفه وبشاشته وتواضعه وكرمه، أمور تتجلى بوضوح خلال المآدب وحفلات الاستقبال التي كان يقيمها على شرف ضيوف الرحمن، فقد سن عادة حميدة كل موسم حج، يزور مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، يتفقد خلالها أمور الحجاج ويطمئن على أمنهم وراحتهم، ويحاورهم ويحاورونه. فكان الملك يقابل الجميع بالبشاشة المعهودة فيه.

قال الرهوني: (جرت عادة هذا العاهل العظيم والملك

قال الرهوني: (جرت عادة هذا العاهل العظيم والملك الجليل أن يحج كل عام ويتفقد أحوال المسلمين ويتعرف إلى جميع أصناف المسلمين ويتعرفوا إليه فيكرمهم إكراماً عاماً)



الجليل أن يحج كل عام، ويتفقد أحوال المسلمين، ويتعرف إلى جميع أصناف المسلمين، ويتعرفوا إليه، فيكرمهم إكراماً عاماً)، هذه المآدب التي كانت قمة في الكرم والسخاء والاحتفاء بالضيوف، يحضرها مئات المدعوين، كانت تقام بداية في دار وكالة المالية العامة، ثم انتقلت إلى القصر الملكي، وإمعاناً في الكرم، كان يوجه سيارات فخمة لنقل الضيوف. تتخلل المآدب جلسات استقبال وشرب القهوة العربية، ثم العشاء، فجلسة القهوة الثانية.

أشاد الرحالة بالترتيب والنظام الذي كان يطبع هذه الحفلات، فضلاً عن التأنق الزائد في المطعم والمشرب، والبشاشة والحفاوة التي يلقى بها الملك ضيوفه من كل البلاد الإسلامية.

كتب الرهوني واصفاً الحفل: فدخلنا القصر العالي فوجدنا جلالة الملك وجميع المدعوين في صالون عظيم رفيع، ولما رآنا قام من موضع جلوسه، وسلمنا عليه، على عادته الكريمة مع كل داخل عليه، ثم جلس وجلسنا معه في المحل المعد لنا. ثم نودي على القهوة، فشربنا، فلما فرغنا من القهوة، قام جلالته فقمنا جميعاً وراءه إلى أن دخلنا إلى قاعة الطعام، فإذا مائدة طويلة آخذة من أول القاعة إلى آخرها وعليها كراسي بعدد المدعوين، والمائدة مملوءة بصحون كثيرة كبيرة وصغيرة، بعضها عليه أكباش مشوية، وبعضها عليه دجاج مشوي، وبعضها عليه أرز مطبوخ باللحم، وبعضها عليها خضر ومقبلات وفواكه، وغير ذلك، وأمام كل كرسي صحون فارغة وسكاكين وكؤوس ماء.

وغالباً ما كان الملك عبدالعزيز يكرم رؤساء الوفود ببعض الهدايا لهم ولرؤساء الدول، وهي عبارة عن قطعة من الكسوة الشريفة وتحف من الصناعة التقليدية السعودية.

خلاصات

جمع الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- عدة صفات في شخصه، بدنية وعقلية وثقافية وأخلاقية سلوكية، ما أهّله ليكون شخصية قيادية فذة متعددة القدرات والمواهب. فكان ذلك عاملاً مهماً من عوامل نجاحه الباهر في تأسيس المملكة العربية السعودية في ظروف دولية دقيقة وصعبة، خلال فترة زمنية قياسية، واستتباب الأمن فيها وتحقيق التنمية الاقتصادية والاستقرار السياسي، وضمان الإشعاع الدولي للمملكة الوليدة، واكتساب ثقة واحترام الدول الكبرى ذات العراقة والقوة العسكرية والاقتصادية الكبرى.

وعلى الرغم من قصر المدة التي يقضيها الحجاج في البلد، فقد كان الرحالة الحجاج المغاربة شهداء على تميز شخصية الملك عبدالعزيز، فشرحوه في مذكراتهم وكتبهم، حيث أشادوا بخصاله ونبله وعلو همته وأهليته لقيادة البلاد والتوفيق الذي يحالفه في خطواته ومشاريعه. فبفضل حنكته وحزمه وحسن تدبيره، توفرت للحجاج كل الشروط والظروف لحج آمن مبرور، في أحضان المملكة التي يرأسها ملك تحمل عن جدارة مسؤولية السهر على راحة الحجاج وأمنهم وسلامتهم، ومسؤولية وضع مداميك دولة قوية وعصرية تحتل مكانتها اللائقة بها بين الدول الكبرى.

خمسة كتاب مغاربة زاروا المملكة في عهد الملك عبدالعزيز ودونوا مشاهداتهم.. القاسم المشترك بينهم الدرجة العلمية العالية وتوليهم المناصب العلمية والإدارية والقضائية في بلدهم

كأنه استكفى!



محمد محمد عيسى: مصر

مَضَت يَا أَحمدُ الأَيَّامُ
أَوَّلُهَا، وآخِرُها
مَضَت يَا أَحمدُ الأَيَّامُ
نَارُكَ غَيرُ بَاكِيَةٍ
عَلَى أَحلامِكَ الأُولَى،
وَشَمسُكَ لَيسَ يُرضِيهَا
قِيَامُ الليل
وكُنتَ تَخُطُّ أَمجَاداً، وأُغنِيَةً،
وكُنتَ تَخُطُّ أَوجَاعاً، ومَرثِيَةً،
وكُنتَ تَخُطُّ فِي الماء!!

***

مَضَت يَا أَحمَدُ الأَيَّام
وَرَاحَ العَكسُ، وَالمَعكُوسُ،
وَالعاكِس
وَرَاحَ الظِّلُّ
مُمتَطِياً جَوَادَ هَوَاه
فأَسمِع صَوتَكَ الملَكُوتَ
لم يَمنَعكَ مَن فاتُوكَ
فِي المَنفَى
وَأَنتَ الصَّقرُ، وَالفَارِس
وَكُنتَ الصَّقرَ، وَالفارِس!!

***

مَضَت يَا أَحمَدُ الأَيَّامُ
لم تَقبل عُرُوضَ
الطَّرحِ والقِسمة!
ولم تَقبل صُنُوفَ الضَّرب!
ولم تَسمح بِغَيرِ قَبُول!
ولم يَمنَعكَ تَرتِيبٌ،
وَلا إِمعان
فأَنتَ الآنَ..
أَنتَ الآنَ..
أَنتَ الآن!!
مَضَت يَا أَحمَدُ الأَيامُ
أَوَّلُهَا، وآخِرُها
مَضَت يَا أَحمَدُ الأَيام!!

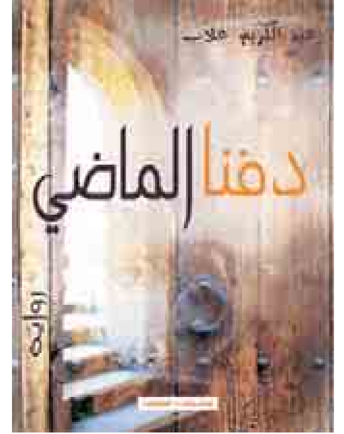


الروائي المغربي عبدالكريم غلاب.. ناقداً

د.نجيب محمد الجباري: المغرب

بإمكان الأدب المغربي الآن أن يفخر ويتجاهل المقولة التي طالما رددها بعض المتعصبين ودعاة الإقليمية، القائلة بأن مصر تكتب ولبنان يطبع والمغرب يقرأ. فقد أعيد للمغرب الاعتبار، وتم الاعتراف به كبلد معطاء ومساهم ومشارك بفعالية في إغناء المشهد الثقافي العربي عموماً.

ولم يكن من قبيل الصدفة أن تقرر منظمة الثقافة والتربية والعلوم العربية بمناسبة اعتبار الرباط عاصمة للثقافة العربية، أن توزع ثلاثين ألف نسخة من عمل روائي مغربي رائد هو «المعلم علي» للأستاذ عبدالكريم غلاب. إنها سابقة في تاريخ الرواية المغربية المكتوبة بالعربية، وفي تاريخ الأدب المغربي عموماً الذي عانى الأمرين من التهميش ومن موضعته في الظل وعلى المحيط الثقافي والإبداعي العربي.









ومـن نافلـة القـول التأكيد علـى مكانة الأسـتاذ غلاب في الساحة الأدبية والفكرية والثقافية المغربية والعربية بصفة عامة. فالرجل قد ألقى بظلاله على مسيرة الكتابة الأدبية والصـحافية بالمغـرب لزمـن طويـل، مواظبـاً علـى الكتابـة والإبداع، مثابراً على الحضـور في مقدمة المشهد السياسي والفكـري والإبداعـي، معتبـراً هـذه المجـالات كلها مسـرحاً للنضال والمقاومة.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأن الأستاذ «عبدالكريم غلاب» هو كاتب صاحب تجربة روائية فريدة من نوعها، فمنذ رجوعه من مصـر في بداية السـتينات أخذ يقتحم عالم السـرديات، بنشـره أول مجموعة قصصيـة «مـات قرير العيـن 1965م»، ورواية «دفنا الماضـي 1966م». وفي بداية السبعينات أصدر رواية «المعلم علي 1971م»، ومجموعة قصصيـة «وأخرجها من الجنة 1977م». وفي الثمانينات نشـر سيرة ذاتية روائية «سـبعة أبـواب 1984م»، ثـم روايتيـن «صبـاح ويزحـف الليـل 1984م»، و«وعاد الزورق إلى النبع 1989م». ليتوج هذا المسار الإبداعـي بروايـة «شـروخ فـي المرايـا 1994م»، وسـيرتين ذاتيتيـن روائيتيـن «سـفر التكويـن 1996م»، و«الشـيخوخة الظالمـة 1998م»، ومجموعـة قصصيـة «هذا الوجـه أعرفه 1997م». والواقـع أن فـن السـرد لـم يكن كل شـيء في حياة عبدالكريم غلاب الإبداعية، ولا أهم شيء فيها؛ إذ كان عمل غـلاب يطال اتجاهـات ثقافية أخرى يمكن أن نلخصـها في المجالات التالية:

1. مجـال السـرد، وهو الـذي غلب علـى كتاباتـه وإنتاجه، موزعـاً بيـن: مجموعـات قصصيـة، وسـير ذاتيـة روائيـة، وروايات.

2. مجـال الثقافـة عمومـاً، ويشـمل الأبحاث التـي أنجزها فـي ميادين التاريـخ واللغـة والفكـر بصـفة عامـة، منهـا: «نبضات فكر»، و«من اللغة إلى الفكر»، و«الثقافة في مواجهة التحـدي»، و«الفكر العربي بين الاسـتيلاب وتأكيـد الذات».. وغيرها.

3. مجـال الصـحافة بامتداداتهـا السياسـية والقانونيـة والاجتماعية والتربوية..إلخ.

ومـن الإنصـاف القـول بـأن هناك مجـالاً مهمـاً لـم يحظَ بالعنايـة اللازمة من قبـل الكتاب والدارسـين الذين تتبعوا المسـار الثقافـي والإبداعي للأسـتاذ غـلاب؛ ألا وهو مجال النقـد الأدبي. فللأسـتاذ خطرات نقدية مهمة تـدل على أنه كان على بصيرة بمختلف الآراء النقدية الرائجة في عصره.

يقـول فـي أحد حواراته: (كنـت أتمنى للنقـد بالمغرب أن يكون أحسـن مما كان، وألا يتسلح بالتوجه السياسي وهو في طبيعتـه متغير وعابـر. إن تقويم العمل الأدبـي انطلاقاً من حكم مسـبق، ودون قراءته؛ سـلوك لا ينتمـي إلى الثقافة ولا إلى الفكر أو الأدب..). ويؤكد وجهة نظره حول الأدب قائلاً: (كان الإبـداع منذ اليوم الأول بالنسـبة لي وبالنسـبة لجيلي هادفاً).

ويقـول الأسـتاذ غـلاب فـي معرض حديثـه عـن ماهيـة الكتابة: (الأديب الحق لا يمكن أن يعيش في وسـط إنسـاني معـذب، ويكـون بعيـداً فـي الوقـت نفسـه عـن هـذا الوسـط، غيـر شـاعر بعذابـه، ولا محس بجراحـه؛ ثـم لا ينعكس هذا الإحسـاس علـى ضـميره الأدبـي، فينفعـل ويعبـر ويصـور، ويتحرك القلم حركة نضـال، ليكون في مقدمة المناضـلين ضد عذاب الإنسان وجراحه).

لقد اهتم الأسـتاذ غـلاب بكتابة المقالة النقدية بمختلف أنواعهـا، شـأنه فـي ذلـك شـأن أغلـب رواد النهضـة الحديثة بالمغرب. فقد وجد هؤلاء الرواد في هذا الجنس من الكتابة أحسن وسيلة لنشر الأفكار التحديثية والدعوات الإصلاحية، إن على مستوى السياسة أو على مستوى الثقافة والأدب.

ويرتبط تاريخ الكتابة المقالية بالمغرب بتاريخ الصحافة ارتباطاً وثيقاً، وصلة الأستاذ غلاب بالصحافة جد متينة، فقد ترأس تحريـر مجلة «رسـالة المغرب» الثقافية الأسـبوعية،

وعمل في جريدة العلم المغربية، ثم أصبح رئيس تحريرها، كما أنه شغل منصب نائب الأمين العام لاتحاد الصحفيين العرب، والأمين العام للنقابة الوطنية للصحافة المغربية.. إلخ، وقد مكنت هذه الممارسة الصحفية الطويلة الأستاذ غلاب من تطوير أسلوب كتابته ومن تنويع موضوعات مقالاته، فكتب في السياسة والإصلاح والبحث اللغوي والنقد الأدبي.. كل هذا يفرض علينا العناية بهذا الجانب الأخير، جانب النقد الأدبي في إنتاجات الرجل. وحتى نعطي صورة مجملة عن القضايا التي كانت محور نقده ارتأينا الرجوع إلى كتابه «مع الأدب والأدباء» في طبعته الأولى سنة 1974م عن دار الكتاب بالدار البيضاء.

مع الأدب والأدباء

الكتاب كما هو واضح من عنوانه رحلة فكرية وقراءة نقدية للكثير من المواضيع التي شغلت وما زالت تشغل الرأي العام. وقد قسمه إلى قسمين: قسم نظري تتراوح مقالاته بين البحث في ماهية الأدب ووظيفته من قبيل «الشعر الحديث بالمغرب ص 7» و«تطوير الأدب القصصي في المغرب العربي ص 54» و«حركة النقد في المغرب ص 85» و«بين الإقليمية والإنسانية ص 132» و«الالتزام الحقيقي للأديب ص 152».. إلخ. وقسم تطبيقي بعنوان «في صحبة الشعراء والكتاب». وفي هذا القسم الأخير توسع توسعاً ملحوظاً، وكأني به كان يتحين الفرصة ليبسط آراءه النقدية ويفرغ ما بجعبته من نظرات، متناولاً بالنقد التطبيقي بعض الإبداعات الأدبية التي كانت قد ظهرت عندئذ، مثل مقال عن شعر ص 159 وآخر عن قصة ص 239 وثالث عن رواية ص 251 ورابع عن مسرحية ص 279 ..إلخ. ولعل ذلك ما كان يقصده من خلال تقديمه للكتاب قائلاً: (حاولت أن أعيش مع بعض الشعراء والقصاصين لأقدم نموذجاً من أدبهم، حينما يكون هذا النموذج مغربياً، حتى تتم الصورة التي رسمتها في القسم الأول من الكتاب. ولأقدم صورة عن اتجاه النقد وتحليل الإنتاج الأدبي في المغرب؛ حينما يكون النموذج عربياً غير مغربي أو أجنبياً في القسم الثاني...).

وقد اختار الأستاذ غلاب في قراءته لنماذج من إبداعات هؤلاء الكتاب والشعراء نموذجاً من كل بلد؛ بغية الاقتراب من الأفكار الأدبية والنقدية التي أعرب عنها في فصول القسم الأول. وهكذا نجد عناوين مثل «قراءة جديدة في شعر ابن ثابت ص 185»، «رجعة نزار قباني ص 211» و«الجواهري من الذاتية إلى الوطنية ص 228»، «مع السياب ص 222»..إلخ.

ونظراً لهذا الركام الهائل من الأبحاث والدراسات التي يزخر بها الكتاب؛ سنقتصر في تدخلنا هذا على بعض المباحث بسبب الحيز الضيق الذي تفرضه ورقة كهذه.

الشعر الحديث بالمغرب

يرى الأستاذ عبدالكريم غلاب أن الحديث عن الشعر الحديث بالمغرب ليس بالأمر السهل لاتساعه والتباسه لأنه يمتد على فترة طويلة يعسر ضبط بدايتها، كما أنه يلامس موضوعاً قريباً إلى قلب كل واحد من الأدباء المحدثين الذين قد يتناولهم هذا الكتاب، وهذا ما يجعل الناقد يحس بنوع من الحرج. ورغم كل هذه المعوقات يتحدى الأستاذ غلاب هذا المأزق، شفيعه في ذلك أنه سيدافع عن أكثر فنون القول ظلماً في المغرب ألا وهو الشعر. هذا الفن قد أصيب بنوع من الجمود الفكري أدى إلى ضمور واندثار واختفاء الكثير من المواهب الشعرية عن الأضواء، خصوصاً في زمن كان فيه مفهوم الثقافة منحصراً في العلم والدين. وانتظر الكل مجيء النهضة الأدبية الحديثة بالمغرب، فتحررت الباقات الشعرية من تلك العقدة، فظهر مجموعة من الشعراء الشباب خريجي جامعة القرويين أمثال الشيخ المأمون البلغيثي.. والذين وضعوا على عاتقهم مسؤولية الزج بالشعر في المعركة الكبرى، معركة الدعوة إلى التعليم ونبذ الجمود الفكري والدعوة إلى الاعتزاز بمقومات الأمة، وإلى عدم الرضا إلا بالعربية كلغة قومية وبالدين الإسلامي كأحد دعامات الشخصية المغربية.

وبهدف الدراسة والنقد يقسم الأستاذ غلاب الشعر المغربي إلى ثلاث مراحل، مرحلة الثلاثينات ومرحلة الأربعينات، ومرحلة ما بعد الاستقلال. مؤكداً على التأثير البليغ الذي أحدثته طبيعة هذه المراحل التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية في الشعر، حيث عرف نوعاً من التطور على مستوى اللغة والأسلوب وطريقة الأداء، انعكس حتماً على الذوق الفني، وانطلق الشعر إلى آفاق جديدة تتجاوب واهتمامات النخبة بحالة الشعب وبآلامها وآمالها... يقول في هذا الصدد: (وبعد، فيجوز أن يكون هذا البحث مسحاً انتقائياً لتطور الشعر في المغرب خلال فترة تربو على أربعين سنة، كانت فترة بعث ونضج نسبي لهذا النوع من فنون القول الجميلة. وما أزعم أنه مسحُ تتبُّع واستقصاء؛ بقدر ما هو مسح انتقائي، حاولت فيه أن تكون النماذج معبرة عن مرحلة أو عن الجيد من الشعر في المرحلة).

وهو يدعم ذلك بنماذج من شعر شعراء كل مرحلة كعلال الفاسي والمختار السوسي ومحمد القري باعتبارهم من أوائل المجيدين والمكثرين الذين دخلوا بالشعر مرحلة الثورة الفكرية. والشعراء مثل عبدالمجيد بن جلون ومحمد الحلوي وعبدالكريم بن ثابت وغيرهم من الشعراء الذين رفعوا لواء الشعر في آفاقه الجديدة، آفاق التطلع

المنهج الذي أخذ به غلاب في قراءته النقدية لا يرى في الأدب مجرد صدى للعوامل الحضارية ولكنه يرى بأن للإنتاج الأدبي وجوداً في ذاته



الأدب المغربي عموماً عانى الأمرين من التهميش ومن موضعته في الظل وعلى المحيط الثقافي والإبداعي العربي

للحرية وممارسة النضال، والصراع من أجل هذه الحرية وخصوصاً مع مطلع الأربعينات.

وينتقل الكاتب إلى دراسة شعر المرحلة الثالثة، وهي المرحلة التي تجسد ظهور دواوين شعرية، ينتمي معظمها إلى الشعر الحر الذي حاول أصحابه التحرر من رتابة الوزن والقافية. ويقر الأستاذ عبدالكريم بأن هذه الدعوة الجديدة كانت لها إرهاصات في أوائل الأربعينات عند علال الفاسي وعبدالمجيد بن جلون وعبدالكريم بن ثابت.

ويستحسن فكرة تنويع القافية والأوزان، ويراها نتيجة حتمية للتجديد الذي مارسه الأندلسيون على الشعر العربي، رافضاً في الوقت نفسه فكرة التخلي عن الوزن كأداة موسيقية وتعويضه بمقطعات أو جمل لا تخضع لنمط فني ما. وأشهر من يمثل هذا النوع من الشعر الحديث أحمد المجاطي وعبدالكريم الطبال وابن ميمون والخمار الكنوني، وكلهم التزموا بالتفعيلة التي ضمنت لأشعارهم أداء ونغماً موسيقيين، ونضجت لغتهم ورقى أسلوبهم، وأصبحت موضوعاتهم مرتبطة بالحياة والناس، واتسعت نظراتهم لتشمل الثورة والتمرد والرفض للواقع المتسم بخيبات الأمل المتكررة.

حركة النقد بالمغرب

يؤمن الأستاذ غلاب بالمقولة القائلة بأن النقد هو فن على فن، بمعنى أنه لا يكون نقد إلا حيث يكون الفن، لأنه رصد له وتقويم وتتبع وقراءة لنماذجه للوقوف عند مواطن الجمال فيه وتذوقها، بحيث يكون بإمكان الناقد التمييز بين مظاهر الحسن أو الرداءة فيه، بل يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يعتبر أن النقد هو علم كذلك لأنه يهتم بمقومات العمل الأدبي العقلية والنفسية والفلسفية واللغوية والأسلوبية والبيانية. الناقد فوق هذا وذاك خبير بجوانب الكمال والضعف في العمل الأدبي؛ لأنه يعتمد على الذوق السليم. يقول في هذا الصدد:

(لا أريد أن أقول إن الذوق أهم من العلم، ولكني أؤكد أنه لا يقل قيمة عن العلم نفسه في العمل النقدي، ولكنه أصعب إدراكاً من العلم. فقد يدرك العلم من خلال الدراسة الجامعية ومراجعة كتب القدماء والمحدثين وحفظ القواعد وتتبع النماذج، ولكن الذوق لا يدرك إذا لم يكن هناك استعداد فطري، وإذا لم تتكون الملكة بالممارسة والمزاولة).

أما فيما يتعلق بالنقد الأدبي في المغرب فإن الكاتب يؤكد على وجود ظاهرة إشفاق الناقد على الأدباء -على حد تعبيره- حيث يعتبرون أن الأدب لم يصل بعد إلى مرحلة النضج والاكتمال، ولهذا فإن أي محاولة نقدية ستكون سابقة لأوانها، ولكن هذا الإشفاق لم يحل دون ظهور وتطور حركة النقد منذ منتصف الثلاثينات من القرن الماضي كمحاولات الأستاذ محمد بن العباس القباج التي كانت في مجملها امتداداً للنقد العربي القديم في صورته اللغوية البيانية.



يستحسن غلاب فكرة تنويع القافية والأوزان.. ويراها نتيجة حتمية للتجديد الذي مارسه الأندلسيون على الشعر العربي

وفي خضم الأحداث السياسة التي عرفها المغرب في ظل الضغط الاستعماري وقع انحسار في كل مجالات العمل الفكري والأدبي، حيث منعت الصحف وألجمت الأفواه إلى حين انفراج الأزمة سنة 1946م، وتحرر الكتاب والشعراء من العزلة التي فرضت عليهم، حيث تابع النقد الإبداع الأدبي، وظهرت جملة محاولات ينتمي بعضها إلى ما سماه الأستاذ غلاب بالنقد الوصفي التحليلي وبعضها الآخر إلى النقد الشمولي أو النقد الجزئي أو النقد الانطباعي..إلخ. لكن ما قيمة هذا النقد بكل اتجاهاته وأبعاده؟

القيمة تكمن في رأي الأستاذ عبدالكريم غلاب في كون النقد خرج بالإنتاج المغربي من اعتماد الأسلوب البلاغي كأكبر قيمة أدبية إلى مجال التحليل النفسي والأسلوب التصويري ومعانقة المشاكل الإنسانية التي يعيشها المواطن المغربي. ومن الظواهر التي استهجنها الأستاذ غلاب في مجال النقد استعمال بعض النقاد الشباب في كلامهم لغة عائمة غامضة وغير مفهومة.. وتوظيفهم بعض النظريات الفلسفية المفتعلة والاصطلاحات والرموز الغارقة في الغموض والإبهام، وهي أقرب إلى الطلاسم منها إلى الوضوح والبيان، يقول في هذا الموضوع:

(وأكرر الدعوة إلى الوضوح حتى أني لأعتقد أننا يجب أن نقوم بحملة لمواجهة هذا الانحراف الخطي في فن القول سواء منه الخلق أو النقد).

الأدب واللغة القومية

مشكلة نقدية أخرى خطيرة عرض لها الأستاذ غلاب في كتابه «مع الأدب والأدباء»؛ ألا وهي مشكلة علاقة الأدب باللغة القومية، حيث أفصح في هذا الفصل عن وجهة نظره حول مصداقية الأدب المكتوب بلغة أجنبية، مؤكداً على حرية الأديب في التعبير عن آرائه وأفكاره وأحاسيسه باللغة التي يراها مناسبة ومتجاوبة مع طبيعة التجارب والمواقف التي يريد الإفصاح عنها.

وفي رأيه أن المشكلة العويصة التي يجب أن نبحث لها عن حل هي محاولة بعض الأطراف فرض لغة أجنبية على شعب بهدف استيلابه وتدجينه وسلبه أصالته وشخصيته القومية العربية والإسلامية.

فاللغة، في نظر أستاذنا (ليست أداة ولكنها جوهر مميز للقيمة بل للذاتية، فأنت مغربي أو فرنسي أو إنجليزي، لا لأنك فقط ولدت في المغرب أو في فرنسا أو في إنجلترا، وتنتمي وطنياً لهذه البلاد أو تلك؛ ولكن كذلك لأنك تتكلم «والكلام هنا بمعنى الاستعمال الفكري» العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية، ومن ثم أصبحت اللغة أحد مقوماتك الوطنية، بحيث لا تنفصل عنها أو تفصل عنك، إلا إذا انفصلت عن وطنك أو انفصل عنك وطنك).

اللغة إذن أصبحت غاية في حد ذاتها، وليست وسيلة، وهي عنوان على الفكر ورمز للقومية وشعار للوطنية لا يتنازل عنه أحد إلا إذا كان مستعداً للتنازل عن جنسيته وقوميته

ووطنيته.. معنى هذا أن الأدب يجب أن يكتب باللغة القومية إذا أراد أن يكون أدبا قومياً.

والحقيقة أن الأستاذ غلاب في معالجته لهذا الموضوع الشائك بات موضوعياً وعلمياً صارماً في الآراء التي طرحها خصوصاً وأنه اعترف لبعض النماذج الأدبية التي قدمها بعض الأدباء المغاربيين بلغة أجنبية، بقوميتها وبالتصاقها بهموم الأمة أمثال الدكتور الحبابي وكمال الزيدي من المغرب، ومحمد ديب ومولود معمري وآسيا جبار من الجزائر.. خصوصاً وأن المرحلة التي ظهر فيها إنتاجهم اتسمت بالثورة على المستعمر والمطالبة بالاستقلال.. وهذا ما أكسبها أصالتها وقيمتها.

في صحبة الشعراء والكتاب

وهو عنوان للقسم الثاني الذي تناول فيه بالنقد التطبيقي بعض الإبداعات الأدبية مثل الإبداع الفني في شعر الشابي، وقراءة جديدة في شعر ابن ثابت، ومع السياب، وقراءته لمجموعة قصصية «عمي بوشناق» لعبدالرحمن الفاسي، وموسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح..إلخ.

والواقع أن هذه القراءات النقدية التي زخر بها هذا القسم تركزت كلها أو كادت في نقد ما نسميه شعر القصائد، ويسميه الغربيون بالشعر الغنائي، وذلك لأن هذا الفن هو الذي يتكون منه الجانب الأكبر من تراثنا الأدبي.

ولما كان أدبنا العربي عموماً، والمغربي على الخصوص؛ أخذ يشهد ظهور فنون أدبية أخرى، وفدت إلينا من الغرب كفن المسرحية وفن الرواية وفن القصة، وحيث إن هذه الفنون ظلت إلى زمن بعيد في منأى عن اهتمام النقد والنقاد؛ انبرى لها الأستاذ غلاب فدرس بعض نماذجها، مثلما فعل في نموذج الوشم «رواية عراقية ص 251»، وشبح في قصص بيراندللو «نموذج من إيطاليا ص 268»، وعاصفة الرعد «مسرحية صينية ص 279»..إلخ.

وأهم ما يجب أن نعرض له في هذا المبحث، هو البحث عما إذا كان الأستاذ غلاب قد سار على منهج نقدي معين، وهو يتتبع هذه النماذج فناً فناً، بمعنى هل من الممكن استخلاص صورة لمذهب غلاب النقدي؟

من خلال تمعن آراء غلاب السابقة يتبين أن المنهج الذي أخذ به في قراءته لهذه النماذج لا يرى في الأدب مجرد صدى للعوامل الحضارية، ولكنه يرى بأن للإنتاج الأدبي وجوداً في ذاته، غير منكر تأثره بظروف العصر وحياة الرجل. يقول متحدثاً عن شعر الشابي:

(وعن هذا الإبداع نبحث ونحن ندرس شعر الشابي لنرى لماذا بقي اسمه خالداً في التاريخ الأدبي بتونس...).

وهو يعبر عن مفهومه للشعر وتصوره للعملية الإبداعية؛ إذ يركز في هذا المفهوم على الأسس الضرورية لتحقق الشاعرية، وهي: الموهبة والفطرة، إلى جانب الحذق بأصول الصناعة. يقول في معرض تقديمه للإبداع الفني في شعر الشابي: (فهو «أي الشعر» فن يتطلب إتقان كثير من الأصول التي لا يمكن أن يتحقق إلا بإتقانها، دع عنك الموهبة الشعرية فهي الأداة الرئيسة).

إن مفهوم غلاب للشعر ينسجم إلى حد بعيد مع المفهوم الذي بلوره شعراء جيله، وهذا راجع حسب رأيي إلى تشبع هؤلاء بمبادئ مدرسة البعث والإحياء.

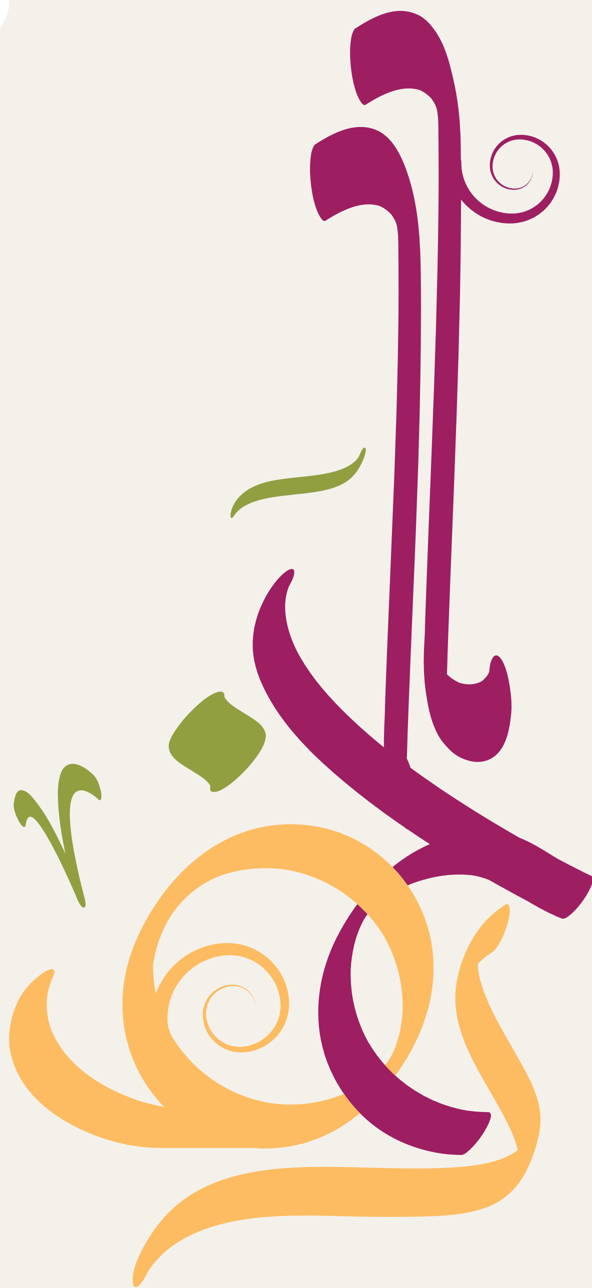
ومن قراءته للقصائد الشعرية يتبين أن منهج غلاب النقدي هو المنهج التأثري الذاتي، فهو يقول: (الشعر هو الذي تجد نفسك في حاجة إلى أن تقرأه كلما بعدت عنه)، وعلى نحو ما نحس في قراءته لقصيدة أغنية الأحزان لأبي القاسم الشابي والتي تضمنت عدداً من النغمات الرائعة الصفاء النابضة بحرارة الحياة:

غنِّ أنشودة الفجر الضحوك
أيها الصداح
فلقد جرعني صوت الظلام
ألماً علمني كره الحياة
إن قلبي مل أصداء النواح
غنِّ يا صداح

ولا يقف منهج غلاب النقدي عند حدود الذوق والانطباع، بل نجده يلجأ في تفسيره للقدرة الشعرية عند الشاعر إلى طريقة توظيفه للصورة الشعرية وللبنية الإيقاعية باعتبارهما أهم مقومات الإبداع الشعري.

وبعد، هذه بعض الخطرات النقدية التي عنَت لي وأنا أقرأ كتاب «مع الأدب والأدباء» للروائي المقتدر عبدالكريم غلاب، هدفت من ورائها لإثارة الانتباه إلى مجال آخر من المجالات الأدبية التي ساهم فيها أستاذنا وما زال ينتظر من ينفض عنه الغبار ويلقي عليه الضوء.

غلاب: لا أريد أن أقول إن الذوق أهم من العلم ولكني أؤكد أنه لا يقل قيمة عن العلم نفسه في العمل النقدي لكنه أصعب إدراكاً من العلم



يدق على باب المخاض

أحمد تمساح: مصر

(1)

الحرفُ في دمي كالبحر
يدقُ على باب المخاض
يأتي صاعداً كالجبل
يا أيها الحرفُ البهي مرّ على جيد اللغة
عانقني في كل أرض
اسكبْ في وريدي النبض
وارسم على جسدي عصافير النخيل
بلهفةٍ أغربل ضفافَ النيل
يا أيها الحرفُ الدليل
هدهدني في منتصف البراح..
وصبّ في عيني القصيدة

(2)

الكلمةُ تأتي عفية
من أعماق البدن
تغزلُ شالها بأنامل الوطن
تلمعُ وشماً على خد الزمن
تبوحُ بأسرارها عند الثريا
والنبض مدارها الأول
تأتي مضيئةً كالروح
وترسم في دمي أهلةً وقصيدة

(3)

القصيدةُ تأخذني إلى فنارها
والموجُ القادم يأتي بأسرارها
والسحرُ في عيني مجرة
أم بستان أهلة
يراودني الحرفُ في براح السكون
فأشتهي البنت القصيدة
أباركها..
وأجلسُ في ردهة التجلي

(4)

الكلمة يمامةٌ تتلو أورادها في الريح
تطرحُ أهلة وترياق قسم
الروح تلهثُ في براح البدن
علها تمسكُ بالجناح
يا عشقي أنا المستباح

الكتابة والقلق وأطياف من الماضي البعيد (5)

ذكريات من الصُّفّة



د. عاصم حمدان

* لم أطوِ بعد صفحات الثمانينات الهجرية والذكريات المتصلة بها في المدينة المنورة؛ فلقد كان موقع مدرسة العلوم الشرعية في الجهة الشرقية من الحرم النبوي الشريف – حيث كنت أتلقى التعليم الابتدائي فيها- يتيح لنا رؤية جنائز الأموات التي تخرج من باب جبريل بعد الصلاة عليها في المسجد الشريف، ثم دفنها في بقيع الغرقد. وقد أفقنا ذات يوم على عدد من الجنائز تخرج دفعة واحدة، وكان ذلك في شعبان **1380**هـ، وكان يسير خلفها عدد كبير من المشيّعين، وأخبرني بعض الزملاء أنها جنائز أربعة إخوان من آل عزّي قضوا في طريق "المدينة-مكة" ومعهم بعض الرفاق، حيث داهم السيارة التي كانوا يقلّونها سيل جارف في منطقة تدعى "الحسينية". وكان هؤلاء الإخوة وبعض رفاق لهم قد شاركوا في مباراة مع نادي "الثغر" في جدة، وعندما انقضت أحداث المباراة، التقى بهم أحد مشجعي النادي، الذي أسّسوه في المدينة المنورة حوالي **1374**هـ، وحمل اسم "العقيق"، وأخبرهم بأن عليهم الرجوع إلى المدينة المنورة فوراً، حيث حُدّد اليوم التالي لإقامة مباراة بينهم وبين نادي "أُحد"، المنافس التقليدي لهم، وهذا ما دفعهم للإسراع في السفر، ولمّا رؤوا بوادر السيل ظنوا أنه بإمكانهم قطع الطريق، وذلك لإجادتهم السباحة؛ حيث إن معظم أبناء المدينة المنورة يجيدونها، لتدربهم عليها فيما يُعرف باسم "البِرَك" المائية التي كانت تمثل جزءاً مهماً من بساتين المدينة المنورة ومزارعها، والغريب جداً أن الذين ابتلعهم ذلك السيل القوي كانوا الأكثر مهارة في إجادة فنّ السباحة، بينما نجا من رفاقهم من كانوا لا يجيدونها. وقد أدركتُ الناجيين وهما: محمد سنّان، ويوسف حديدي. وقد طوى آباء وأمهات أولئك الفتية، الذين أراد الله أن يقضوا في ذلك الحادث المؤلم؛ طووا أنفسهم على الحزن. وذات يوم كنت أجلس مع الوالد –رحمه الله- في مركازه بالمناخة، فجاء العم صالح عزّي –رحمه الله والد الفتية الأربعة- ليقضي بعض الوقت معه، وكان ذلك بعد حوالي مرور عقد من الزمن على تلك الحادثة، فسأله الوالد: هل عنده من الأبناء غيرهم، أي غير الذين قضوا في حادثة السيل؟ فإذا الوالد يختصر المشهد بكلمات محدودة: (لقد ذهب المفاليح منهم). وكلمة "فالح" تعني في اللهجة المدينية (الشخص الذي يتّسم بالذكاء والفطنة)، وتُطلق أيضاً على "المشكّيل" من أبناء الحارة، والمجيد لفنّ "القشاع"، الذي كان منتشراً في تلك الحقبة الزمنية.

* في عام **1384**هـ بُويع الملك فيصل –رحمه الله- ملكاً على البلاد، وقد قام بزيارة للمدينة المنورة، فأقام له أهالي البلدة الطاهرة حفلاً خاصاً في ساحة قصر ابن محفوظ على مدخل حي قباء. وبحكم أن الوالد –رحمه الله- كان عمدة للحي؛ فلقد تمكنت في تلك السنّ من مشاهدة تلك الشخصية التي تتسم بالمهابة. متذكراً في مرحلة لاحقة، عندما أخبرني معالي الصديق الأستاذ أحمد زكي يماني، الكثير من السمات التي كانت تطبع شخصية الفيصل، ومنها: نظراته الثاقبة، وعباراته الموجزة، واستشرافه لأحداث المستقبل، وانضباطه الدقيق في مواعيد العمل، وتنبيهه على الذين يعملون معه بعدم إخفاء شيء عنه من الأمور المتصلة بعملهم، وخصوصاً موظفي الديوان الملكي، سعياً للشفافية، وتحقيقاً للعدالة والنزاهة المطلوبتين.

في ذلك الحفل، الذي تحتفظ به ذاكرة النشأة الأولى المبكرة، استمعت إلى الشاعر أحمد عبدالله الفاسي يلقي قصيدة ترحيبية بالفيصل، وكان متمكناً من فن الإلقاء الذي يتمتّع به كبار الشعراء. ووقف خطيباً في الحفل أيضاً السيد علي فدعق، وكان آنذاك رئيساً لبلدية جدة. كما ألقى الأستاذ حسن الصيرفي، من شعراء المدينة المنورة، قصيدة ترحيبية. وألقى كلمة أهالي المدينة المنورة الأستاذ علي حافظ الذي كان آنذاك رئيساً لبلدية المدينة المنورة، وقد قام علي حافظ في ذلك الحفل بتقديم السيد عباس علوي سقاف الذي كان شيخاً للسادة في المدينة المنورة، ووالد السيد عمر سقاف الذي شغل –فيما بعد- منصب وزير دولة للشؤون الخارجية؛ قدمه للملك فيصل، فكانت كلمات الفيصل للسيد السقاف هي الترحيب به، مشيداً في الوقت نفسه بوطنية ابنه السيد عمر، قائلاً: (يا ليتك جبت أكثر من عمر). وقد ذكر

ذلك كله وسواه الأستاذ حافظ في كلمة له رثى بها السيد عمر بعد رحيله عن دنيانا عام 1394هـ في الليلة التي وقف فيها الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات في الأمم المتحدة خطيباً، ورافعاً غصن الزيتون، وكان للوزير السقاف، بتوجيه من الملك فيصل، دور مهم في إتاحة الفرصة أمام عرفات ليخاطب المجتمع الدولي عن آمال وتطلعات الشعب الفلسطيني، رغم الضغوط الصهيونية والأمريكية. وقد استمعت إلى السيد علوي السقاف وهو يذكر للبعض أن أخاه عمر اتصل به بعد ذلك الحدث المهم ليخبره قائلاً: (الآن انتهت مهمتي في الحياة). رحم الله الشهيد الفيصل، والسيد السقاف، وبارك في هذه الأمة وزعاماتها الحريصة على أحوال العرب والمسلمين في كل مكان وزمان.

* كما أن المدينة المنورة احتضنت بموقعها الديني والحضاري والفكري الكثير من المهاجرين الذين نزحوا إليها من العديد من البلدان العربية والإسلامية، ومن بينهم أسر من بلدان المغرب العربي، وتأتي في هذا السياق أسرة "آل البرّي"، التي نزحت من تونس إلى المدينة المنورة في حدود سنة (900هـ)؛ أي قبل أكثر من (500) عام، كما يذكر ذلك المؤرخ عبدالرحمن الأنصاري في كتابه "تحفة المحبين". وفي القرن المنصرم -أي الرابع عشر الهجري- تجددت الهجرة من البلدان الواقعة آنذاك تحت الاستعمار، وخصوصاً الفرنسي منه، واستطاعت شخصيات من أولئك النازحين أن تواصل مسار تعليمها في مدارس المدينة المنورة ومعاهدها العلمية، وقد تلقى في مدرسة العلوم الشرعية عدد من الشخصيات الأدبية مثل القاص أحمد رضا حوحو الذي تخرّج من القسم العالي في المدرسة، وأصبح سكرتيراً لتحرير مجلة "المنهل" عند إنشائها في عام 1355هـ، وكذلك شخصية الأستاذ الأديب أمين عبدالله القرقوري -رحمه الله- الذي عمل فيما بعد سكرتيراً لمعالي وزير المالية الأسبق الشيخ محمد سرور الصبّان. كما نجد شخصية الأستاذ الأديب والرائد الصحافي عبدالفتاح أبو مدين الذي بعد أن أتم دراسته بالعلوم الشرعية نزح إلى جدة، وأسس هناك أول صحيفة في العهد السعودي في منطقة جدة، والتي أطلق عليها اسم "الأضواء"، وكان ذلك عام 1377هـ، وأنشأ بعد ذلك مجلة "الرائد" عام 1379هـ، وقد زامل جيلنا عدد من الإخوة الجزائريين الذين بعد أن أكملوا تعليمهم الثانوي عادوا إلى بلادهم بعد نيلها الاستقلال، وكان العديد منهم خلال إقامتهم في المدينة المنورة يدرسون صباحاً ويعملون ليلاً، وقد أدركتهم جميعاً بركة الجوار في البلدة الطاهرة.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أنه في عام 1382هـ، وعند استقلال البلد العربي الجزائر، أقيم احتفال كبير بهذه المناسبة على مسرح مدرسة طيبة الثانوية ابتهاجاً بهذه المناسبة، وشارك في فعالياته عدد من أبناء المدينة المنورة وأدبائها. وأتذكر أن أستاذنا آنذاك في مادة اللغة العربية، الأستاذ حمزة حوحو، شقيق الأديب أحمد حوحو، قام بإلقاء كلمة في تلك المناسبة، واستحضر مشهد قراءته للكلمة الأستاذ المربّي بكر آدم الذي كان يقوم بإدارة المدرسة نيابة عن مديرها الأصلي السيد حبيب أحمد، واستمعت للأستاذ آدم من بُعد وهو يبارك ما كتبه "الحوحو" -رحمهم الله أجمعين-.

وأختم بالقول بأن طلبة العلم وشداة المعرفة كانوا ينزحون إلى المدينتين المقدستين: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وذلك لتلقّي الرواية لدى أصحاب السند العالي في علم الحديث، وسوى ذلك من العلوم الشرعية والنقلية واللغوية والأدبية، ثم يعودون إلى بلادهم بتلك الحصيلة العلمية المفيدة ليشاركوا في بناء أوطانهم علمياً وحضارياً. ولعل هذه الذكريات تدوّن -فيما تبقى من حلقاتها- شيئاً عن تلك العلاقة المهمة والمؤثرة والفاعلة، والتي كانت حلقات العلم في الحرمين الشريفين تشكّل المسرح الرئيس لها، إضافة إلى دور المدارس العلمية المتخصصة في هذا الشأن، والمطلب العلمي والمعرفي، والتي كانت تنتشر في البلاد المقدسة، وفي أرجاء الجزيرة العربية كافة.

تراث

المنازل والديار
من فرائد التراث الشعري

أحمد أبو زيد: مصر

يعد كتاب (المنازل والديار) لأمير السيف والقلم، من فرائد التراث الأدبي والشعري، فهو بمثابة ديوان للحنين إلى الأوطان، ولملاحم الشوق إلى الأهل والخلان، وضعه صاحبه إكليلاً على رفات بلدة آبائه وأجداده (شيزر) ببلاد الشام، بعدما دمرها زلزال عام 552هـ عن بكرة أبيها، وهو الزلزال المهيب الذي عصف بالبلاد كلها في تلك السنة.

يقول ابن العديم: «وقعت الزلازل في شهر رجب سنة 552هـ بالشام، فخربت حماة وشيزر وكفر طاب وأفامية ومعرة النعمان وحمص وحصن الشميمس عند سلمية، وغير ذلك من بلاد الفرنج، وتهدمت أسوار هذه البلاد.. وأما شيزر، فانقلبت القلعة على صاحبها وأهله، فهلكوا كلهم، وبادر نور الدين، ووصل إلى شيزر، وقد هلك تاج الدولة ابن منقذ وأولاده، ولم يسلم منهم إلا الخاتون أخت شمس الملوك زوجة تاج الدولة، ونبشت من تحت الردم سالمة»، وسلم أسامة بن منقذ إذ كان يومئذ بعيداً عن شيزر.



المؤلف فارس وشاعر وأحد قادة صلاح الدين الأيوبي الذين شاركوا في حرب الصليبيين

أمير السيف والقلم

وصاحب هذا الكتاب هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، الملقب بمؤيد الدولة، وكذلك عز الدين أسامة، يكنى أبو المظفر، فارس وشاعر، ولد في شيزر شمال حماة لبني منقذ أمراء شيزر، عام 488هـ (1095) وعاش حتى عام 584هـ (1188م).

كان عمه سلطان أميراً على شيزر وبعد وفاة والده التحق أسامة بجيش نور الدين زنكي، وعاش في بلاط النوريين بدمشق، ثم في بلاط الفاطميين بالقاهرة حتى عام 1154م، حيث اشترك في الحملات على الصليبيين في فلسطين. وعاد إلى دمشق سنة 1154م، وهو أحد قادة صلاح الدين الأيوبي، كلفه ببناء قلعة عجلون سنة 1184م/580 هـ، لتكون نقطة ارتكاز لحماية المنطقة والحفاظ على خطوط المواصلات وطرق الحج بين بلاد الشام والحجاز، لإشرافها على وادي الأردن وتحكمها بالمنطقة الممتدة بين بحيرة طبريا والبحر.

وقد عُني بالشعر والقتال في أول حياته ونظم ديواناً في الفخر والغزل والوصف. وقد قضى آخر حياته في حصن كيفا منفياً فأقبل على التصنيف وصنف كتباً عديدة بلغت 13 كتاباً، منها: ديوان شعر جمع فيه قصائده، والمنازل والديار، والبديع في البديع: كتاب نقد للشعر، تاريخ القلاع والحصون، أزهار الأنهار، كتاب العصا، أخبار النساء، والاعتبار، ولباب الآداب

مخطوطة الكتاب

ولهذا الكتاب مخطوطة وحيدة تحتفظ بها مكتبة المتحف الآسيوي بلييننجراد الذي تأسس عام 1818م، وهي بخط أسامة نفسه، فرغ من تأليفها كما يقول في جمادى الأولى سنة 568هـ، في مدينة حصن كيفا، وكان قد ناهز الثمانين، وآلت هذه النسخة إلى خزانة أبي المعالي الطالوي الذي توفي عام 1014هـ، وكانت ناقصة من أولها وآخرها، فاستدرك النقص من نسخ أخرى كانت موجودة في عصره، وكتب لها مقدمة في التعريف بأسامة، ثم آلت النسخة إلى الشيخ «موقع زاده» عام 1069هـ، وساهم ابنه محمد أنور في إصلاح ما لحقها من خروم عام 1089هـ.

ويفهم من تملك وجد على المخطوطة كما يقول كراتشكوفسكي أنه آل بالملك إلى الشاعر الحلبي هاشم أفندي كلاسي الذي كتب تقريظاً على الكتاب يقول فيه:

هذي المنازل شادها من دمعه
عند الوقوف على المنازل هاملُ
فانظر معالمها البدائع منشدا
لك يا منازل في القلوب منازل

وكان صديقاً لروسو، قنصل فرنساً في حلب وقتها، ومن ثم وجد الكتاب طريقه إلى المتحف الآسيوي ضمن كتب المجموعة الثانية لروسو سنة 1825م، وسمع به الناس لأول مرة مما كتبه المستشرق «فرين» مؤسس المتحف حينذاك، الذي يعد أول من نبه إلى وجود المخطوطة بخط أسامة في مكتبة المتحف، في مقال نشره عام 1825م، ولم يتنبه أحد إلى ذلك حتى أثار كراتشكوفسكي، الأمين العام للمتحف الآسيوي بلييننجراد، الانتباه من جديد للكتاب بعد مرور قرن على وصوله إلى المتحف إذ نشر معلومات تتعلق بالكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام1925م.

تحقيق وطباعة

وقد نشر الكتاب لأول مرة برعاية المتحف الآسيوي بلييننجراد «بطرسبورغ حالياً» سنة 1961م، بطريق التصوير مع نقص في بعض صفحاته، وذلك بعناية المستعرب الروسي أنس خالدوف، ثم قام المكتب الإسلامي بدمشق بإعادة نشره بعد اعتماد نشرة خالدوف، وبعد ذلك ارتأت لجنة إحياء التراث في القاهرة ضرورة إعادة نشره محققاً، وأسندت مهمة التحقيق إلى مصطفى حجازي، مراقب المعجمات وإحياء التراث بمجمع اللغة العربية، فقام بتحقيقه على منهج علمي دقيق، ورد ما نقص منه ووضعه في موضعه.

ولأسامة كتاب آخر يعتبر بمثابة الشقيق لهذا الكتاب، جمع فيه مختاراته في الرثاء وسماه «التأسي والتسلي» وأشار إليه في كتابه «لباب الآداب»، وكان مقيماً أثناء تأليف جانب منه في بلاد العجم، وقد عقد فيه فصلاً اختصه بشعر أبيه، وختم هذا الفصل بما كتبه هو من الشعر في الحنين إلى المنازل والديار.

وفي ديوان أسامة الكثير من الشعر الذي يتصل بهذا الكتاب، كالقصيدة التي يقول فيها:

ويح الزلازل أفنت معشري فإذا
ذكرتهم خلتني في القوم سكرانا

مقدمة أدبية رائعة

ومما يلفت النظر في هذا الكتاب على ما فيه من درر أدبية، تلك المقدمة الرائعة التي كتبها أسامة بأسلوب أدبي وبياني رائق، والتي يقول فيها: (الحمد لله وإن تنقلت بنا الدنيا تنقل الظلال، وتقلب بنا الدهر من حال إلى حال، وعفت رسوم آثارنا، واستولت يد الاعتداء على ديارنا، وتشعبت بنا سبل المذاهب، وأخنت الحوادث على معشري وآلي، وأفنى الموت أسودي وأشبالي، كل ذلك بقدر جرى به القلم في القدم، وقضاء سبقت به المشيئة قبل الخروج إلى الوجود من العدم، ألقى ما سر من ذلك وساء بالتسليم والرضا، وأفوض إليه جل وعلا فيما قدر وقضى، وأقر بأن ابتلاءه بعدله، ومعافاته

بفضله، وأرجو من رحمته أن يكون ذلك كفارة لذنوب سلفت، وموعظة دعت عن المعاصي وصرفت، وأن ما نالنا من الدنيا وآفاتها، بذنوب اقترفناها فرحمنا بتعجيل مكافأتها، وصلى الله على رسوله الأمين، محمد خاتم النبيين، الذي وصفه في كتابه الكريم، فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم) وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه البررة المتقين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة إلى يوم الدين).

أسباب وضع الكتاب

ثم يتحدث عن الأسباب التي دعته لوضع هذا الكتاب، فيقول: (وبعد: جعلك الله بنجوة من النوائب، وأصفى لك الحياة من كدر الشوائب، ولا راعك بحادثة تنسى ما قبلها، وتصغر ما بعدها، وتفتح من النكبات أبواباً لا تستطيع سدها - فإني دعاني إلى جمع هذا الكتاب، ما نال بلادي وأوطاني من الخراب، فإن الزمان جر عليها ذيله، فأصبحت (كأن لم تغن بالأمس)، موحشة العرصات بعد الأنس، قد دثر عمرانها، وهلك سكانها، فعادت مغانيها رسوماً، والمسرات بها حسرات وهموماً، ولقد وقفت عليها بعدما أصابها من الزلازل ما أصابها، وهي «أول أرض مس جلدي ترابها»، فما عرفت داري، ولا دور والدي وإخوتي، ولا دور أعمامي وبني عمي وأسرتي، فبهت متحيراً مستعيذاً بالله من عظيم بلائه، وانتزاع ما خوله من نعمائه).

ثم انصرفت فلا أبثك حيبتي

رعش القيام أمس ميس الأصور

وقد عظمت الرزية حتى غاضت بوادر الدموع، وتتابعت الزفرات حتى أقامت حنايا الضلوع، وما اقتصرت حوادث الزمان على خراب الديار دون هلاك السكان، بل كان هلاكهم أجمع، كارتداد الطرف أو أسرع، ثم استمرت النكبات تترى، من ذلك الحين وهلم جرا، فاسترحت إلى جمع هذا الكتاب، وجعلته بكاء للديار والأحباب، وذلك لا يفيد ولا يجدي، ولكنه مبلغ جهدي، وإلى الله عز وجل أشكو ما لقيت من زماني وانفرادي من أهلي وإخواني، واغترابي عن بلادي وأوطاني، وإليه، عز وجل، أرغب في أن يمن علي وعليهم بغفرانه، ويعوضنا برحمته في دار رضوانه، إنه لا يرد دعاء من دعاه، ولا يخيب رجاء من رجاه.

وقد جعلت هذا الكتاب فصولاً، فافتتحت كل فصل بما يوافق حالي، ثم أفضت فيما يوافق ذا القلب الخالي، لئلا يأتي الكتاب وهو كله عويل ونياحة، ليس فيه لسوى ذي البث راحة، على أن رزايا الدنيا كالأجل، تمهل ولا تهمل، فإن تولت اليوم فغداً تقبل.

وقد تضمنت فصول الكتاب ذكر المنازل والديار والمغاني، وذكر الأطلال والآثار والمساكن والمحل والمعاهد والأعلام



والمعالم والعرصات، وذكر الأرض والأوطان والمدن والبلاد وذكر بكاء الأهل والإخوان.

الشعراء وبكاء المنازل

ففي فصل في ذكر المنازل، يورد ما ذكر عن ابن أبي مريم قال: مررت بسويقة عبد الوهاب وقد خربت، وعلى حائط منها مكتوب:

هذي منازل أقوام عهدتهم

في خفض عيش وعز ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا

إلى القبور، فلا عين ولا أثر

الكتاب ديوان للحنين إلى الأوطان وملامح الشوق إلى الأهل والخلان

وقال ابن أبي طاهر:

يا منزلاً لعب الزمان بأهله
طوراً يفرقهم، وطوراً يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة
كان الزمان بهم يضر وينفع
أصبحت تفزع من رآك، وطالما
كنا إليك من الحوادث نفزع
أيام لا أغشى لأهلك مربعاً
إلا وفيه للمسرة مربع
لهفي عليك، لو أن لهفاً ينفع
أو أن دهراً راحم من يجزع
ما كان ذاك العيش إلا خلسة
خطفاً كرجع الطرف أو هو أسرع

وهنا يورد أسامة من شعره قوله:

يا ليت أن ديارنا كانت كذا
طوراً تفرقنا وطوراً تجمع
لكنها درست وأوحشها الردى
من أهلها فهي القفار البلقع
لا يرتجى لهم إياب جامع
لشتاتهم حتى يضم المجمع

وقال أبو الطيب المتنبي:

أبني أبينا نحن أهل منازل
أبداً غراب البين فينا ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر
جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى
جمعوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس إذا نودوا، كأن لم يعلموا
أن الكلام لهم حلال مطلق

وقال البحتري:

وما أهل المنازل غير ركب
مناياهم رواح وابتكار
لنا في الدهر آمال طوال
نرجيها، وأعمار قصار

وقال أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

يا منزلاً أعطى الحوادث حكمها
لا مطل في عدة ولا تسويفا
أرسى بناديك الندى وتنفست
نفساً بعقوتك الرياح ضعيفا



وقال الأسود بن يعفر:

ماذا أرجي بعد آل محرق
درست منازلهم، وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارق
والقصر ذي الشرفات من سنداد
جرت الرياح على محل ديارهم
فكأنما كانوا على ميعاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به
يوماً يصير إلى بلى ونفاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة
في ظل ملك ثابت الأوتاد

مخطوطة وحيدة للكتاب بخط المؤلف تحتفظ بها مكتبة المتحف الآسيوي بلينتجراد

شعف الغرام بعقوتيك، وربما

روت رباك الهائم المشعوفا

ولئن نرى بك ملقياً أجرانه

ضيف الخطوب، لقد أصاب مضيفا

وهي الفجائع لم تزل نكباتها

يألفن ربع المنزل المألوفا

خلفت بعقوتك الشؤون وطالما

كانت بنات الدهر عنك خلوفا

أيام لا تسطو بأهلك نكبة

إلا تراجع صرفها مصروفا

وقال القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان:

يا معشر الأحباب قد

أضحت منازلهم قبورا

كنت الصغير فليتني

لم أدع بعدهم كبيرا

المعتصم ومرض الموت

وعن زنام الزامر قال: لما اشتد بالمعتصم المرض، في مرضه الذي مات فيه، أفاق في بعض الأيام، فقال: هيئوا لي الزلال (المركب)، لأركب فيه في دجلة غداً، فعملوه، فركب وركبت معه، فمر في دجلة بإزاء منازله، فقال: يا زنام ازمر لي:

يا منزلاً لم تبل أطلاله

حاشا لأطلالك أن تبلى

لم أبك أطلالك، لكنني

بكيت عيشي فيك إذ ولى

والعيش أولى ما بكاه الفتى

لا بد للمخزون أن يسلى

قد كان لي فيك هوى مرة

غيره الدهر وما ملا

فما زال ينتحب حتى عاد إلى منزله.

ثم يقول أسامة بن منقذ: حدثني من أثق به، أنه لما وقع بمصر الغلاء العظيم في أيام المستنصر بالله، واستولت كتامة والجند على الدولة، واستنفدوا ما في الخزائن من الأموال، وتضعضعت الدولة، أمر المستنصر بإحضار ابن الجوهري الواعظ، فحضر، ونصب له كرسياً، فلما صعد على الكرسي تلفت يميناً وشمالاً على نواحي القصر، ثم أنشد:

يا منزلاً لم تبل أطلاله

حاشا لأطلالك أن تبلى

فارتفع البكاء والضجيج في القصر، وما زاد على ذلك، يستعاد منه ويكرره حتى انقضى المجلس.

وروى أن أبا عمرو بن العلاء غاب عن البصرة عشرين سنة، ثم عاد فجلس مجلسه في الجامع، ففقد إخوانه وأصحابه الذين كانوا يقعدون إليه، فبكى، وأنشأ يقول:

يا منزل الحي الذين

تفرقت بهم المنازل

أصبحت بعد عمارة

قفرا تهب بك الشمائل

فلئن رأيتك موحشا

فبما رأيت وأنت آهل

صاحب الرزية

وبعد أن يورد أسامة الكثير من النماذج في ذكر المنازل والديار وبكائها، يقول: لي على من تقدم ذكره من الشعراء فضل المزية، إذ كنت دونهم صاحب الرزية فكان شعري أولى أني قدم على أشعارهم، وإن قصرت بي البلاغة عن اقتفاء آثارهم، لكن للمتقدم السبق، وهو بالتقدمة أولى وأحق، وإن كنت وهم كما قال ذر لأبيه: يا أبه. ما لك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟ قال: يا بني. ليست النائحة المستأجرة كالثكلى.

تضمن أشعاراً كثيرة لكبار الشعراء في بكاء المنازل والديار

وأنا ذاكر شيئاً من شعر أخي، رحمه الله، وشعري مما يدخل في هذا الفصل، قال أخي عز الدولة أبو الحسن علي بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، وكان قد تأخر عنا، وخرجت أنا وأخواي إلى دمشق، ثم إلى مصر، فكان يتأسف لبعدنا عنه، وخلو منازلنا منا:

يا منزلاً لعب البلى برسومه

شعفاً ببهجته فليس يريم

لا تبعدن وجاد ربعك وابل

يروى ثراك أتيه ويسيم

فاسق الربوع من الدموع سجالها

إن الرسوم لها عليك رسوم

وقال أيضاً:

سل المنازل عمن كان يسكنها

من الأحبة والإخوان ما صنعوا؟

تخبرك وعظاً بلا لفظ فقد نظرت

آمالهم والمنايا كيف تصطرع

وهكذا بعد نفخ الصور خاوية

تضحى المنازل أعلاهن متضع

بني أبي إن عدا دهر ففرقنا

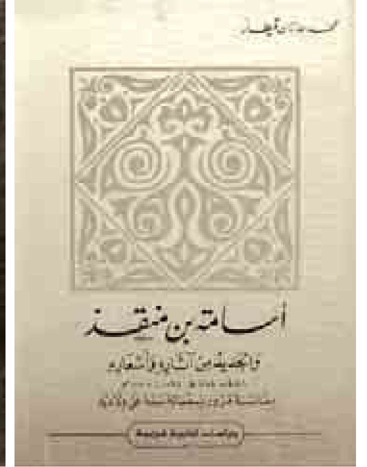
فهم نفسي بكم ما عشت مجتمع

نزحتم أدمعي حتى لقد محلت

جفون عيني، ومات اليأس والطمع

وإن دهراً رمى عن جيده درراً

أمثالكم لزمان عاطل ضرع









قام بتحقيقه مصطفى حجازي بمنهج علمي دقيق ورد ما نقص منه ووضعه في موضعه

وقال أيضاً:

يا منزلاً أضحى كجسمي بالياً
حزن القلوب، وحسرة للناظر
لي كل يوم في ربوعك زفرة
يرمى لظاها بالشرار الطائر
غربت شموسك والذين عهدتهم
بك في ملمات الزمان الغابر
فعليهم مني سلام نشره
متضوع كثنائهم في الحاضر

أشعار المؤلف

ثم يورد أسامة شيئاً من شعره في هذا المعنى، بعدما أصابهم من الزلازل ما أصابهم، فيقول:

إلى الله أشكو روعتي لمنازل
خلت، وجوى قلبي لأهل المنازل
سيوفي إذا ما نازلتني ملمة
حصوني إذا خفت الردى ومعاقلي
مضوا سلفاً قبلي فلم أحظ بعدهم
من العيش والعمر الطويل بطائل

ويقول:

هذي منازلهم عفت وتفرقوا
فسل المنازل عنهم ماذا لقوا؟!
تخبرك أن الأرض قد وارتهم
وأبت لهم أن يسمعوا أو ينطقوا
وبقيت بعدهم لهم فادح
وكآبة تضنى، وخطب يطرق
أرجو اللحاق بهم، ودون لحاقهم
باب من الأجل المؤقت مغلق

فإذا نهاني عن رجاء لقائهم
يأسى هفا قلب إليهم شيق

ويقول أيضاً:

قل للذي فقد الأحبة وانثنى
يسقى منازلهم دموعاً تسجم:
ماذا وقوفك في الديار مسائلاً
عن أهلها، ومتى يجيب الأبكم؟!
سل عنهم صرف الزمان فإنه
بهم من الدار المحيلة أعلم
أفناهم ريب المنون، وهذه
آثارهم عظة لمن يتوسم

ويقول:

انظر منازل آل منقذ إنها
عظة اللبيب، وعبرة للناظر
كانوا بها في نعمة محروسة
بمكارم وذوابلٍ وبواتر
ما رامها ملك ولا ذو قدرة
إلا انثنى عنها بقلب طائر
فأصابها قدر فأهلك من بها
وأعاد شامخها كرسم داثر
فإذا ذكرتهم عرتني حسرة
تمرى سحائب دمعي المتبادر

بكاء الديار

وفي فصل ذكر الديار، يورد ابن منقذ الكثير من النماذج الشعرية، ومن ذلك قول أبي نواس الحسن بن هانئ:

لقد طال في رسم الديار بكائي
وقد طال ترددي بها وعنائي

كأني مريغ في الديار طريدة

أراهـا أمـامـي تـارة وورائـي

فلما بدا لي اليأس عديت ناقتي

عن الدار، واستولى عليّ عزائي

وقال أبو العلاء المعري:

علام هجرت شرق الأرض حتى

أتيت الغرب تختبر العبادا

فإن تجد الديار كما أراد الـ

غريب، فما الصديق كما أرادا

وقال ابن الزقاق من شعراء الأندلس:

حننت إلى الديار، ولي حنين

إلى الأحباب، ليس إلى الربوع

ولو أني أحن إلى مغاني

أحبائي حننت إلى ضلوعي

روى أن المجنون قيس بن الملوح لما اختل عقله كان يخرج، فيأتي الشام، فيقول: أين أرض بني عامر؟ فيقال له: أين أنت من أرض بني عامر؟ عليك بنجم كذا فسر عليه، فينصرف، ويسير حتى يأتي أرض بني عامر، فيقف عند جبل لهم يقال له: «التوباد» وينشد:

وأجهشت للتوباد لما عرفته

وكبر للرحمن حين رآني

فأذريت دمع العين لما رأيته

ونادى بأعلى صوته فدعاني

فقلت له: أين الذين عهدتهم

حواليك في أمن وخفض مكان؟!

فقال: مضوا، واستودعوني ديارهم

ومن ذا الذي يبقى على الحدثان؟

وقال عدي بن الرقاع العاملي:

ليت شعري: هل تخبرني الديار

بيقين عن أهلها أين ساروا؟

أسفاً هيجت فمالك منها الـ

يوم إلا تفجع وادكار

دار حي تقادم العهد منها

بعد حضارها، فبارت وباروا

صادفوا من غوائل الدهر غولاً

بعد ما أنجدوا سنيناً وغاروا

فكأني من ذكرهم خالطتني

من فلسطين بنت كرم عقار

وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

هل للديار بأهلها علم؟!

أم هل يبين فينطق الرسم؟!



يا صاح هل أبكاك موقفنا

أم هل علينا في البكا إثم؟!

أم ما بكاؤك منزلاً خلقا

قفراً يلوح كأنه الوشم؟

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع

وتبقى الديار بعدنا والمصانع

وقد كنت في أكناف جار مضنة

ففارقني جار بأربد نافع

فلا جزع إن فرق الدهر بيننا

وكل فتى يوماً به الدهر فاجع

فلا أنا يأتيني طريف بفرحة

ولا أنا مما أحدث الدهر جازع

وما الناس إلا كالديار وأهلها

بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

المستشرق فرين أول من نبه إلى وجود المخطوطة النادرة بخط أسامة عام 1825م

الملاحم..
مصدر إلهام للأعمال الفنية





ياسمين طارق عبد اللطيف: العراق

حين تخطى الإنسان مرحلة التنقل واستقر في تجمعات ثم مدن صغيرة بدا شكل الحياة الإنسانية بالتبلور وسرعان ما تطور تطوراً كبيراً مع اتساع تلك المدن ليشمل مختلف مناحي الحياة كالزراعة والصناعة والتجارة والعمارة والعلوم المختلفة، كما أدى إلى تنافس الدول فيما بينها أو المدن داخل الدولة الواحدة والذي غالباً ما يؤدي إلى نشوب النزاعات والحروب.



وصاحب ذلك تطور لروح الإنسان التي ابتعدت عن البدائية والوحشية فتهذبت وأصبحت مرهفة الشعور تواقة للجمال وصار الإنسان بحاجة لسجل يحفظ إنجازاته ويوثق انتصاراته بشكل جميل، فظهرت الملاحم التي أرّخت حضارة تلك الشعوب وصارت سجلاً لتراثها وعاداتها وتقاليدها.

والملحمة: قصيدة سردية موسعة ذات لغة عالية كثيرة الأحداث والشخصيات مليئة بالأساطير والخرافات والشخصيات البطولية، ينسب بعضها إلى مؤلف (مثل الإلياذة والأوديسا التي تنسب للشاعر هوميروس) لكن بعض الباحثين ينفون ذلك، فالكاتب الحقيقي للملحمة هو الشعب، لذلك نجد أشكالاً ونصوصاً متعددة للملحمة الواحدة.

كانت الملاحم تروى وتنقل شفهياً من جيل إلى آخر، وقد حظي معظمها باهتمام كبير على مر العصور وصار جزءاً من التراث الإنساني، فتمت ترجمته إلى مختلف اللغات وأدرجته منظمة اليونسكو ضمن التراث العالمي، وقد تحول عدد منها إلى أعمال فنية مسرحية وسينمائية وتلفزيونية حققت نجاحاً كبيراً لما تحتويه هذه الملاحم من أفكار وقيم إنسانية خالدة على مر العصور، ولتعدد شخصياتها وخطوط البناء الدرامي فيها، إضافة لقيمتها التاريخية والجمالية وارتباط بعضها (الملاحم الهندية) بحياة شعوبها حتى يومنا هذا.

المهابهاراتا هي ملحمة الهند الكبرى يحدد الباحثون الفترة التي كتبت بها بين (القرن الرابع ق.م والقرن الرابع بعد الميلاد) ولا يعرف لها مؤلف

1 - الإلياذة

الإلياذة ملحمة شعرية تحكي قصة حرب طروادة وتعد أهم ملحمة شعرية إغريقية، وتاريخها يعود إلى القرن التاسع أو الثامن ق. م، وهي عبارة عن نص شعري طويل، جمع عام 700 ق.م، وتدور الملحمة حول أخيل الذي أبحر لطروادة من بلاد الإغريق لينتقم من باريس الذي قام بغواية هيلين ومن ثم هرب معها إلى طروادة، فقام الإغريق بتجريد حملة ضخمة للثأر بقيادة (اجاممنون) واشتعلت الحرب بين اليونانيين والطرواديين وانقسمت الآلهة إلى فريقين مع طرفي النزاع، وفي نهاية الملحمة ينهزم الطرواديون لكن بعد مصرع أبطال اليونانيين واحداً تلو الآخر. وفي الملحمة وصف دقيق ليس للمعارك فحسب، بل لمشاعر الأبطال النبيلة تارة، والعنيفة الوحشية تارة أخرى، ووصف لمشاعر الحب والأمومة والواجب الوطني والعشرات من القيم الفكرية والعاطفية وكذلك الاجتماعية، التي تصور لنا عادات وتقاليد الناس ومعتقداتهم الدينية. أما أبرز الأعمال التي جسدت هذه الملحمة (فيلم TROY) وهو فيلم طروادة أنتج سنة 2004 من بطولة شون بين وبراد بيت، إخراج فولفغانغ بيترسون، وهو إنتاج مشترك بين الولايات المتحدة وبريطانيا ومالطا، حطم الفيلم شباك التذاكر وترشح للعديد من الجوائز وفاز بجائزة الأوسكار عن فئة أفضل تصميم أزياء.

2 - المهابهاراتا

ملحمة الهند الكبرى.. يحدد الباحثون الفترة التي كتبت بها بين (القرن الرابع ق.م - القرن الرابع بعد الميلاد) لا يعرف لها مؤلف ولها عدة نصوص غير متكاملة بالسنسكريتية، ونصوص بلغات هندية مختلفة أشهرها النص المكتوب بالتاميلية، والذي ترجم إلى معظم اللغات العالمية والأمر الذي جعل المهابهاراتا الأكثر شهرة بين ملاحم الشرق هو ارتباطها بالمعتقدات الهندوسية وعادات وتقاليد المجتمع الهندي حتى يومنا هذا على خلاف الملاحم الأخرى التي صارت جزءاً من تراث الشعوب منفصلاً عن حاضرها.




وفكرة المهابهاراتا الرئيسة هي الصراع الدائر بين أبناء العمومة (أسرة الباندافا) و(أسرة الكورافا) والقسم الأهم منها هو الحرب الطاحنة التي دارت بين الأسرتين وحلفاء كل منهم وانتهت بانتصار الباندافا بعد أن قتل معظم أفراد الأسرتين.

ولكن المهابهاراتا تحتوي خطوطاً درامية متوازية أخرى مليئة بالعبر نتعلم منها قيماً عظيمة كالوفاء والتضحية والصبر، ونتعلم أيضاً دروساً مريرة في الحب المهووس للسلطة وانهيار المبادئ والقيم الإنسانية في أوقات الحرب والمحن.

أما أهم الأعمال التي جسدت لنا هذه الملحمة:

أ- فيلم المهابهاراتا: أنتج سنة 1965 أخرجه (بابوباي مستري) وقام ببطولته (براديب كومار) و(دارا سينغ)، حقق الفيلم نجاحاً جيداً في شباك التذاكر وحافظ على روح النص الملحمي وأفكاره الرئيسة مضيفاً لها مجموعة جميلة من الأغاني والرقصات الفنية.

ب- فيلم المهابهاراتا 1989

فيلم تلفزيوني أخرجه المخرج العبقري (بيتر بروك) قام ببطولته مجموعة كبيرة من النجوم منهم روبرت لانجتون وبروس ماير، وهو إنتاج ضخم اشتركت فيه الولايات المتحدة مع عدة دول منها أستراليا وأيرلندا والسويد، وقد حقق الفيلم نجاحاً كبيراً وحصل على جائزة الـ(إيمي) كأفضل عمل إبداعي، وقد حافظ أيضاً على النص الأصلي للملحمة.

ج- مسلسل الماهابهاراتا: مسلسل هندي أنتجته قناة star plus سنة 1988 في 94 حلقة تلفزيونية وأخرجه المخرج الكبير (بالديف راج تشوبرا) وحقق نسبة مشاهدة عالية في الهند ودول جنوب غرب آسيا.

د- فيلم الرسوم المتحركة (أرجون المحارب): أنتجته شركة UTV سنة 2012 وأخرجه (ارناب تشودري) ولا يروي لنا قصة المهابهاراتا كاملة بل يكتفي بقصة حياة الأمير أرجون أحد أبطال الملحمة (من أسرة الباندافا).

3 - ملحمة الرامايانا

ثاني أكبر ملحمة هندية بعد الماهابهاراتا، ينسب جزء كبير منها إلى الشاعر (فالميكي) لها عدة نصوص باللغات التاميلية والنيبالية والبورمية، لكن أهم نصوصها وأكثرها دقة النص القديم المدون باللغة السنسكريتية المكون من ما يقارب ألف صفحة مقسمة إلى سبعة فصول يحدد المؤرخون تاريخ كتابته بنحو1500 ق.م.

والفكرة الأساسية للملحمة هي صراع الخير والشر.. وفي كل سنة تقام احتفالات في الهند تسمى (أعياد دوشيرا) تستمر عدة أيام وكلمة دوشيرا تعني (هزيمة الشيطان ذو الرؤوس العشرة) تقدم أجزاء من ملحمة الرامايانا في مشاهد مسرحية مليئة بالأغاني والرقصات تقدمها الفرق المسرحية العريقة في المدن الكبيرة والفرق الجوالة في القرى والمدن الصغيرة، وتقدم الرامايانا كذلك في عروض مسرحية في الدول المجاورة للهند مثل بنغلاديش وبورما وبوتان.

أما أهم الأعمال الفنية التي استمدت مضمونها من الرامايانا:

أ- مسلسل رامايان 1987: عرضته قناة (دوردرشان) الهندية في 78 حلقة تلفزيونية ثم أعادت إنتاجه عام 2012 حقق المسلسل بنسختيه نجاحاً طيباً على المستوى المحلي وحافظ على روح النص الأصلي للملحمة.

ب- مسلسل رامايانا 2008 : أنتجه وقام بعرضه التلفزيون الوطني الهندي وأخرجه (اناند ساغار)، حقق المسلسل نجاحاً كبيراً وحصد العديد من الجوائز أهمها:

الإلياذة ملحمة شعرية تحكي قصة حرب طروادة وتعد أهم ملحمة شعرية إغريقية وتاريخها يعود إلى القرن التاسع أو الثامن ق. م



(جائزة أفضل مسلسل تلفزيوني. حافظ المسلسل على روح الملحمة مع بعض الإضافات.

ج- فيلم RAM LEELA GOLIYON KI RASLILLA

رام ليلا بين السيوف، هو فيلم هندي أنتج عام 2013 وأخرجه المخرج الكبير (سانجاي ليلا بهانسالي)، حقق الفيلم نجاحاً منقطع النظير، وحصد عشرات الجوائز سواء في الهند أو عالمياً، وقد افتتح به مهرجان مراكش السينمائي الدولي 2013.

ابتعد الفيلم عن النص الأصلي للملحمة لكنه احتفظ فقط بقصة الحب التي ربطت الإله (رام) بزوجته (سيتا) ومزجها مع رائعة شكسبير (روميو وجولييت) مع عدد من الأغاني الجميلة والرقصات الفلكلورية الهندية.

4 - ملحمة جلجامش

الملحمة القادمة من عمق حضارة وادي الرافدين وتحديداً من العهد السومري، وأقدم الملاحم المعروفة في العالم؛ إذ تشير المصادر أنها كتبت في القرن السابع عشر ق.م، وعثر على الألواح التي تحتوي نصوصها سنة 1853 وهي محفوظة الآن في المتحف البريطاني تحكي سيرة الملك جلجامش الذي كان ثلثاه إله وثلثه الباقي من البشر، ولأن البشر محكوم بالفناء أصبح جلجامش يبحث عن الخلود الموجود في عشبة سحرية، ويبدأ رحلته للعثور عليها وبعد سلسلة من الأحداث يعثر عليها لكنه يفقدها في طريق عودته لكنه يكتشف أن الخلود الحقيقي للإنسان يكون في أعماله لا في بقائه على قيد الحياة.

وقد حازت الملحمة على شهرة عالمية وعرضت على مختلف مسارح العالم بشكل مسرحية أو أوبرا أو باليه وقدمت في العراق غير مرة:

1 - قدمها المخرج الراحل إبراهيم جلال سنة 1966 عن نص كتبه الأستاذ عادل كاظم بعنوان (الطوفان) مع الفرقة القومية برؤية جمعت بين الحداثة وروح النص التاريخية.

2 - قدمها المبدع الراحل عوني كرومي في مسرحية (رثاء أور) برؤية متميزة ناقش فيها فكرة قيام المدن والحضارات ثم اندثارها فيما بعد.

3 - قدمها الأستاذ سامي عبد الحميد 6 مرات برؤى مختلفة بعد دراسة مستفيضة لنص الملحمة بل وحتى موقعها الجغرافي العراقي اعتماداً على النص الأصلي أو النص المعد عنه أو النص الذي كتبته الأستاذة لطفية الدليمي وبمشاركة نخبة كبيرة من نجوم المسرح العراقي.

4 - قدمها د.عقيل مهدي مرتين الأولى من خلال مسرحية (جلجامش صبيا) برؤية حافظت على روح النص وشكله التاريخي ثم قدمها ثانية بمسرحية (خلود جلجامش) التي أعطى النص من خلالها شكلاً معاصراً.

ويقوم الفنان كاظم الساهر بالإعداد لعمل أوبرالي كبير عن الملحمة بالتعاون مع مجموعة من الكتاب والمخرجين العراقيين.

الجدير بالذكر أن هناك ملاحم أخرى لم تحظ بنفس الاهتمام العالمي لسبب أو لآخر مثل ملحمة (الملك جيسار) التيبتية التي رفض شعب التيبت اعتبار اليونسكو لها جزءاً من التراث الصيني.

وملحمة (ماناس) القرغيزية التي تطالب الصين باعتبارها من التراث الصيني لوجود جالية قرغيزية في الصين تعود بنسبها إلى بطل الملحمة ماناس.

وتقدم هتان الملحمتان في الاحتفالات الشعبية على شكل أغانٍ أو قصائد أو مقاطع تمثيلية صغيرة.

الملحمة: قصيدة سردية موسعة ذات لغة عالية كثيرة الأحداث والشخصيات مليئة بالأساطير والخرافات والشخصيات البطولية



اختناق



أحمد التهامي قاسم: مصر

طال بي الانتظار بمحطة القطار القادم من الغرب والمتجه شرقاً نحو قريتنا النائية، المطلة على شاطئ النيل العريق.. وصل القطار متأخراً عن موعده كالعادة.. تشابكت الأيدي والأرجل في سباق عنيف للركوب.. والفوز بمكان.. تزاحم الجميع للجلوس.. تشبث كل منهم بمقعد خال مريح.. خوفاً على مكانته وسط الزحام، ولطول الطريق الشاق.. البعيد المدى.. لم يعد ثمة مقعد خال بالقطار.. أسرعت متلهفاً أجول داخل العربات للبحث عن مكان.. لفظني الزحام وحيداً، بعيداً، بلا ازدحام.. وقفت حائراً في أمري.. رأيت وسمعت وقع أقدام تقفز مسرعة بسهولة إلى أعلى.. وقفت أتأملهم.. أطلق القطار صفارته العالية المدوية إنذاراً للبدء بالتحرك.. لم يعد أمامي لآخذ دوري مجرباً صاعداً، متسلقاً فوق ظهر القطار حيث الهواء الطلق.. فكم شعرت بالتعب الشديد بعد عودتي من عملي في ذلك اليوم شديد القيظ.. استلقيت على ظهري شارداً.. سابحاً بنظري في الفضاء الرحب.. كنت بين اليقظة والمنام خوفاً وخشية من الوقوع على الأرض.. راحت عيني في النوم، بدأت أتحرك دون أن أدري وعن غير رغبتي الحقيقية الواعية.. شعرت أنني اقتربت من الحافة.. أخذ القطار يهتز هزات متتالية لم أعرف السبب، فرملة بعد أخرى تصم مسامعي.. أمسكت بيدي متراجعاً للخلف متشبثاً بقوة بلا شيء خشية الوقوع، شعرت باختناق وضيق شديدين.. أريد أن أصرخ بأعلى وبكل قوتي.. وظللت أصرخ صراخاً متوالياً لأستنجد، بأحد، أي أحد، حذر الموت.. ولكن يبدو أن صوت القطار لم يترك لصوتي من أثر يسمع.. حتى أنني لم أعد أسمع نفسي.. شعرت بفرملة شديدة.. اضطربت لها جنبات نفسي، ثم سمعت هزة عنيفة قوية وصوتاً مفزعاً.. وفجأة وجدت نفسي مرتمياً ومتكوراً مع مرتبة سريري المتواضع التي انزلقت من تحتها، الملة، القصيرة الناعمة.. والتي سقطت من تحتي أكثر من نصف ألواحها الخشبية، القديمة، المتهالكة.. ولم يتبق منها سوى لوح واحد أو اثنين.. فطار النوم بعيداً، عن جفوني محلقاً ومعانقاً نسمات الفجر الجديد المصاحبة لصوت المؤذن القريب.. أزحت ونفضت عن رأسي غطائي الثقيل.. قمت ولبست ملابسي، ونهضت مسرعاً متجهاً إلى المسجد لألحق بصلاة الجماعة في تبتل وخشوع.. عقب الشكر والتسبيح والاستغفار وختام الصلاة.. دعوت ربي.. هدأت، نفسي الثائرة الحائرة المضطربة.. تلاشت هواجسي مع انقضاء ظلمة الليل.. سخرت ولعنت أحلام اليقظة التي تبددت.. عدت بخطوات واثقة، ثابتة، محتضناً أرضي وفراشي.. أغمضت عيني حتى أسرعت تغط في سبات عميق بلا خوف أو أرق من الأحلام أو الكوابيس المتلاحقة الصاعدة بي إلى الهاوية.

زماننا كما نراه اليوم
تجاذب بين اليوتوبيا والديزوتوبيا

سؤال الظل

د. واسيني الأعرج

باريس



الزمن الذي نعيشه يتغير بسرعة رهيبة، ومعه تزداد مخاوفنا من مصائر تراجيدية يمكننا أن نتوقعها ونراها ترتسم في الأفق، ولو ظل ارتباطنا بالحياة أقوى وأهم، لأنه الأبقى. وكما قال سرفانتس قبل قرون، على لسان دون كيخوتي، وهو يجيب على أسئلة مرافقه الدائم: اسمع يا سانشو. لا نملك طريقاً آخر. علينا أن نشد على الحياة بكل ما نملك من قوة وصبر. حتى عندما نفقد الأمل في كل ما يحيط بنا، علينا إعادة خلقه وابتداعه. لا أستبعد أن تكون حالة سرفانتس شبيهة بحالنا اليوم. هو أيضاً جاء في لحظة تاريخية فارقة انتفت فيها كل اليوتوبيات التي صنعها الإنسان لنفسه، وحل محلها التوحش ومطاردة الإنسان على معتقده وثقافته وقناعاته. فقد طردت محاكم التفتيش المقدس في إسبانيا الكاثوليكية، كل بذرة للنور، وأحرقت المثقفين، وطاردت كل من يخالفها دينياً. سرفانتس لم ينفذ من محاكمها إلا بشعرة. فقد طالبته بوثيقة نقاء الدم التي تثبت أنه لا يوجد في سلالته موريسكيون مسلمون أندلسيون، أو مارانيون يهود.

اللحظات الحادة هي التي تحرك التاريخ، لكنها في الوقت نفسه تحرق أجيالاً بإدخالها في نزاعات وحروب دموية، وأحياناً مدمرة لكل عمران وثقافة، في ظل أوضاع سياسية مرتبكة ومتداخلة تغيب فيها القيم وتحل محلها قيم أخرى. ولا غرابة في ذلك، يظل السياسي هو الذي يَصْنَع ويُصَنِّع حياتنا اليومية وفق مقاييسه المتعددة التي تلعب فيها مختلف الإستراتيجيات دورها الحيوي ويظل الإنسان المهزوم، مثل الحالة العربية اليوم، ينتظر أن تخرج منها أدهش الحلول الربانية، وينسى أن الحل يصنعه التفكير والجهد الحقيقيان، دون ذلك سيظل العربي يدور مثل الضرير في المكان نفسه، وهو يظن أنه قطع الفيافي والمسافات. ما يغطي اليوم عجزنا المفجع، ليس المنتَج الاقتصادي والثقافي المنافس عالمياً، ولا الجهد العلمي الذي يرقّي الناس ويدفع بهم إلى الأمام، لكن الطبيعة التي تجود علينا بخيراتها التي تسمح لنا بالبناء والتشييد والسفر وارتياد أحدث التكنولوجيات، وشراء الأسلحة الفتاكة التي لن تُستعمل، لا في حروبنا القومية التي لم تفض في النهاية إلا إلى سلسلة من الهزائم المتواترة، ولا في تحرير فلسطين التي عليها أن تتحمل تراجيديا المصائر السّيزيفية وحدها، بحمل صخرتها الأبدية والصعود بها عالياً، قبل أن تتدحرج معها من الأعلى، والعودة حثيثاً إلى السفح، ثم محاولة معاودة الكرة مرة أخرى، مرتين، عشر، مئة، بل آلاف المرات بلا أفق حقيقي. أسلحة تصدأ في المخازن، والجديد منها يوجهه العرب ضد بعضهم البعض، في صراع مفتوح، لا أحد يعرف أفقه في النهاية. القاتل عربي والمقتول أيضاً عربي. ربما كان ضحايا حروبنا البينية أكثر من ضحايا حروبنا مع أعدائنا الخارجيين. هذا المعطى وحده يجعل الخوف من المستقبل مبرراً. الأدهى ليس هذا. بل إنّ العرب أخطأوا عصرهم، بتخلفهم عن جميع الأمم، ولا يدرون أنهم في قاع البئر. يتفانون ويتمزقون بلا أفق أبداً. العرب اليوم في عمق السياسة، لكن أية سياسة؟ تلك التي تقدمهم، أم تلك التي تسحبهم نحو القاع والموت. سياسة وحيدة منتهجة عربياً، تلك التي تقتل كل يوم ما تبقى من إرادة جماعية وقومية. للأسف، كثيراً ما يكون رواد التقتيل القومي عرباً. ومادام الأمر يتعلق بالعربي، فليس الأمر مهماً عالمياً. النتيجة المدمرة واحدة. الخطابات السياسية المنتجَة في هذا السياق، تنضوي تحت إرادة المهيمن. لهذا أي خطاب أدبي أو إبداعي وفيّ لقيم الإبداع والخلق والحرية سيجد نفسه على الطرف النقيض من هذه الخطابات السياسية، أي في موقع العداء والموت المحتمل، أو الحرب الافتراضية ضده. لهذا، فالمبدع في العالم العربي لا يربي الكثير من الأوهام حول مسألة حرية التعبير في مجتمعات بنيت جوهرياً على النقيض من ذلك. لا مهرب للمبدع العربي، بحر الموت وراءه، بحر الغرق أمامه، بحر النسيان مآله، فماذا يخسر في النهاية في وضع كهذا؟ لن يخسر إلا جسده أو بقاياه. لا قوة له إلا قوته الباطنية الإبداعية، وهو يعرف مسبقاً أنه غير مرغوب فيه أبداً. المبدع مكروه رسمياً لأنه ينغص على

الذيـن يعيشون رفاهاً وهمياً علـى حساب كم من البشر يموتون يوميـاً بلا قيمـة، لا لحياتهم ولا لأجسادهـم. النشرات العربية تعج بالتفجيرات التـي تأخذ في طريقها العشرات، والاغتيالات والاختطافـات. الـدم العربي لـم تعد له قيمة تذكـر. النشرات الغربيـة والعربيـة أيضـاً أصبحت تمـر عليه كخبر عـام. يجد المبـدع العربـي نفسـه منخرطاً فـي الفعل المضـاد للخطاب المهيمـن أو ما يطلق عليه اليوم ريال بوليتك التي تعني ببساطة أن تقبلَ بما هو أمامك إذا أردتَ أن تستمر في الوجود والحياة. المنجز الأدبي العربي، في هذا السياق، ليس إلا جزئية صغيرة من هذا التضاد، لا لدولة عربية يتماهي فيها السياسي بالقبلي، والعصري بالتقليدي البالي، ولا لخيارات سياسية أثبتت عجزها في المئة سنة الأخيرة، لكن لعصر مضى مفرغاً من أي مشروع، ولآت لا شـيء فيـه يبشر بأفـق سليم، أو ببعضـ الخير. وظيفة النصوصـ التي اختـارت التحليل والغوص فـي التاريخ، لا تفعل شيئاً سوى أنها تعري وضعاً ليس اليوم مرئياً إلا من خلال بعض علاماته المعاشة ببؤس والتي تحتاج إلى تأمل يتخطى الأغلفة الناعمة والخشنة.

لهذا ما نقرأه اليـوم فيها من خطابات، هي في عمق السؤال المركزي الذي تتوخى هذه النصوص طرحه في نقاشها للوضع العربي، مبتعـدة عن أوهام اليوتوبيا التـي أزاحتها الديزوتوبيا التـي هي الشـكل النقيض لكل مـا يصنعه الإنسـان ذهنياً من أحـلام. نحن فـي مفترق طرق شديد الخطـورة، إما أن نتوقف قليلاً ونتأمله وننتج مخارج النجاة الحقيقية، غير تلك التقليدية المعلنة سلفـاً كما في الطائرات: مخرجـان للإنقاذ في الأمام والوسـط ومخرجان في الوراء. كلها أبواب أصبحت اليوم تؤدي إلى الفراغ والموت. علينا قبل فوات الأوان أن ننحت مخارج غير منظورة وهي متوفرة، لكنها تحتـاج إلى عقل براغماتي يضعها أمامـه ويقوم بفحصها بدقة، ويقبل بالخسـارة مقابل إنقاذ ما يمكـن إنقاذه، إذا لم يكن قد فـات الأوان. الوضع العربي اليوم مثل وضع الأرض التي فقدت كل إمكانية للمقاومة بعد أن امتلأت بثانـي أكسيد الكربون والسموم التي تبثهـا المصانع لدرجة أن أصبحت تهدد الأرضـ نفسها وليس الحياة عليها فقط، بعد أن اخترقت طبقة الأوزون الواقية، وغير النظام المناخي كلياً الذي لم ينتـج إلا الموت المحتمل. الحلول التـي قدمتها ندوة **COP 21** لـن تكون بالضرورة هـي المنقـذ، لكنها على الأقل، تقلل من المخاطـر، وتمنـح الأرض أملاً فـي الحياة. الوضعيـة العربية شبيهـة بذلك في كل التفاصيل. إما أن يجد العرب، موحدين أو منفصليـن لا يهم، الحلول الممكنة التي تنقذهم وتنقذ أرضهم وعرضهم ومالهم ومستقبلهم، وإما أن ينهار ما تبقى واقفاً حتى اليـوم ولا يبقى من أفق ممكن إلا الجحيـم النهائي والعودة إلى القرون الوسطى. الخطر الداهم حقيقة وليس مجرد أوهام. كل الدراسات الإستراتيجيـة والاستشرافية تقود إلى ذلك. يخطئ جداً من يظن من العرب أنه في منأى عن عاصفة الإفناء. إذا ما استمر الوضع على ما هو عليه، سينتهي العرب تباعاً، وحدودهم ستنتهـك بلا أية قدرة عن الدفـاع، وحليفهم المصلحي اليوم، سيجلـب معه وسائل الموت الدمار عند الضرورة، لأن مصلحته اليـوم هي أيضـاً خدمـة حلفـاء إستراتيجيين آخريـن، ليسوا العرب، بكل تأكيد.

النصوص الأدبية التي ظهرت في السنوات هي صرخات خوف داهم، لكن للأسف، قليلا ما يسمع الساسة هذه النداءات لأنهم لا يقـرؤون. وحتى القراء الذين صنعوهـم يحملون جينات هذا التناقض في الاستقبال. قضيتـان جوهريتان تطرحان في هذا السياق: الأولى تتعلق بالقـارئ وأفق انتظاره الوهمي الذي تعود عليه، وإغراقه في تفاؤل أبله، ونصّية رسولية حاملة في جعبتها اللغويـة كل الحلـول التي تنتظرهـا الجماهير لحـل مشكلاتها بجمـل مرصوصة لم تعد قادرة على إقنـاع حتى منتجها. طبعاً هـذا القارئ الغارق في الأوهام، والمنتظر لغودو لن يصل أبداً، موجود حقيقـة، وهو ثمرة لنظام خطته الثقافـة الرسمية التي تلقاها هذا القارئ، من المدرسة، لكنه قارئ عرضة لتجاذبات عـدة. فيه من الاستسـلام للسهل ما لا يمكـن نكرانه، لكن فيه أيضاً العصيان الذي قليلاً ما ننتبه له وهو المكان الذي خرجنا منه جميعاً. القادر على مغادرة دائرة اليقين الرسمي والدخول فـي مسـاءلات مختلفة من خـلال مجمـل المكاسـب الثقافية التـي تحصل عليها الإنسـان في معاركه الحياتيـة. ولأننا ثمرة هذا العصيـان الطبيعي نكتـب، ونقرأ بشكل يخالـف ما تريده وتنتظره المؤسسة الرسمية منـا. هذا العصيان قليلاً ما يؤخذ بعيـن الاعتبار في عمليات التوصيـف، وربما كان هذا بالضبط مـا يصنع الوعـي الممكن الذي بـه يتخطى القـارئ الشرطية المفروضـة عليـه. والسرد نفسـه تخترقه هاتـان الخاصيتان. خاصية الرسمـي الذي يصنع سرده من الخطـاب الرسمي ولا يخـرج عنها لأنه يدرك العواقـب الوخيمة التي تنتظره ما يجعل الكاتـب مثل بهلواني نيتشه الذي عليـه، وهو يقطع مسار الحبل مشيـاً، أن لا يتدحرج لا شمالاً ولا يمينـاً وإلا فثمة موته. مشكلة السرد أنه لا يستطيع أن يقف على هذه الحدية لأنه منذ البداية يحدد خياراته المختلفة ويسقط تجاه ما يشترطه التاريخ ورؤية الفنان أو المبدع التي لا تقبل بلعبة التوازن. هذا لا يعني تعويض الخطاب بالشتيمة السياسيـة والخطاب السهل، ولكن بتحريك آلـة الإبداع بحيث تـدرك أين تقف وماذا عليهـا أن تمس. وفي هـذا بطبيعة الحال لا يتساوى المبدعون أبداً. فهناك من اختار المسلـك الصعـب، مسلـك الإبـداع، وهناك من اختـار طريق السهولـة الذي يقود إلى كل المسالك إلا مسلك الإبداع. الكتابة عمل شاق ومضن وتحتاج إلى صبر كبير وطويل أيضاً.

الخَط العَربيّ

في كتابات الرحالة جمس بكنجهام

د.علي عفيفي غازي: مصر

تُشكل كتابات الرحالة ومذكراتهم جنساً أدبياً راقياً وممتعاً في آن، إذ يكتبون ويدونون مشاهداتهم وانطباعاتهم في مؤلفات تُعدّ مراجع نفيسة عن الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المنطقة العربية، ترصد الأوضاع الثقافية والفكرية والحضارية السائدة، وتوثق مواقف وعادات وسلوكيات، تبدو عادية لدى السكان المحليين في حين أنها غاية في الأهمية في دراسة تطور الأنماط الثقافية، وفي الدراسات المقارنة لعادات وقيم وتقاليد الشعوب وثقافاتها.

وبهذا توفر كتابات الرحالة مادة علمية قيّمة للدراسات الاجتماعية، والأنثروبولوجية، والتاريخية، لأنها تُؤرخ الأنثروبولوجيا الثقافية للمجتمعات والحضارات التي يزورها من خلال رؤية الرحالة لها كشاهد عيان.




يُفترض في رؤية الرحالة ظناً الحياد، ولكنها غالباً ما تمتزج بمشاعر الرحالة، إلا أن كتابات الرحالة، مهما كان فيها من ذاتية كاتبيها، «تُعدّ مصدراً تاريخياً يعكس ما رأته العين، وسمعته الأذن، ولمسته اليد، أو القدم، فالرحالة الذي تصلنا أدبياته هو الشاهد الذي نجد عنده التاريخ حياً، فشهادته إن صحت تُعدّ مرآة الزمن في اللحظة التاريخية التي زار فيها المكان، والتقى فيها السكان. ولا يُمكن أن يجد الباحث في الوثائق الرسمية ما يجده عند الرحالة من وصف للمشاعر والأحاسيس والانطباعات، وقراءة الوجوه، وهي من الجوانب الإنسانية الغائبة في كثير من الكتابات التاريخية. ومتى ما أُخضعت كتابات الرحالة للنقد التاريخي صارت آمنة الاستخدام، لأن المؤرخ في هذه الحالة يُجنب ذاتية الرحالة، ويستقي من موضوعيته ما يُفيد. ولعل أروع ما يُقدمه الرحالة هو إمساكه بالحدث التاريخي لحظة حدوثه ليبقى حياً إلى أن يصل إلينا، تماماً كما تفعل كاميرا المراسل الصحفي في هذه الأيام».

يلفت الخط العربي انتباه الرحالة الذين زاروا المنطقة العربية، وبفضل تعلّم هؤلاء اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي، فقد باتوا يستطيعون التمييز بين أنواع الخطوط العربية، بل إن أغلبهم تعرف على الخط الكوفي خاصة، وميزه عن الخطوط الأخرى، ولعل ذلك يرجع إلى أنه خط مميز بالفعل، ربما لهندسية هذا النوع من الخط، فهو نوع من الخط يابس مستقيم الحروف حاد الزوايا، أقرب إلى الشكل الهندسي، وهو من أجود الخطوط شكلاً ومنظراً وتنسيقاً وتنظيماً، فأشكال الحروف فيه متشابهة، ويشيع استخدامه بصفة خاصة في المساجد.

جمس بكنجهام

ولد الرحالة الإنجليزي جمس سلك بكنجهام «J. S. Buckingham1786-1855» عام 1786 في قرية بالقرب من مدينة فالموث بإنجلترا لأب مزارع، ويُغرم بالبحر، منذ صباه، وينتقل وهو شاب إلى الهند، حيث يعمل في إحدى دوائر شركة الهند الشرقية الإنجليزية، ثم يُصدر «صحيفة كلكتا Culcutta Journal»، التي نجحت نجاحاً كبيراً لما كان يكتبه فيها من نقد لأعمال شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وما يعالجه من شؤون الهند ببعض من العدل والإنصاف. ولكن انتقاداته أثارت غضب السلطات البريطانية في الهند، وضاق به ذرعاً «جون آدم»، نائب ملك بريطانيا في الهند عام 1823، فعطل صحيفته، وأمر بإخراجه من الهند. ليعود بكنجهام إلى بريطانيا، ويُقيم

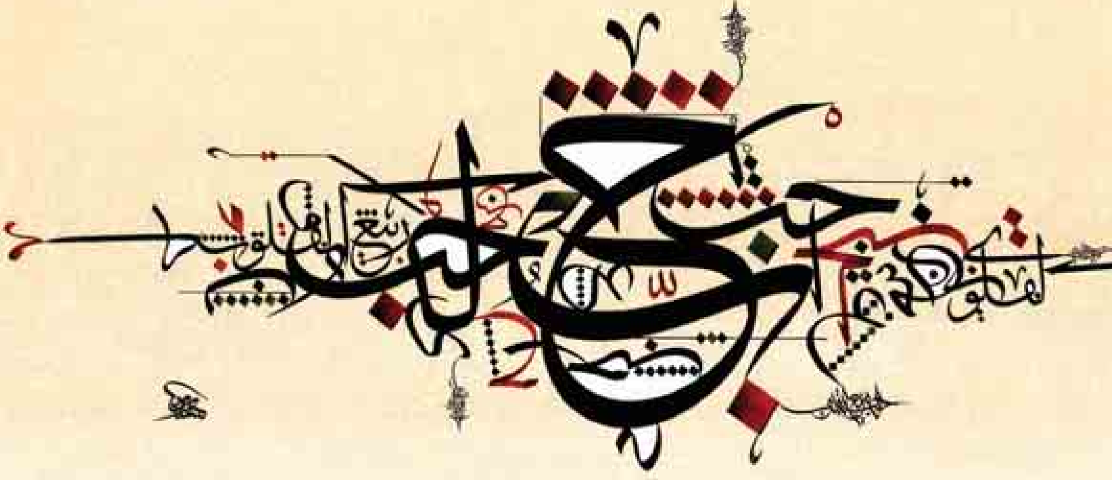


يشير بكنجهام إلى كتابات بالخط الكوفي على خاتم يرجع لأحد الخلفاء في بغداد يحتوي على الكلمات «يا الله»

دعوى قضائية ضد شركة الهند الشرقية أمام البرلمان البريطاني مطالباً إياها بالتعويض، ويُصدر البرلمان حكماً لصالحه إذ يُلزم الشركة بأن تدفع له تعويضاً مالياً بمبلغ مئة باون في السنة.

يغتنم بكنجهام، أثناء عمله في شركة الهند الشرقية، ما يتجمع لدية من إجازات سنوية ليُنفقها في رحلة من رحلاته المحفوفة بالمخاطر والأهوال. إذ كان كثير التطواف والترحال، وكانت البلاد العربية قبلة أنظاره في رحلاته وأسفاره. وقد بدأ أولى رحلاته العربية بمصر عام 1812 فطاف بها من بورسعيد حتى جنوبي أسوان، مستوضحاً عن أماكنها الأثرية خاصة، ومدوناً أحوال السكان أثناء اتصاله بهم في تطوافه، وفي حله وترحاله عامة، وطبع تلك الرحلة في جزءين كبيرين. وفي عام 1814 يقوم برحلة أخرى إلى فلسطين، وشرقي الأردن، وأخرج مشاهداته وملاحظاته في كتابين أيضاً. وفي سنة 1816 بدأ رحلته إلى العراق عن طريق سوريا، بدأها من مدينة حلب في 27 مايو 1816، وبعد أن عبر نهر الفرات اتجه نحو أورفة داخل الحدود التركية حالياً، ثم سار منها إلى ماردين فديار بكر، ومنها كر راجعاً إلى ماردين فمدينة نصيبين، ومن هناك عبر الحدود العراقية متخذاً طريقه عبر سهل سنجار إلى الموصل، ثم دخل بغداد عن طريق الموصل، أربيل، كركوك. وبعد زيارات خاطفة لعكركوف وآثار بابل استقر بضعة أيام في بغداد ليُغادرها إلى الهند عن طريق إيران. وقد أصدر مجلدين عن رحلته إلى العراق، بعنوان «رحلات في بلاد ما بين النهرين Travels in Mesopotania» «لندن: 1827»، الجزء الأول عن ديار بكر وماردين، والثاني عن الموصل وكركوك وبغداد وبابل وبغداد. كما صدرت رحلته عن إيران في مجلدين أيضاً، بعنوان «رحلات في أشور وميديا وإيران Travels in Assyria، Media and Persia» «لندن: 1830»، يصف فيها سفره من بغداد إلى إيران بطريق خانقين وقصر شيرين إلى أن وصل إلى أنقاض مدينة برسبوليس الإيرانية القديمة، ومن هناك غادر إيران إلى الهند ثم عاد من الهند بحراً ليستقر في مدينة البصرة، وبوصفها اختتم رحلته الثانية هذه. وضمّ كتابه عن إيران فصولاً خاصة عن البصرة والخليج العربي. وأصدر بعد ذلك كتاباً جديداً باسم «رحلات بين العشائر العربية»، تحدث فيه عن تطوافه بين العشائر العربية على امتداد فلسطين والأردن وسوريا والعراق. وفي ديسمبر 1816 يزور مسقط في طريق عودته من الهند.

يستقر المقام ببكنجهام في إنجلترا ويصدر جريدة



توفر كتابات الرحالة مادة علمية قيّمة للدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والتاريخية

«صوت الشرق» Oriental Herald في عام 1824، ثم صحيفة «Athenacum» عام 1828 لكنه لم يلق نجاحاً يُذكر. وانغمس انغماساً واسعاً في حملة الإصلاح الاجتماعي في بريطانيا، فاشترك في عدة جمعيات ونواد لهذا الغرض، وكان من أقوى الأصوات المطالبة بالإصلاح في البرلمان الإنجليزي عندما اختير عضواً فيه عن دائرة شفيلد (1832-1837). وعكف في سنوات حياته الأخيرة على كتابة سيرته الشخصية، وكان مقرراً أن تقع هذه السيرة في أربعة مجلدات لكنه لم يُكمل منها سوى مجلدين قبل وفاته سنة 1855.

الخط المسماري

يذكر بكنجهام الخط والكتابات في رحلته أولاً بالإشارة إلى أنه رأى كتابات بالخط المسماري في «تل المجبلي» الذي يصفه بأنه «أركام خرائب تكونت من تقوض الأبنية» يُرجح أنها ترجع إلى الفترة البابلية في العراق، حيث عثر «فيه على قطع من اللبن الصلب عليها كتابات بالخط المسماري أو البابلي».

الخط العربي

يشاهد بكنجهام على برجي سور بغداد الباقيين كتابة مستطيلة طويلة في أعالي هذين البرجين نقشت على نسق الخط العربي القديم، و«تحتل شريطاً عريضاً في الجزء الشمالي من هذين البرجين، وقد خطت بأحسن خط عربي قديم، ويظهر من صفة تلك الكتابة أنها ذات الكتابة التي استنسخها «نيبور» من أحد الأبراج، ويظهر من هذه الكتابة أن الخليفة الناصر هو الذي شيدها في سنة 618 للهجرة أو سنة 1221 للميلاد».

يذهب بكنجهام إلى أنه شاهد على عتبات حوانيت بغداد «خاصية لم ير مثلها في أي مكان آخر»، فيذكر أنه لاحظ في سوق بغداد «وجود شريط من كتابات عربية قديمة تعلو عتبة كل حانوت، وقد حفرت بحروف كبيرة، واعتني بها مثل أي من الكتابات الموجودة في المسجد. ولقد نقشت هذه الكتابات بنسق وانتظام إلى درجة تحمل المرء على الاعتقاد بأنها كانت معاصرة للسوق نفسه، وهو قديم جداً، ولكن هل هذه الكتابات تحمل أسماء الذين اشتغلوا بتلك الحوانيت عند افتتاحها، وهل تضم بعض العبارات المقدسة أو تشير إلى تأريخ تأسيسها؟ إن نظراتنا الخاطفة إليها لم تدعنا نتأكد من ذلك».

يلاحظ بكنجهام كتابات الخط العربي على جوامع بغداد، فيذكر أن مئذنة جامع سوق الغزل تختلف عن مآذن سوريا ومصر، «والسطح الخارجي لهذه المئذنة يحمل دلائل التصدع، لكن الجزء الباقي منه يشير إلى أن بعض أجزائه الأخرى، كانت مزينة بالنقوش العربية المدهشة، وأن إحدى الكتابات التي نقلها نيبور بمساعدة أحد الملالي العرب تبين أن المسجد قد شيد من قبل الخليفة المستنصر سنة 633 للهجرة الموافق لسنة 1235 الميلادية». أما جامع مرجان، الذي لا يبعد كثيراً عن جامع سوق الغزل، نراه يصفه بأنه «مسجد...، فيه آثار مساوية في القدم لآثار جامع الغزل، وواجهته غنية بالنقوش العربية...، وباب مدخله جميل



جداً مؤلف من قوس عالٍ ينتهي كل جانب منه بسلسلة من أشرطة فخمة منحوتة نحتاً رائعاً...، وفي أعقاب آخر هذه الأشرطة قائمة كبيرة ذات قطر كاف يمكن اعتبارها عموداً...، وهذه القائمة مخططة بصفة لولبية على امتداد ارتفاعها، وتبدو على الأجزاء البارزة من هذه التخطيطات كتابات ونقوش دقيقة، بذل جهد كبير فيها، كتبت بنسق العصر الذي وجدت فيه. وهناك فيض من الكتابات التي يستطيع أي أمرئ نقلها إذا تهيأ له الوقت اللازم لهذا العمل الذي يتطلب عدة أسابيع على الأقل». و«جامع الرصافة الذي شيده الخليفة أبو جعفر المنصور سنة 143هـ/ 760م، ويعتبر أقدم جامع في جانب الرصافة من بغداد...، وكان يُعرف باسم جامع القصر، ثم أطلق عليه اسم جامع الخليفة فجامع الخلفاء، أما مئذنته الشهيرة التي لا تزال قائمة فقد شيدت سنة 678هـ/ 1279م».

يواصل بكنجهام حديثه في موضع آخر عن كتابات عربية بالخط العربي بحروف مستقيمة، وحروف فارسية متعرجة، بجامع الخاصكي ببغداد، فيقول إن «البناء الظاهر داخل المسجد يبدو أنه من تاريخ متأخر كثيراً عن أصل البناء، فهو لم يكن بسيطاً فحسب بل ضعيفاً، ولو أنه يضمّ بعض الكتابات العربية بحروف حسنة بارزة أحدها بالخط الفارسي المتقطع المائل». أما جامع الميدان ببغداد «الذي أضيفت إليه في الآونة الأخيرة زخارف كثيرة، والذي يحتفظ بقبة ومنارة جميلتين زخرفتا بالقاشي الملون والكتابات.

يلتفت بكنجهام كذلك إلى الخط العربي المكتوب على قباب بغداد، فيشير إلى أن «قباب بغداد ذات مسحة فارسية، والفرق بينها وبين قباب تركيا وسوريا من حيث الهيئة والطراز كان أولى الصفات المميزة التي استرعت انتباهي عند دخولي المدينة. وهنالك قبتان أو ثلاث مسطحة وغير مزخرفة لا أهمية لها، ولكن القباب الرئيسة جميعها عالية وضيقة وارتفاعها يزيد على طول قطرها بنحو النصف، وهي غنية بالزخرفة بالكاشي المزجج والرسوم، أما الألوان السائدة فهي الأبيض والأخضر، وبعض الكتابات التي تطوق قاعدة القبة هي الأخرى مزخرفة على هذا النمط».

ينتبه بكنجهام إلى الخط العربي المكتوب على ما يشيع أنه مرقد السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد. «هذا القبر الذي يقع وسط مقبرة واسعة من قاعدة مثمنة الزوايا ذات طنف تقوم في المقدمة...، ويكون الدخول من السقيفة الخارجية إلى الضريح ذاته، أو إلى القاعدة المثمنة الزوايا عبر ممشى يغطيه سقف معقود، وترى فوقه كتابات حديثة مؤرخة في سنة 1131 للهجرة. ولقد استنسخ نيبور تلك الكتابات، وذكر عنها أن في تلك السنة ذاتها دفن حسن باشا، إلى جانب زبيدة الشهيرة، زوجته المتوفاة عائشة وهي ابنة رجل يدعى مصطفى باشا، وأنه قام في هذه المناسبة بإصلاح البناء كما شيد إلى جانبه بعض المرافق للدراويش أو الجوالين الفقراء والمتمسكين بإيمانهم تمسكاً صحيحاً...، وتقوم قبالة باب المدخل كتابة عربية خطت في شكل نقوش على القاشي، وهذه الكتابة

يميز أغلب الرحالة الخط الكوفي لأنه نوع من الخط يابس مستقيم الحروف حاد الزوايا أقرب إلى الشكل الهندسي وهو من أجود الخطوط شكلاً ومنظراً

ليست كاملة بسبب اختفاء عدد من قطع القاشي التي دونت عليه».

يهـدي أحد دراويش بغداد إلى بكنجهام نسخة من القرآن الكريم، والتي سرقها منه بعض المسافرين معه في القافلة التـي كان يسافر برفقتها في البادية، فيذكر أن «هذا القرآن فـي أصغر حجم يمكن أن يكون فيـه، ومع ذلك كانت قراءته ممكنة لأنه كتب بخط جيد».

الخط الكوفي

يميز بكنجهام الخط الكوفي في عقرقوف، ففي جانبها الغربي من دجلة، يزور أحد المستشفيات الرئيسة للدراويش. ويصفها بأنها بناية «جيدة شيدت من الآجر، وهي كأي من صروح بغداد، تم تشييدها من ذات المواد التي تبنى منها البنايات الفخمة فـي أوروبـا فـي الـوقـت الـحـاضـر، فـالـنـطـاق الـكـبـيـر فـي الـجـبـهـة ذو شـكـل غـوطـي، وهو جد مرتفع.



والأشرطة الواسعة على كل جانب منه، تضم كتابات كوفية طويلة جميلة خطت بشكل بارز في صيغة زخرف». ويرجع سبب تسمية هذا الخط إلـى مدينة الكوفة التاريخية، نقلاً عن كتاب الدكتور فنسنت «Dissertations on the Commerce of Arabia»، والـذي يشير إلـى أن الفتح الإسلامي لبلاد فارس، قد عمل على فتح طريق عبر شبه الجزيرة العربية من مكة إلى الكوفة، المدينة التاريخية التي ينسب إليها الخط الكوفي».

يتعرف بكنجهام على الخط الكوفي على مباني المدرسة المستنصريـة فـي بغـداد، فيذكـر أنـه شاهد «جبهـة البناية المجمعيـة الشهيـرة المعروفة باسم مدرسـة المستنصرية التـي ذكرهـا المؤرخـون العـرب بأنها طـراز إحـدى الكليات ومـأوى المتعلميـن. أمـا الآن فإنهـا فـي حالة تهـدم ولو أن جـزءاً منها ما يزال مستخدمـاً بمثابة خان أو كروان صاري. ويشاهـد علـى واجهـة هذا الجزء المتجه نحـو النهر عمود سميـك يمتد بطـول البناية كلها، وقد يبلـغ طوله نحواً من مئتي قدم، ويضم كتابه مستطيلة بالخط الكوفي نقشت في الإفريـز العلـوي فوق قاعـدة مزخرفة، وكلهـا مصنوعة من الآجر، وقد تهدمت بعض أجزاء الجدار الممتدة حوله هذه الكتابـة. وأجري تصليحه دون تجديد الحروف المطموسة، حيـث تقطـع تلـك البقـع مـن البنـاء المتهـدم سطـور هذه الكتابة في عدة أماكن. وما يزال هذا الشارع يعتبر من أوسع الشـوارع العامـة في بغداد. فهو قريب مـن الجسر لأنه يقع على جهته اليمنى حينما يتم عبوره من ناحية الغرب، وعلى ضفـة النهـر مباشرة. وقد استطاع نيبور أثناء إقامته هنا أن يستنسخ هذه الكتابة بواسطة أحد الملالي، حيث ظهر منها أن ذلـك البنـاء قد تم تشييده من قبـل الخليفة المستنصر سنة 630 هجرية، أو سنة 1231 مسيحية».

يشيـر بكنجهـام كذلك إلـى كتابـات بالخـط الكوفي على خاتم يرجع لأحد الخلفاء ضمن مقتنيات المقيم البريطاني فـي بغـداد مستر كلوديـوس جيمس ريج فيقـول: «ومن بين الآثار الغريبة خاتم يزعم أنه لأحد الخلفاء، نقش في بغداد القديمـة، ويحتـوي علـى الكلمـات «يـا الله» بحـروف كوفية كبيرة غائرة على مادة تشبه الأختام القديمة. وهنالك خاتم بلوري عليه كتابات عبرية يسهل فك رموزها ولكنها غامضة في كليتها».

ماقل ودل



سعد البواردي

كلمات

أعترف بأنني لا أقيم وزناً.. ولا أكترث كثيراً بلبس بشتي.. أي عباءتي.. تارة تأخذ مسارها نحو اليمين.. ومرة أخرى نحو اليسار.. بشكل غير متوازن ولا منضبط.. صديق في مكانة ابني التقيته ثلاث مرات في مناسبة فرح وترح ما إن يلحظ الميل حتى يعيد إليه توازنه مشكوراً.

شعرت بشيء من الحرج، إن لم أقل الضيق.. همست في أذنه قائلاً:

- دع عباءتي تميل كما شاءت.. ليست وحدها المائلة.. كل ما في عالمنا مائل يا بني..

•••

أعشق «الرياض» وأحب «الجزيرة»، وأعشق وأحب «الوطن».

•••

البيئة وحدها هي التي تخلق التطرف، لا التطرف الذي يخلق البيئة.

•••

التباطؤ في موقف ما يستدعي السرعة، يرقى إلى درجة التواطؤ.

•••

الدب الروسي استيقظ من مرقده.. كشّر عن أنيابه الحادة.. اختصر مسافة ومساحة الجغرافيا بقذائفه وصواريخه العابرة للقارات لحصد المزيد من أرواح الأبرياء.. حماية لأسد مجهد كاد يلفظ أنفاسه لولا التدخل..

•••

البغبغاويون الذين يرددون في بلاهة وبلادة ما يسمعون، دون وعي.. أخاطبهم:

- لا تقولوا تنظيم الدولة الإسلامية كما أسمت نفسها فيلحق بكم الإثم.. قولوا عنها الدولة الظلامية وكفى.!

•••

بناء البشر أجدى وأجدر ألف مرة ومرة من بناء الحجر.. لا بناء دون انتماء.

•••

القصور لا يبني الجحور، ولا الدور، ولا القصور.. على قدر ما تعطي من جهد، وجهاد، واجتهاد تأخذ بالمقابل.



النادل

السعيد الدريوش: المغرب

استيقظ كعادته قبل آذان الفجر بعشر دقائق، توجه إلى المرحاض المشترك داخل الدار الآيلة للسقوط بالمدينة القديمة، والتي تضم خمس أسر تتصارع من أجل البقاء والعيش، رش وجهه بالماء البارد المنسكب من صنبور صدئ تحول لونه من الأصفر المذهب إلى البني الشاحب بسبب برودة الدار الشديدة، الإمبراطورية التي تغيب عنها الشمس، تمضمض ثلاثاً، محدثاً صريراً عجيباً، ثم بصق الماء بشدة على حائط المرحاض، تاركاً على الجير الباهت من شدة المجاعة والقحط نتوءات كثيرة، ما كانت لتحدث لولا صلابة شفتيه الباذنجانيتين السمينتين.

لبس سرواله الأسود الوحيد، وقميصه الأبيض المائل إلى الصفرة بفعل تأثير مسحوق الغسيل الرديء، ثم انتعل حذاءه الأسود البراق وتوجه إلى المقهى غير مكترث لتلك الأعداد القليلة التي تلج مسجد الحي الصغير لأداء صلاة الفجر، كلما مر بجانب المسجد ردد دعاءه المأثور الذي لا يحفظ غيره، يقول والحرج يعلو محياه النحيف: (اللهم اهدنا يا رب)، كل صباح يتوجه العربي إلى المقهى حيث يعمل نادلاً منذ سنة خلت، يمر يومياً على أسراب كثيفة من الحمقى والمشردين النائمين على الأرصفة وأمام أبواب المساجد، يحس تجاههم بالشفقة أكثر من إحساسه بالرأفة على نفسه، يتمتم بعبارات السخط على هذا الواقع المر، يمشي نحو ساعة من الزمن، يحس بنشوة كبيرة عندما يسمع صدى كعب حذائه اللامع يتردد عبر الطرقات الخالية، تعرض العربي مراراً للتوقيف من قبل دوريات الشرطة التي تمشط المكان، لكن سرعان ما يخلى سبيله عندما يحملقون في سحنته البدوية المعروفة.

لصوص المنطقة جميعهم يعرفون العربي النادل، يحتسون عنده يومياً براد شاي منعنع بالأموال المنهوبة، كم هي لذيذة تلك القطرات المتبقية من الشاي في الكأس، خصوصاً عندما يرتشفونها أثناء تناوبهم على سيجارة سمينة مملوءة بالتبغ وقطعة حشيش من النوع الممتاز، العربي لا يدخن لكنه يستمتع باستنشاق الدخان المتطاير من خراطيم أنوفهم الواسعة، يبدو العربي بينهم كرأس كبش فوق كومة فحم ملتهب يوم عيد الأضحى.

العربي يعتبر قدومهم إلى المقهى عيداً، وأي عيد مبارك هذا خصوصاً عندما يطيرون إلى كوكب بعيد فتنهال عليه الدريهمات الحرام من كل حدب وصوب.

أخيراً، وصل العربي إلى المقهى وهو يلهث من شدة المشي، يزيل الأقفال السميكة، ويشرع في ترتيب الكراسي بدقة وإتقان، يتذكر أيام طفولته في القرية النائية حين كان ينظف القسم المتآكل وينظم الطاولات في صفوف متراصة كطابور جيش صباحي.

ومع نسائم الصباح العطرة، وبروز أشعة الشمس الدافئة، تبدأ الوفود الأولى من الزبائن الأوفياء في اقتحام المقهى، جماعة من المتقاعدين المسنين، بجلابيبهم الصوفية السميكة، صراخهم يصل إلى قمة الزقاق، يتشاجرون حول تلك الآيات التي تلاها الإمام أثناء صلاة الفجر، أهي من سورة البقرة أم من سورة الكهف، فيجيب العربي بعصبية شديدة: أنا هو البقرة، تركت قريتي الصغيرة الهادئة وجئت إلى المدينة، إلى كهف يلتهم كل من لا حيلة له ولا قوة، سأعود إلى قريتي وإلى أرضي، ثم هرول كالأحمق، بسرعة جنونية إلى أول حافلة متوجهة إلى قريته المتواضعة في الجنوب، تاركاً وراءه ذكريات وقصصاً أسطورية.

محمد القاسمي (1942-2003م)

الفن..وسيلة للسعي نحو كون أفضل





د.محمد القاضي: المغرب

محمد القاسمي واحد من الفنانين التشكيليين المغاربة، انطلق في مساره الإبداعي يرسم ويتساءل، يحيا ويتفاعل مع محيطه اللامحدود، ينتبه إلى ما حواليه. هاجسه السؤال ومعاناة الإبداع، تمتع بوعي كبير، أكد من خلاله عدم البحث عن جمالية لا شكلية فحسب، وإنما الوصول إلى لغة تشكيلية واضحة، وأسلوب تعبيري يعتمد الأشكال المعروفة والمتوارثة، وسيلةً لبلوغ تكوين تشكيلي حرفي، واختيار دعائمه وتوازنه. وكان يبحث باستمرار، لينسج بعض أحلامنا، فأذهلنا بجديده المتميز بالحركة والانفتاح على العالم.

ظل محمد القاسمي في جل مغامراته الإبداعية منشغلاً بإخراج الفن من المتاحف وقاعات العرض.. ومطالباً بوضعه على قارعة الطريق وسط الناس

القاسمي ابن مدينة مكناس التي استقبلته وليداً سنة 1942م في أسرة ميسورة الحال، ترعرع وكبر وسط فضاء الثقافة الشعبية بمسقط رأسه بمدينة مراكش. وحين استقر بالرباط خلال الستينات من القرن الماضي، عمق تجربته وطور علاقاته وصلاته بأبرز ممثلي الحركة التشكيلية المغربية، وأصبح عضواً نشيطاً في الجمعية المغربية للفنون التشكيلية، وعضواً في اتحاد كتاب المغرب. إذ حرص منذ البدايات على مزاوجة اهتمامه بالتشكيل والكتابة، مما منحه توسعاً للرؤيا وفهماً للأشياء أكثر، فكان قارئاً ومتتبعاً لكل ما يصدر بالمغرب وخارجه. ومتعة القراءة عنده كبيرة جداً، لأنها تساهم في تركيب تصوراته للعالم ولتجارب الآخرين.

عشق السفر والترحال، وأصبح رحالة بالفطرة، رسم وعرض في جهات مختلفة داخل المغرب وخارجه، فمكانته الفنية امتدت عربياً وأفريقياً لتندمج ضمن فضاء الثقافة العالمية، سواء تعلق الأمر بأعماله التشكيلية أو بمساهماته الفكرية أو بمواقفه النضالية. استطاع أن يتفاعل مع عصره وأخضع فنه لعدة تجارب مع الأطفال، والمرضى والمجانين، ورسم على الجدران والحايك. فنان مسكون بمغربيته، مغامر يحب مجابهة الخطر، قال عنه جان لويس براديل (إن لوحات القاسمي هائمة مثل كلام الحاكي، كل واحدة من لوحاته هي على صورة هذه القصص التي لا بداية لها ولا نهاية، والتي تسمع في وسط ركام العالم، غناء الذاكرة والمحاولات التي تأتي).

كيف انخرط في الفن؟

سئل مرة من طرف أحد الصحفيين عن بداية الانخراط بصفة نهائية في الفن، فرد قائلاً: (جئت لعالم الفن متأخراً في سن الخامسة والعشرين، أحسست إحساساً داخلياً مستحيل التفسير: ظاهرة ما تفرض نفسها عليك، كل ما كنت أعرف وقتها أن قدري يكمن في هذا الطريق، تطورت طبعاً تجربتي فيما بعد، ولكن لم أكن أملك وقتها تغييرات لهذه الرغبة، أو لهذا الشيء الذي بدأ يسكن ويعمر جسدي).

استأثرت به الألوان فانجذب نحوها ليصبح واحداً من حاملي مشعل الإبداع الفني في المغرب، وتمكنت أعماله من تشريف بلده في الملتقيات الدولية (أكثر من مئة معرض في أوروبا وأمريكا وأفريقيا والشرق العربي). وقد حصل على الجائزة الشرفية ببينال القاهرة الدولي الرابع سنة 1993م، والجائزة الأولى في كل من بينال «سان كونتان» الدولي بفرنسا، وبينال القاهرة الدولي السادس سنة 1994م، وتم اقتناء لوحاته من طرف عدة متاحف ومؤسسات ثقافية (متحف معهد العالم العربي بباريس، ومتحف الفن المعاصر لمدينة باريس، مدينة كرونوبل، ومجلس منطقة فال دومارن..). نصب أعمالاً فنية على



شاطئ الهرهورة، وأنجز أعمالاً فنية مشتركة مع صناع تقليديين من مهن النسيج والدباغة، بتجربة «الحايك» بمراكش سنة 1989م. وأشرف على تظاهرات فنية تربوية خاصة بالأطفال (تجربة الأوداية، تجربة ساحة بيتري بالرباط)، وانخرط في أعمال جماعية على الجدران في المستشفيات والساحات العمومية، وجمعته تجارب مشتركة مع فنانين تشكيليين وفوتوغرافيين وشعراء من داخل المغرب وخارجه، وأصدر كتباً فنية ومجموعتين شعريتين بالفرنسية وأخرى مشتركة بالعربية مع الشاعر والأديب حسن نجمي. كل هذه التجارب تنطوي تحت ما يسمى في القاموس الفني «فن- عمل» أو «فن- إنجاز»، حيث يظهر الفنان قدراته خارج التقنيات والأنماط المألوفة.

بصمات الفنان الغرباوي تبدو واضحة على تجربته الشخصية (ربما أميل إلى جانبه أكثر.. لتعامله مع المادة واختراقه الأشياء وعدم احترامه للقوانين وللثقافات في مفهومها المبتذل. ولو كان الغرباوي أمريكياً أو فرنسياً أو ألمانياً لكان أباً لجيل ليس بالنسبة إلى المغرب فحسب، بل أيضاً على المستوى الدولي، وعمله لا يزال إلى الآن يتمتع بحيوية غريبة وقوية، ولهذا أضعه ضمن الرسامين الكبار في العالم العربي الذين أحسوا بأزمة المرحلة وبالتناقضات الاجتماعية والثقافية. الغرباوي لم يكن ترقيعياً، فهو لا يعطيك جزءاً من شيء كي يقنعك بأنه يشتغل على الأصالة والمعاصرة وبأنه يبحث. كان الغرباوي كلياً وشمولياً، ويحس بالأزمة ويترجمها فنياً).

عمل على تجسيد العادات في المغرب والعالم العربي، وضمن ذلك ما يتعلق بالجسد والحضرة والتصوف، وحضر جلسات الحضرة والدراويش، وتيسر له الانتقال والاطلاع على معطيات فنية وثقافية مغايرة، فأغناه ذلك كثيراً (أنتقل كذات تتلقى وتحاول هضم الأشياء المتداخلة، ولا أنكر انتمائي لمنطقة جغرافية معينة، ولكن أجمع كل هذه العوامل في عملي، ومن ثم أنا لا أومن بفكرة «غربة الفكر» وحتى غربة الجسد، لأن العالم أصبح صغيراً والناس يكونون جسداً داخل بلدهم، ولكن قد تجد فكرهم في بلد آخر عن طريق البارابول والصور الأخرى، ولهذا أتبنى المعرفة من أين أتت).

قال القاسمي عن نفسه: جئت لعالم الفن متأخراً في سن الخامسة والعشرين.. حين أحسست إحساساً داخلياً مستحيل التفسير

التشبث بالألوان والإيقاعات

يرى الناقد حسان بورقية أن: المثير في القاسمي، التشبث بالألوان والإيقاعات، فجوهر عمله يقوم على فهم حدسي-شعري لمنزلة اللون، وعلى الرغبة في توليد بنيات حركية في طور الانفجار، داخل «نظام» هندسي ينأى عن المألوف، وقد استطاع أن يحقق هذا التوازن الصعب والدقيق بين الصرامة والمتعة، وذلك السحر المتعذر تحديده الذي يسم كل لوحة بميسمه، نجد في الواحدة اللون-الشكل، اللون-الفضاء في أخرى، وفي ثالثة اللون-











لوحات القاسمي هائمة مثل كلام الحاكي.. وكل واحدة من لوحاته هي على صورة القصص التي لا بداية لها

البنية.. وهكذا دواليك، كألوان كشافة وعناصر دعامة.

واللون عنده لا يتعلق بالمعنى التقليدي؛ بقدر ما يرتبط بالجانب التعبيري في العمل الفني، ليس لإراحة العين أو إثارة غرائز معينة؛ بقدر ما هو داخل في عمق المفهوم العام المطروح في العمل الفني ككل، ولهذا حاول إبعاد الألوان الصارخة في لوحاته لسبب معين وهو محاولته تقريب المشاهد من اللوحة للبحث في جزئياتها واكتشاف الرموز الدقيقة المكونة للوحة. والناظر في لوحاته، ابتداء من تلك التي أنجزها في منتصف العقد الثامن من القرن الماضي؛ سيلاحظ أن القاسمي -منذ وقتئذ- أصبح مهووساً بلونين: الترابي والأزرق، يهيمنان في جل أعماله، مع التأكيد على الترابي الذي يسيطر على مجموع المساحة غالباً. قد يكون هذا -عنده- تمسكاً بجذوره وسمرته وأطلسه وقاراته المغلفة بزرقة السماء. يقول مكاتباً «جيلبير لاسكو»: (إنني أفتح على السماء وأراني أخترق الأزرق منها، وأراني أنحني لأشرف على الأرض فإذا هي صلصال، كل شيء يأخذني، فأنسى نفسي ولا أتمالكها).

المكان عنده لامحدود، وتجربته الخاصة تقترح علينا خلقاً متجدداً للعالم، ينتقل من مرحلة إلى أخرى. فمن تجربة اللوحة المتعددة الفضاءات إلى تجربة المساحة الغامضة، وإلى تجربة الأحجام الكبيرة، وحضور الملامح البشرية.. وهكذا، فإن العملية الإبداعية (تبدأ عندي على كتابة تشكيلية ووحدات متوالية متقاربة ومتداخلة، مع إعطائها الحيز الفراغي الذي يوفر لها إمكانية وجود المتحرك.. لأنه في مثل هذه الحالة يكون العمل كإحساس كتلذذ كمعنى يعطي نفسه دفعة واحدة).

إن الإحساس باللذة كان دائماً موجوداً بالنسبة له، غير أنه كان يتوارى بحكم السيطرة على الفضاء بطريقة تكوينية معينة، لقد كانت حرية الحركة إلى حد ما محكومة بقوانين معينة، كما أنه لا يُحَمِّل لأعماله موضوعات مسبقة، بل إن الموضوع يكمن في الحركة نفسها، فقد تجد وجوهاً وأجساداً تنتقل داخل لوحاته وتمنح نفسها للبصر بطريقة ما. فهو يشتغل على نتوءات معينة لمحاولة تفجير الجدار نفسه، هذه المعطيات هي التي تكوّن اللوحة عنده. قال عنه الناقد موليم لعروسي محللاً بعض أعماله الفنية: (في مركز لوحة من لوحات محمد القاسمي تبزغ دائرة مضيئة تخترق الأسود، أو هكذا يبدو. كما توهمنا اللوحة أن الأبيض يختنق بسبب طغيان الأسود. من نفس الدائرة تبزغ مربعات مسكونة برموز وأشكال منطفئة... تأتي بعدها ضربة فرشاة لتلامس المربع وتترك عليه بصمات حمراء تجاورها: خبازتان اثنتان يلامس الأزرق والأبيض والأحمر والدوائر السوداء التي تصبح هكذا، وكأنها رؤوس مقطوعة، ووجوه مشوهة قد انمحت ملامحها نهائياً بسبب الحريق).

وعن التجريدي والتصويري في لوحته ثمة أجساد تخترق فضاء عمله لكنها في الواقع ليست على الطريقة الأكاديمية، ولا على الطريقة المفهومة بتبسيط الأشياء؛ ففي العمل الأكاديمي يتخذ الجسد وضعاً معيناً، لكن الجسد الذي يرسمه هو حركة داخل المادة نفسها، ويتخذ الصفة الأسطورية داخل تراكمها، لهذا يتحول إلى حالة فنية وطريقة للعمل وللتعبير أكثر مما هو حالة تصويرية. وهو يرفض أن يكون حالة تصويرية، والمغزى ناجم من الاختيار نفسه، وأعماله تتخذ صفة شاعرية أكثر مما تقترب



من صفة الرسالة. هذا العمل الذي يقدمه يندرج كعطاء بصري وداخلي في الوقت نفسه لا يهمه الوصول (إلى نهاية معينة، الشيء الذي يهمه هو حالة هذا الاختيار). من هنا تخال أن لوحاته ترسم، مذكرة إيانا بأن ثمة «ذوات» متعددة هي في الفن أهم من الأصالة بالمعنى التعبيري.

إن تجربة القاسمي مطبوعة بالتحولات، بل إنها منحوتة من صخرة التحولات، تجربة لا تستكين لنفسها ومنجزاتها، ولا تقتعد موقعاً معيناً، تجربة تسير إلى موقعها، تسير إلى معناها ودلالتها.

يضاف إلى ذلك تجربة انفرد بها وهي تجربة «المرسم المفتوح»، وتدخل في خلق نوع من الحركة، وتقريب الفن من المتلقي. وهي أول تجربة من نوعها على مستوى المغرب وربما العالم العربي، كان يهدف من ورائها إلى توفير فرصة للجمهور ليطلع من خلال ذلك على الأشياء الذاتية والخاصة جداً للمبدع، وجعله يقترب أكثر منه من خلال العلاقة التي توحي بها القاعة الخاصة للعرض، ويدخل في علاقة مباشرة مع المبدع. وقد نوه الكثير من المتتبعين والمهتمين بالحركة التشكيلية بهذه التجربة الجريئة والرائعة الفريدة كحدث صغير له أهميته داخل الحركة الفنية بالمغرب.

كما ساهم في تجربة «الجداريات» التي انطلقت في مدينة «أصيلة» (شمال المغرب) سنة 1978م، مع مجموعة من الفنانين (رحول- ميلودي- ميلود- شبعة- المليحي- الحساني- بلكاهية- زكاني- حريري- حميدي)، وكان العمل جديداً وغير مسبوق، توزعوا في المدينة القديمة، فرسموا أحد عشر جداراً بعضها وصل إلى ثلاثين متراً مربعاً، فتحوا من خلالها حواراً مباشراً مع الجمهور، وبالنسبة إليه (كان هناك حماس وتخوف في آن واحد، لكن ما لبث هذا التخوف أن انقشع كغمامة تتبخر وتكون قد حجبت شيئاً في النفس مجهولاً، ثم إذا بالعصفور يتململ ثم ينطلق مرفرفاً. أحد عشر رساماً يعانقون أحد عشر جداراً، احتفال فني كبير بدون تذاكر، عاش فيه سكان أصيلة من الناس وبالناس وإلى الناس، هذا جوهر التظاهرة).

وقد تكررت التجربة عدة مرات، سواء في أصيلة أو عدة مناطق أخرى بالمغرب وفرنسا «كرونوبل».

إن الجداريات خرقت حجب «الإبداع» وكشفت سره، الهدف منها هو تنمية التربية البصرية وإنعاش الذوق الفني والجمالي، وإشعار السكان بالمحيط، أي خلق محيط جديد.

ظل محمد القاسمي في جل مغامراته الإبداعية منشغلاً بإخراج الفن من المتاحف وقاعات العرض، ومطالباً بوضعه على قارعة الطريق، وسط الناس، ولهذا عمل مع الأطفال في المدارس والمراسم، وجعل العمال والحرفيين والشعراء والمرضى العقليين يتقاسمون معه تجربته الفنية، وكانت النتيجة أن وجدت إبداعاته طريقها بسهولة إلى البيوت والمنازل وجدران الشوارع وأروقة المستشفيات وغرف المصحات العقلية.

رحم الله الفنان محمد القاسمي الذي عاش لفنه وفياً، وخلد الفن ميتاً.

صدمة الدراما التركية

العودة على بساط الرومانسية





عذاب الركابي: مصر

يمكن أن نضيف إلى «صدمة الحداثة» و«صدمة النص» ؛ «صدمة الدراما». فما تقيمهُ الفضائيات العربية من كرنفال غير مسبوق، واحتفاء مُستفز بالدراما التركية، يشكّل صدمة كبيرة للمشاهد العربي الرابض في تربة واقعه وتاريخه وقضاياه، الذي وجدَ نفسه يبتعدُ عن قضايانا الاجتماعية والتي أصبحت بالنسبة إليه معروفة ومُملة ومكررة، وأنّ العاطفة - لغة الجَسد الشفيفة التي نحنُ آباؤها الحقيقيون قد جفّت أشجارها الوارفة الظلال، وغادرتها طيور الألفة، وخذلتها مواسم المطر، وأن الحنان الذي وضعنا حجرَ أساسه القائم على عنصري التواد والتسامح قد أصبح زخرفاً وديكوراً اجتماعياً!!









لماذا كل هذه اللهفة المعروقة على مشاهدة المسلسلات التركية، ومتابعتها باهتمام وحماس، وإنفاق الكثير من ساعات يومنا؟ أهي الرومانسية (المائعة) التي وجدنا أنفسنا أنها تنقصنا؟ وهل نحن شعوب لا يحمل تاريخها الأدبي سطراً رومانسياً؟

أين ذهبت أوركسترا قصص عشق العظام من أدبائنا وشعرائنا الذين ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس من أدنى الأرض إلى أقصاها؟ هل أظلمت الليالي العربية الغناءة التي كان يطرزها القمر العاشق بنوره الكرستالي، حين تضفي عليه أشعار عنترة وابن الملوح وجميل بثينة قديماً ونزار قباني حديثاً بهاءً يخلب القلوب والأعين معاً؟!

كتب المؤرخون والمستشرقون باختلاف أماكنهم وأزمانهم أننا أبناء اللغة التاريخيون، وما تركه الآباء والأجداد نوابغ اللغة والفصاحة منا من تراث عظيم في الأدب والشعر والفقه والبيان، كعبدالقاهر الجرجاني والقرطاجني وابن رشيق وابن حزم، يتهافت عليه أدباء ومبدعو الغرب قديماً وحديثاً، ويعترفون بتأثيره عليهم وعلى إبداعاتهم وثقافتهم الإنسانية من دانتي وأندريه جيد وحتى بورخيس، يثبت للعالم أجمع أننا مخلوقات لغوية.. بيانية، وآدابنا وعلومنا وإبداعاتنا عابرة للحدود، فكيف لهذه المخلوقات التي جملت الحياة، وأضافت إيقاعاً بهيجاً للكون، يسمو ويعلو على كل ما صاغه الغرب من سيمفونيات، أن تفتقد إلى الرومانسية أو تعيش من دون عاطفة.. وتبحث عن أبجدية لها في دهاليز أرواح الآخرين؟ أهي حياتنا الجديدة المثقلة، ومتطلبات العيش العسيرة، والسباق مع الزمن هو الذي جعلنا نترك عصافير عواطفنا في البرد، ونتخلى عن رعشة الجسد ونبض القلب ونبحث عمن يتصدق علينا بطبق ساخن من الرومانسية؟ بل ويذكرنا أن لنا قلوباً تهوى وتعشق، وقد سطرت بفسفور جسدها أعذب الكلمات.. وأجمل القصائد.. وأكثر قصص العشق والحب والحنين جذباً.. وتشويقاً.. ومتعةً!!

يتساءل الكاتب والروائي سعيد الكفراوي باحتراق: (هل يحاول آل عثمان انتشالنا من بؤس ما نعيشه بفن لا يمتلك حقيقته، ولا يقدم حياة تشبه الدنيا التي نحيا فيها؟).. أم هي (تجارة تنشط السياحة، وتجذب القادرين على جناح السرعة لزيارة بلاد الأناضول)؟

في بعض المدن العربية الظامئة جداً للرومانسية، تخلو الشوارع تماماً من المارة، وتتوقف الحركة فيها تماماً، وقت بدء المسلسل التركي، رأينا وعشنا هذا واقعاً جارحاً لا خيالاً، وليس فيه أي مبالغة، كأنك في حظر تجول ولكنه إرادي، وعائلاتنا الكريمة هي الأخرى تعلن عن حالة طوارئ في البيت، تتوقف كل طقوس البيت اليومية المعتادة، لتبدأ بعد نهاية المسلسل التركي، البنت والولد يعودان إلى مذاكرة دروسهما، والأم تعود إلى المطبخ لتجهز وجبة العشاء، والأب يعود إلى الجريدة اليومية أو يغير القناة ليتابع بملل آخر أخبار الانتخابات أو تطورات ثورات الربيع العربي وكوارثها، أما إذا كان من مدمني مشاهدة المباريات الرياضية التي أربك المسلسل التركي عليه متابعتها، فإنه يعوض ذلك بمباراة معادة بين ريال مدريد وبرشلونة خصمي الدوري الإسباني اللدودين!!

ما تطرحه بعض المسلسلات التركية قد يمس بعض جوانب حياتنا.. ولكننا ضد تدخل هذه المسلسلات في ثقافتنا





لسنا ضد ما يقدمه الآخر من فن أو ثقافة، فالمعاناة الإنسانية واحدة، والثقافة والحضارة حوار وسؤال دائم في اللازمان!! وما يؤرقنا ويطيل ليلنا، هو بالتأكيد يؤرق الآخر أيضاً، ويسرق منه ضوء قمره، وبريق نجومه، الثقافة الإنسانية تواصل، والفن عاطفة ومتعة، والحقيقة تكمن أبداً في الفن!!

لسنا ضد عرض «الأوراق المتساقطة» و«فاطمة» و«العشق الممنوع» و«لوعة قلب»، ولا حتى «حريم السلطان»، ولسنا أعداء ولا حاقدين على «مهند»، الذي تجد فيه نساؤنا فارس الأحلام الأمثل، ولا على «نور» التي يجد فيها رجالنا وسادة عطر ومتعة دائمة، ولا على «السلطان» الذي تتسابق قلوب حريمه ملهوفة عليه، وتحاك في قصره المخملي المؤامرات والدسائس وحتى القتل، على إيقاع الغريزة، للفوز بليلة من عطر جسده، وهو المتوج من خلال عرس فضائياتنا في عصر ثورات الربيع العربي! فأي خريف تعيشه هذه الفضائيات، وتقذف بأوراق أشجاره وسط بيوتنا، وتجرح عواصف حلمنا بصباحات الوطن الظامئة للحرية والأمان والأمل بلا حدود؟!

والسؤال الآخر المر: (هل يعكس المسلسل التركي الواقع التركي بالفعل؟)

نحن شرقيون أيضاً، وما تطرحه بعض هذه المسلسلات قد يمس بعض جوانب حياتنا، ولكننا ضد أن تصبح هذه المسلسلات أيقونة يومنا.. ووقتنا.. ضد هذا الاهتمام والتضخيم لحكايات هذه المسلسلات.. وأفعال وسلوكيات أبطالها.. ضد هذا الحماس اللاإرادي للمتابعة بالعين والقلب معاً!

ضد أن تصبح هذه الدراما هي البديل لما ينضج تحت أصابع مبدعينا من أعمال درامية في منتهى الجمال، لدينا الدراما المصرية والسورية والخليجية والمسلسلات العربية الرائعة التي نجد فيها أنفسنا ولغتنا وهمومنا وأحلامنا ورومانسيتنا أيضاً!! ضد أن نصبح المستورد الأول للدراما التركية! بل وكأنها بحلقاتها الفضفاضة وسيناريوهاتها قد أنجزت خصيصاً لمدننا!! وضد أننا نفقد إيقاعنا الحضاري حين يتجاهلنا الآخرون، حيث يتبختر السائحون، ويضرب هذا القطاع الذي يشكل مصدراً مهماً لاقتصاد دولنا، لسنا ضد أن يتوجه ثلاثون مليون سائح إلى تركيا سنوياً، ويدخل خزينة الدولة التركية أكثر من ثلاثين مليار دولار، وينتعش اقتصادها، وتتفوق جغرافية المكان الذي أنعشته نسمات حضارتنا الأصيلة!! وها هي تركيا.

لسنا ضد التواصل من خلال كتاب العواطف والهموم ولغة القلب، ولكننا ضد أن تهمل قلائد عواطفنا وكتب همومنا وقضايانا، فلماذا لا تتم ترجمة مسلسلاتنا الاجتماعية إلى اللغة التركية ولغات أخرى، ولدينا من المنتجين والمؤسسات الفنية والإعلامية من لهم الخبرة الطويلة، وبإمكانهم مد جسور مع الآخر سواء مع تركية أو غيرها من دول العالم القريبة من أحلامنا وأنين جراحنا، وبهذا لا ننظر إلى أنفسنا مجرد مستهلكين وفاقدين حتى لفيتامين الرومانسية، وشراب زنجبيل العاطفة المركز، وهادرين بامتياز لجواهر زمننا الجميل!!

في بعض المدن العربية الظامئة للرومانسية تخلو الشوارع من المارة وتتوقف الحركة فيها وقت بدء المسلسل التركي









فاسيلي شوكشين
حكاية سنوات عشر من الإبداع

عبادة تقلا : روسيا

تشدك قصص وأفلام الكاتب والسينمائي الروسي فاسيلي شوكشين، وتدفعك باتجاه البحث في تفاصيل حياة صاحبها، لتجد نفسك أمام تجربة فنان حفر دربه بأظافر التعب والاجتهاد، وأنجز في سنوات عمره القصيرة، ما جعله راسخاً في ذاكرة الكثيرين، علامة مميزة في تاريخ الأدب والسينما في العهد السوفييتي.

ولد شوكشين في إقليم آلتاي في سيبيريا، في الخامس والعشرين من تموز عام 1929، وبسبب مشقة الحياة وضيق ذات اليد، اضطر للعمل في سن مبكرة، متنقلاً بين مهن مختلفة، وأماكن متعددة، فكان حداداً ونجاراً وبحاراً، وعامل بناء ولاسلكي، ومن ثم مدرساً لمادتي اللغة الروسية والأدب، ومدير مدرسة في الوقت نفسه، وهي المهنة التي كان يزاولها عندما قرر دخول معهد السينما «الفغيك» في موسكو.

في معهد السينما

عندما اتخذ شوكشين قرار دراسة السينما، لم تعارض والدته رغبته، بل فعلت كل ما في وسعها لمساعدته، فباعت البقرة التي تملكها، وأعطت النقود لابنها.

وهكذا، في صيف عام 1954 ذهب شوكشين إلى موسكو لدراسة السينما.

يحكي يوري نيكولين أن شوكشين روى لهم ما حصل معه عندما ذهب إلى موسكو من أجل فحص القبول، ولم يجد مكاناً شاغراً لقضاء ليلته في سكن الطلاب، فقرر أن يمضي ليلته في منتزه غير بعيد عن الكورنيش النهري.

بمجرد أن أغمض عينيه أيقظه رجل طويل، نحيف، بيده عصا. خاف شوكشين ظناً منه أنه الحارس.

لماذا تنام هنا؟ سأله الرجل.

لا مكان عندي لقضاء الليل. أجاب شوكشين.

تعال معي. ستقضي الليلة عندي. قال الغريب.

أخذه إلى البيت، سقاه الشاي، وبقي طوال الليل يبادله الحديث.

عندما بدأ شوكشين الدراسة، نادى شخص ما، المخرج إيفان بيرييف، فنظر شوكشين إلى بيرييف، وعرف أنه الشخص الذي قضى ليلته عنده.

بعد ذلك بسنوات، سأله شوكشين: هل تذكر عندما قضيت ليلتي عندكم؟ فرد المخرج: لا أذكر، فكثيرون قضوا ليلتهم في بيتي.

بالعودة إلى فحص القبول، فإن شوكشين ابن الخامسة والعشرين تقدم إلى مسابقة قسم السيناريو في المعهد السينمائي، حاملاً دفتراً سميكاً يضم ما كتبه من قصص. لكن الخط الناعم الذي كتب شوشكين به القصص حال دون قراءتها من قبل السيدات في لجنة القبول، وكي يجنبوه الشعور بأي إهانة، قرروا أن يقدموا له النصيحة التالية: (إن لديك مظهراً أنيقاً، اذهب إلى لجنة قبول الممثلين).

يميز قصص شوكشين الرائحة الخاصة التي تنبعث منها وهي ببساطة رائحة أناس تعرفهم وتردد معهم تلك الأسئلة عن أمور يومية وعن الإحساس بالوحدة

يقول زميله في الصف المخرج السينمائي آليكساندر ميتا: (علم شوكشين من الطلاب، أن هناك صفاً للإخراج أيضاً، ولم يكن عنده أدنى فكرة عن مهنة الإخراج. اعتقد أنه من أجل تصوير الفيلم يجتمع الفنانون، ويتفقون فيما بينهم كيف سيتم التصوير، ولكن اتضح له أن المخرج هو رب العمل، سيد الصورة، والشخص الأكثر أهمية، فقرر عندئذ التقدم بطلب لدراسة الإخراج).

كان المعلمون في «الفغيك» قلقين بشأن قبوله، فقد كان شخصاً محباً للحقيقة، لا يدرك ما الذي يمكن قوله، وما يجب الامتناع عن قوله. لكن المخرج الشهير ميخائيل روم آمن به.

وجه له روم في امتحان القبول سؤالاً يتعلق بشخصية بيير في رواية «الحرب والسلم» لتولستوي: (حسناً، قل لنا ماذا كان شعور بيير بيزوخوف في معركة بورودينو؟)

أجاب شوكشين: (لم أقرأ الكتاب، إنه سميك جداً، لا تستطيع يداي حمله).

قطب روم جبينه: (هل تعني أن الكتب السميكة لا تقرأ أبداً؟)

(لقد قرأت أحدها، مارتن إيدن، وأعجبني). رد شوكشين.

(أي مدير مدرسة أنت؟ أنت رجل غير مثقف. لا يمكن أن تكون مخرجاً أبداً).

عندما سمع شوكشين تلك الكلمات، صرخ في وجهه: (هل تعرف حضرتك ماذا يكون مدير المدرسة؟ إنه الشخص المنوط به جمع أخشاب التدفئة من أجل ألا يشعر الأطفال بالبرد، تأمين الكتب، إصلاح المقاعد، إحضار الغاز وتوزيع المعلمين. أما السيارة - مع ذيل بأربعة حوافر - فلا تلح في طلبها من التعاونية. خطوة هنا، وركض هناك، طين.. أين الوقت لقراءة الكتب؟) توقع الأساتذة أن يغلظ له روم في القول، ويطرده، ولكن السينمائي الكبير قال: (فقط شخص موهوب يمكن أن يعطي هذا الرأي غير التقليدي، أعطيك العلامة الكاملة، خمسة).

أصبح شوكشين طالباً في معهد السينما، وتخرج في عام 1960، وقد شهد له ميخائيل روم أنه كان طوال سنوات الدراسة مميزاً وصادقاً، وجديداً في أفكاره وأسلوب تناوله.

بين السينما والأدب

خاض شوكشين تجربة التمثيل وهو طالب في المعهد، أما إخراجياً فقد أنجز عدة أفلام منها فيلم «عاش هذا الفتى» عام 1964، ونال عنه جائزة الأسد الذهبي في مهرجان البندقية السينمائي الدولي.

أما أشهر أفلامه فهو كالينا كراسنايا «العناقيد الحمراء»، الذي أنتجته موسفيلم، وأطلقته في الخامس والعشرين من آذار عام 1974. وقد تصدى شوكشين لكتابة السيناريو وبطولة





الفيلم وإخراجه في الوقت نفسه.

تراقب شوكشين في فيلمه هذا فتشعر بتعب السنين وقد حفر عميقاً في وجهه، وهو لم يزل بعد في الخامسة والأربعين من عمره. ابتسامة طيبة وأداء عفوي لابن الأرض وفتى الريف الذي يعكس في صوته وأدائه وتقاطيع وجهه طيبة الأرض، ورائحة صباح قرية. وفي لحظة غنائه في الفيلم، وتأكيده أننا يجب أن نعيش، لا تملك إلا أن تصدقه، وتشاركه الغناء.

نشير هنا إلى أن الفيلم حصل على جائزة لينين عام 1976، أي بعد عامين من رحيل صانعه.

أما أدبياً، فقد كانت كتب شوكشين الأكثر رواجاً في المرحلة السوفييتية، ومع أن الكثير من أعماله الأدبية ترجمت إلى اللغة العربية، فإن شوكشين لم يحظ بالشهرة التي يستحقها في عالمنا العربي.

من أعماله الشهيرة بالإضافة إلى قصة فيلمه «العناقيد الحمراء»، هناك مجموعة قصصية بعنوان «الريفيون» صدرت عام 1963، ورواية «الأعزاء» عام 1965.

ما يميز قصص شوكشين قبل كل شيء تلك الرائحة الخاصة التي تنبعث منها، وتملأ خياشيمك، هي ببساطة رائحة أناس تعرفهم، وترتاح بصحبتهم، وتردد معهم تلك الأسئلة عن أمور يومية، وعن الإحساس بالوحدة والرغبة في التواصل مع الآخرين.

فشوكشين بأسلوبه الساخر، وفكاهته المغلفة بحزن تراجيدي خفيف، يكتب عن عوالم يعرفها جيداً، وعن أناس عاش طفولته وشبابه الأول بينهم.

البعض يشبه شوكشين بتشيخوف في قدرته على الإيجاز، وميخائيل زوشينكوف بسخريته اللاذعة، وسيرغي يسينين في رومانسية وصف الطبيعة، هذا الوصف الذي يجعلك تحس أنك ترى ما يتحدث عنه.

نهاية الرحلة القصيرة

في أثناء تصوير فيلم «حاربوا من أجل وطنهم»، مع المخرج سيرغي بوندارتشوك، وتحديداً في الثاني من تشرين



الأول عام 1974، توقف القلب القروي الطيب عن النبض، ورحل شوكشين وهو في الخامسة والأربعين من عمره.

رحل دون أن يتمكن من تحقيق حلمه بأداء شخصية دوستويفسكي، وشخصية زعيم الفلاحين الروس في القرن السابع عشر، ستيبان رازين، الذي كتب شوكشين «سيناريو» ثم رواية تاريخية عنه.

كأنما شعر بأن ساعة رحيله قريبة، فعمل بجد خلال عشر سنوات وترك لنا إرثاً أدبياً وسينمائياً يستحق أن نوليه اهتمامنا، ونخصص له شيئاً من وقتنا.



هيراكليوم.. المدينة الأسطورية الغارقة في مياه الإسكندرية









أسعد النوبي: مصر

بعد سنوات من المسح الأثري باستخدام الأجهزة الإلكترونية الحديثة، والمسح المغناطيسي في خليج أبي قير؛ اكتشفت البعثة المصرية- الفرنسية المشتركة آثاراً مهمة في موقعين متميزين: أولهما على بعد كيلومترين في البحر والذي يمثل مدينة «مينوتس» الضاحية الشرقية لمدينة «كانوب»، والآخر على بعد 6.5 كيلومتر من الساحل، وهو الذي يمثل مدينة «هيراكليوم». إذ تم العثور على آلاف القطع الأثرية، منها عملات برونزية، أغلبها للعصر البطلمي، وعملتان ذهبيتان، وثلاثة تماثيل عملاقة، ولوحتان تحملان نقوشاً هيروغليفية، وبعض قطع الحلي الذهبية، والعديد من أدوات الحياة اليومية وأوان فخارية، وكذلك بعض التمائم. وقد وصف العلماء هذا الكشف بأنه -اقتصادياً وسياحياً- يأتي في المرتبة الثالثة بعد مقبرة توت عنخ آمون ومراكب الشمس.





يجمع المصريون والفرنسيون على أن أهم ما جرى اكتشافه في هيراكليوم هو اللوحة الجرانيتية السوداء التي يبلغ ارتفاعها 195 سم والمعروفة بلوحة نقراتيس

أما المكتشفات -من لوحات وتماثيل وعملات- فقد رقدت في أحواض بالمسرح الروماني بالإسكندرية لتعالج وترمم لتتخلص من الأملاح التي تشبعت بها على مدار 2300 سنة تقريباً، تمهيداً لسفرها إلى الخارج في معارض دولية للآثار حول العالم.

فعندما أنشأ الإسكندر مدينة لتصبح عاصمة لملوك البطالمة من بعده؛ مثلت مدينة أبي قير الركن الشرقي للمدينة، وتكونت من ثلاث ضواح: كانوب، وهيراكليوم، ومينوتس. كانوب إلى الداخل، أما هيراكليوم فتتقدمها على الساحل، وتمثل الميناء الوحيد لها، وعلى يسارها مينوتس. وعند هيراكليوم كان فرع من فروع نهر النيل المندثرة (الفرع الكانوبي) يصب في البحر، والحركة التجارية– بموازاته – تصب بقوة في هيراكليوم. وكان بها معبد هرقل الإله الإغريقي، وإليه تنتسب. هذه هي المدينة التي جرى الكشف الأخير في مياهها، فبعد كل هذه العصور المتعاقبة على أبي قير، تآكل الشاطئ لمسافة 6.5 كيلومتر، في حربه مع الماء المالح. والنتيجة أن غرقت ضاحية وميناء هيراكليوم بالكامل، ومينوتس كذلك، ولم يبق على البر غير بقايا من كانوب القديمة. وهي التي تعرف الآن بأبي قير. وتم الكشف -حتى الآن- عن مساحة لا تقل عن 1000في 800 متر مربع، وأظهر الفحص الدقيق بقايا أبنية شاسعة، وأحواض موانئ، وبقايا عشر سفن قديمة غارقة لم تستخرج إلى الآن. ويرجح أن تكون المدينة قد غرقت تحت تأثير زلازل عنيفة جداً، وهو أمر مازال قيد الدراسة.

لوحة نقراتيس

يجمع الجانبان المصري والفرنسي أن أهم ما جرى اكتشافه في هيراكليوم هو هذه اللوحة الجرانيتية السوداء التي يبلغ ارتفاعها 195 سم، والمعروفة بلوحة نقراتيس. وقد علق جان يويوت عالم المصريات الفرنسي على تلك اللوحة قائلاً: إنها نسخة كاملة من لوحة «نقرايتس» الشهيرة التي عثر عليها عام 1899 والمحفوظة حالياً بالمتحف المصري، وهذه اللوحة تشير إلى قرار الفرعون نقتانيو الأول (378 – 362 ق. م) بأن تؤول نسبة 10 % من الضرائب المفروضة على أنشطة وتجارة الإغريق المارة بالميناء لخزانة معبد الإله نيت، وأن توضع تلك اللوحة في مدخل الميناء. وكانت هيراكليوم -تبعاً لما كتبه «هيرودوت»- الميناء الإجباري لدخول مصر لكل السفن الأجنبية الآتية من بحر الإغريق، وهو البحر الأبيض المتوسط. وتكشف هذه اللوحة البديعة عن أدق نظام جمركي في ذلك العصر. وهناك ميزة فنية في اللوحة، فبالرغم من ضيق المساحة المخصصة للكتابة على اللوحة؛ إلا أن كاتبها استطاع تدوين جميع الكلمات بالخط الهيروغليفي بشكل دقيق جداً يندر تكراره في لوحات أثرية أخرى أكبر مساحة. إلى جانب جمال أسلوبها الأدبي الذي دونت به، مما يعني محافظة المصريين على لغتهم في أحلك ظروفهم التاريخية.

2300 سنة تحت الماء

كشف فريق العمل المصري-الفرنسي كذلك عن ثلاثة تماثيل في حالة جيدة، تنافس تماثيل الفاتيكان في احتفاظها برونقها مع مرورها بظروف كفيلة بتدمير أي تمثال مهما كانت قوته، فقد نامت 2300 سنة في ماء شديد الملوحة، وخرجت منه سليمة معافاة! وأبرز هذه التماثيل تمثال للآلهة «إيزيس» يصورها في هيئة الأنثى، والتمثال مصنوع أساساً من الجرانيت، وطوله نحو مترين. وقد خرج من هذا الكشف ثلاثة تماثيل ضخمة لملوك مختلفين،




وكانت التماثيل الثلاثة مغطاة تماماً تحت قاع البحر بالقرب من بقايا حوائط من المدينة الغارقة. وهناك دلائل عدة تشير إلى وجود معبد «هيراكليوم» الشهير عند هذه التماثيل التي يصل ارتفاع الواحد منها إلى ما يزيد على خمسة أمتار، ويتجاوز وزنه عدة أطنان، واحد منها يمثل ملكاً، والثاني ملكة، أما الثالث فهو يمثل المعبود «حابي» رب النيل والفيضان. وإلى جوارها عثر على ناووس (تابوت) ضخم منحوت من قطعة واحدة من الجرانيت الوردي.. وينتمي إلى العصر البطلمي.

والأهم من ذلك أن نقوش الناووس تذكر الإله «آمون»، وهو المعبود الأعلى لمصر الفرعونية. كما عثر على مجموعة من تماثيل أبي الهول التي يبدو أنها منتشرة تحت مياه الإسكندرية، وكأنها تحرس المدن الأسطورية الغارقة.

وبالإضافة إلى تماثيل الملوك الضخمة؛ تم الكشف عن عملة ذهبية نادرة للملك بطليموس الأول مؤسس الدولة البطلمية بمصر، لا يوجد منها في العالم كله إلا قطعتان، وهي تصور وجهه بوضوح -على أحد وجهيها- أما في الوجه الثاني فتصور عربة تجرها أربعة أفيال ويقودها الإسكندر الأكبر.

وهناك عملات برونزية تم اكتشافها، تنتمي لعصر بطليموس الثاني وعصر بطليموس الرابع، وعملة تنتمي لعصر كليوباترا، بالإضافة إلى مجموعة ضخمة من أدوات المائدة من أوانٍ برونزية ذات أحجام مختلفة متقنة الصنع، عليها أختام وشعارات، وملاعق تستخدم في تقديم الطعام عددها سبع ملاعق، وكلها تدل على أناقة وفخامة سكان المدينة، ومجموعة أجران حجرية تستخدم في طحن الحبوب ذات أحجام مختلفة. وعثر أيضاً على أوانٍ فخارية ملونة ومتقنة الصنع تشبه الأواني اليونانية، وعليها رسومات بطلمية بديعة النقوش، كما تم العثور على مسند رأس خشبي نادر يحاكي مساند الرأس التي عثر عليها بالمقابر الفرعونية، بالإضافة إلى مجموعة من الحلي والأقراط الذهبية والخواتم والقطع البرونزية الصغيرة والفصوص، ومرآة من البرونز أنيقة الصنع. وهكذا كشفت البعثة، تحت مياه أبي قير، عن آلهة وهي «إيزيس»، وثلاثة ملوك مجهولين، وعملات تحمل صور وأسماء خمسة ملوك وملكات من العصر البطلمي، وأدوات مائدة وأوانٍ فخارية، ومجموعة من الحلي طمرتها جميعاً الأرض الملحية في قاع البحر.

وجاءت هذه الاكتشافات، وبخاصة لوحة هيراكليوم والتماثيل الضخمة وناووس المعبد؛ لتكمل خرائط قاع خليج أبي قير، وتقودنا إلى نتيجة مهمة وهي الاسم المصري لهذه المدينة وموقعها. وكذلك يعد الكشف عن ميناء «هيراكليوم» والعثور على حطام عشرة سفن قديمة؛ أمراً يفوق التصور، وبالطبع فإنها تبشر بكشوف غاية في الأهمية مستقبلاً.

حقائق وأساطير

نجحت حفائر البعثة المصرية الفرنسية في تأكيد الحقائق التي ذكرت في النصوص القديمة ممزوجة بالأساطير، حيث تعد هذه المعتقدات وسيلة مهمة لفهم الماضي، ولعمل روابط مع الدول الأجنبية عند الإغريق.

ومنها أسطورة «هرقل» الذي قام بسد الثغرات سريعاً، وأعاد النهر إلى مجراه أمام الفيضانات العارمة. وهناك هيلين الجميلة ومحبوبها باريس.

بعد أن نامت مدينة هيراكليوم 2300 سنة في ماء شديد الملوحة.. يأتي اكتشافها في المرتبة الثالثة بعد اكتشاف مقبرة الملك توت عنخ آمون

العقل..
مصنع الإبداع والطلاقة



رضا إبراهيم محمود: مصر

على مر الأزمنة وجدت نظريات كثيرة، حول طريقة عمل عقل الإنسان، وما زال الكثير منها طور البحث والنظر، ولم يتحول إلى حقيقة علمية حتى الآن. ولكن المؤكد أن المناطق اليمنى من الدماغ هي التي تتحكم في تحريك الجزء الأيسر من الجسم، بجانب تحكمها في الوظائف المرتبطة بالحدس والانفعال والإبداع واستخدام الخيال والتأمل، كما يحتوي الجانب نفسه على القدرات التخطيطية والشعورية الحدسية والشمولية في النظرة والتعامل، وبذلك يتضح أن العقل يمثل مركز التفكير لدى الفرد، وهو مصنع يلتقط المواد الخام خلال قنوات اتصاله بالعالم الخارجي، ليقوم باختبارها وتحليلها وفرزها وتوزيعها على خلايا المخ التخزينية.



أثبتت الأبحاث الحديثة على العقل أننا لا نستخدم إلا عشرة بالمئة من قدراتنا العقلية.. والذكاء اللانهائي للذات العليا سوف يرسل إليه الحل عبر قناة الحدس

الإبداع إنتاج عقلي مفيد

يعرف الإبداع بأنه نظام إجرائي أو شرطي، وأنه إنتاج عقلي مفيد، يتسم بالأصالة ومقبول اجتماعياً، وأنه يحل مشكلة ما منطقياً، والمبدع يرى ما لا يراه الآخرون، والإبداع يعد في أساسه حالة عقلية بشرية تعمل لإيجاد أفكار أو طرق ووسائل غاية في الجدة والتفرد، بحيث تشكل إضافة حقيقية لمجموع النتاج البشري، كما تكون ذات فائدة حقيقية على أرض الواقع، في حالة ما إذا كان الموضوع يرتبط بموضوع تطبيقي، أو أن يشكل تعبيراً جديداً، وأسلوباً جديداً عن حالة ثقافية أو اجتماعية أو أدبية، إذا كان الموضوع فلسفياً نقدياً، أو أن يشكل تعبيراً ضمن تشكيل جديد وأسلوب جديد عن المشاعر الإنسانية، في حالة ما إذا كان الموضوع يتعلق بالنتاج الأدبي وأشكاله كافة.

والإبداع هو الإتيان بجديد، أو إعادة تقديم القديم بصورة جديدة أو غريبة، والتعامل مع الأشياء المألوفة بطريقة غير مألوفة، وهو القدرة على تكوين وإنشاء شيء جديد، أو دمج الآراء القديمة أو الجديدة في صورة أحدث، أو استعمال الخيال لتطوير وتكييف الآراء، حتى تشبع الحاجيات بطريقة جديدة، أو عمل شيء جديد ملموس أو غير ملموس بطريقة أو أخرى، وهو المبادرة التي يبديها الشخص بقدرته على الانشقاق من التسلسل التقليدي في التفكير إلى مخالفة كلية.

عن أنواع الطلاقة

بالحديث عن أهم القدرات المكونة للتفكير الإبداعي، فقد حددت بالطلاقة، وهي القدرة على إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار الإبداعية، وتقاس تلك القدرة بحساب عدد الأفكار التي يقدمها الفرد عن موضوع معين في وحدة زمنية ثابتة مقارنة مع أداء الأقران، وهناك طلاقة تصويرية بأن يعطى الفرد رسماً على شكل دائرة، ثم يطلب منه إجراء إضافات بسيطة، بحيث يصل إلى أشكال متعددة وحقيقية، وهناك طلاقة الرموز أو طلاقة الكلمات، وهي قدرة الفرد على توليد كلمات تنتهي، أو تبدأ بحرف معين أو مقطع معين، أو تقديم كلمات على وزن معين، باعتبار الكلمات تكوينات أبجدية.

وهناك طلاقة المعاني والأفكار، والمتمثلة في قدرة الفرد على إعطاء أكبر عدد ممكن من الأفكار المرتبطة بموقف معين ومدرك بالنسبة إليه، كأن نطلب من الفرد إعطاء إجابات صحيحة لأي سؤال أيا كان، وهناك طلاقة تعبيرية والمتمثلة في قدرة الفرد على سرعة صياغة أفكار صحيحة، أو إصدار أفكار متعددة في موقف محدد، ولكن بشرط أن تتصف تلك الأفكار بالثراء والتنوع والغزارة والندرة. وهناك طلاقة التداعي، والمتجسدة في قدرة الفرد على توليد عدد كبير من الألفاظ، على أن تتوافر فيها شروط معينة من حيث المعنى، ويحدد فيها الزمن في بعض الأحيان.





العقل الباطن والحدس

لقد أشار عالم النفس الشهير (سيجموند فرويد) إلى عدد من العمليات النفسية التي تعتبر منشأ الإبداع، ومنها تلك الصراعات في العقل الباطن والتفريغ الانفعالي والتخيل وأحلام اليقظة ولعب الأطفال، وإعاقة القمع النفسي والانسجام بين العقل الباطن والأنا (الذات)، أما التحليل النفسي الحديث فيركز على ما قبل الشعور في الإبداع، وكذلك يلعب الحدس دوراً مهماً في الإبداع، وهو حكم عقلي أو استنتاج ليس مبنياً على التفكير المنطقي، وإنما بني على اللاشعور.

وقد يتميز الإبداع في الفن باعتماده على (العقل الباطن)، أكثر من العلوم التي تعتمد على المنطق، وعند وضع قوانين حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالإبداع أراد المشرع التمييز بين أصحاب الإبداع والمؤدين له، وعلى سبيل المثال كاتب الأغنية والمغني لها، والمؤلف الموسيقي والقائم بالعزف على الآلة الموسيقية، ومن ثم اعتبر المبدعون هم أصحاب الحقوق الأصلية، كونهم أحدثوا الإبداع أساساً مثل كاتب الأغنية، واعتبروا المطرب من أصحاب الحقوق المجاورة في مسألة الإبداع من ناحية الأحقية، كما أن حقوق الملكية الفكرية لها طرق لتقييمها، وقد يكون من هذه الصعوبات كذلك التمسك بالمفهوم القديم للإبداع، الذي يرى أن قدرة إعداده تتمثل في الأعمال المبتكرة، التي يوجد خلاف في امتيازها وتفردها.

ومثل هذه الأعمال نادرة الإنتاج إلى حد كبير، وأنها حين تظهر في شكل اختراعات واكتشافات تظهر بشكل عرضي لدى عدد محدود من الأفراد، وهو أمر تعد البيئة هي المسؤولة عنه وليس الأفراد، وعلى الرغم من ذلك، فإذا تساوت الظروف البيئية أمام كل الأفراد، فستظل هناك فروق كبيرة في الأداء الإبداعي بينهم، وهذه الفروق الفردية في الأداء الإبداعي بشكل أوضح، وهذا هو جوهر النظرة الحديثة للإبداع، التي تعتبره متصلاً، أو مقياساً متدرجاً يتدرج عليه الأفراد زيادة ونقصاً فيما يمتلكون من هذه القدرة، وليس قدرة متفردة توجد كلها، أو لا توجد كليا عند كل فرد من البشر.

وقد أدت النظريات السابقة، لإعادة النظر في الفكرة السائدة عن بناء العقل. فعن منطقة القدرات المعرفية، فهي القدرات المختصة باكتشاف معلومات جديدة، أو بالتعرف على معلومات قديمة، وقد أرسى العلماء في هذا المجال دعائم عاملين، ألا وهما عاملا الإحساس بالمشكلات وإعادة التحديد، ويشير الإحساس بالمشكلات إلى قدرة الشخص على أن يرى موقفاً معيناً ينطوي على عدة مشكلات تحتاج إلى حل، وهذه هي البداية الضرورية لابتكار أي اختراع، وقد لاحظ أحد علماء النفس أنه في كثير من الأحيان ينحصر حل مشكلة ما في إثبات صياغة المشكلة نفسها، ثم حل المشكلة الجديدة.

اختبارات لقياس الطلاقة

اعتبرت القدرة على إثبات تنظيم الأفكار، وعادة ربطها بسهولة تبعاً لخطة معينة؛ قدرة جوهرية ضرورية لكل أنواع التفكير الإبداعي. بجانب (الطلاقة) وهي القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار في وقت محدد، أو هي السهولة

التحليل النفسي الحديث يركز على ما قبل الشعور بالإبداع.. وللحدس دور مهم في الإبداع.. وهو حكم عقلي أو استنتاج غير مبني على التفكير المنطقي

الفروق الفردية في الأداء الإبداعي هي جوهر النظرة الحديثة للإبداع التي تعتبره مقياساً متدرجاً وليس قدرة متفردة توجد كلها أو لا توجد كلياً

أو السرعة، التي يتم بها استدعاء تداعيات. وليس معنى أهمية الطلاقة للإبداع أن كل المبدعين يجب أن يعملوا تحت ضغط عامل الوقت أو الزمن، وأن ينتجوا بسرعة أو لا ينتجوا على الإطلاق؛ ولكن معنى ذلك هو أن الشخص القادر على إنتاج عدد كبير من الأفكار، في وحدة زمنية معينة، تكون لديه فرصة أكبر، بعد تثبيت كافة العوامل الأخرى لإيجاد أفكار ذات قيمة.

علماً بأن الاختبارات التي اقترحت لقياس الطلاقة متعددة، كان أحدها على سبيل المثال يتطلب من الشخص أن يذكر أسماء أشياء كثيرة، بقدر ما يستطيع في وقت محدد، بحيث تكون لهذه الأشياء خصائص معينة. وفي حالة الطلاقة اللفظية، يطلب منه أن يذكر كلمات ذات خصائص معينة، كأن تبدأ أو تنتهي بحرف معين، أو تبدأ وتنتهي معاً بحرف معين، ويمكن أيضاً قياس الطلاقة من اختباري عناوين القصص والنتائج بأخذ المجموع الكلي لعدد الاستجابات، دون النظر إلى نوعيتها أو كيفها، كما يحدث في حالة الأصالة.

ربط خبرات العقل

بات واضحاً أن التعايش اليومي للعقل مع هذا الكم الهائل من المعلومات، وبخاصة في العصر الحالي؛ يثير قواعده العقلية بمثيرات تهيئ له هندسة الإبداع العقلي بنفوذ أفكار جديدة، أكثر نضوجاً وأجدر أن ينال الكيان الإنساني منها النفع، ما دام أن العقل اعتنى بربط خبراته بقواعد ثابتة تماماً، مما يسمح له بالتعايش الأمثل بين دروبها كافة، لترشده إلى الاتجاهات التي عليه أن يتجه نحوها فيحدد نطاق عمل عقله، والعقل المبدع هو ثورة الأفكار العلمية المثبتة بقواعد علمية دقيقة وواعية، تندمج مع الخبرات العقلية.

فقد أثبتت الأبحاث الحديثة على العقل أننا لا نستخدم إلا نحو عشرة بالمئة من قدراتنا العقلية، وجاء وصف (آينشتاين) بأن أغلب أفكاره العلمية وأكثرها ابتكاراً، لم تكن ثمرة لأي توليف دقيق على وجه التحديد لتأملات شتى، فقد اعتاد أن يحوم حول أي سؤال ويقترب منه ما أمكنه ذلك بأفكاره، حتى يحيل الأمر كله لروح الإبداع في داخله، وقد يقتضي ذلك مدداً زمنية طويلة للغاية، قبل أن تنبثق إحدى الأفكار العظيمة، لأن الذكاء اللانهائي للذات العليا سوف يرسل إليه الحل عبر قناة الحدس.

مكونات الإبداع الرئيسة

عن فروض عوامل التفكير الإبداعي، فهي تصنف تحت ثلاث فئات بحسب ترتيب حدوثها في عملية الإبداع، فأولها عوامل تشير لإنتاج منطقة القدرات المعرفية، وتشمل عامل الإحساس بالمشكلات، وعامل إعادة التحديد، ثم عوامل تشير لإنتاج منطقة القدرات الإنتاجية، وتشمل عوامل (الطلاقة والأصالة والمرونة)، وأن هذه الجوانب الثلاثة هي المكونات الرئيسة للإبداع ليس بالعلم والاختراع فقط، ولكن في الفنون كذلك. وآخرها عوامل تشير لإنتاج منطقة قدرات التقييم، وتشمل عامل التقييم الذي اتضحت أهميته.



وتعتبر القدرة على إنتاج أفكار جديدة أو طريفة، عنصراً أساسياً في التفكير الإبداعي، ويمكن قياس درجة الجدة أو الطرافة عن طريق كمية الاستجابات غير الشائعة أو غير المألوفة، والتي تعتبر مع ذلك استجابة مقبولة لأسئلة أو بنود الاختبار، كالميل للإدلاء بتداعيات لفظية نادرة في اختبار لتداعي الكلمات، أو إعطاء متشابهات بعيدة أيضاً في اختبار للمتشابهات، كذلك يمكن قياس الأصالة على أساس الاستجابات، التي تشير إلى ارتباطات أو تداعيات بعيدة أو غير مباشرة.

عن تركيز العقل المفكر

يؤكد الفيلسوف (أرسطو) أنه إذا استطاع الفرد أن يماثل بين منطقتين منفصلتين من الوجود، وأن يجد رابطة بينهما فهذا الشخص بالتأكيد يكون (موهوباً). وعلى حسب تعريف الشخص المفكر، فهو ذاك الشخص الذي يتمتع بنشاط فكري ويطور تذوقه للأدب والفن، وهو شخص استعمل فكره، ويقدر على إظهار قدرة عقلية عالية الدرجة فكرياً واستعمال الذكاء أكثر من مشاعره أو غرائزه، لانتصار العقلانية على الجزء الحيواني من عقل فرد يمرن عقله للوصول لقرار، والعقل المفكر يركز على ما يريد وليس على ما لا يريد، ولديه القابلية للتفكير بوضوح، وعمل تحليل جيد للوضع الذي يعيشه، وهو يختار أن يكون سعيداً، وأن يستعمل الغضب حين لا توجد عدالة.

ولكن حين توجد نسبة عالية من التوتر وتتراكم، نصل إلى نقطة بأن يتم إغلاق العقل المفكر ويسيطر العقل البدائي، وتختلف درجة صعود العقل البدائي من شخص لآخر، وللعودة إلى العقل المفكر نحتاج إلى الانسحاب من العقل البدائي، ويتم ذلك بإدارة مستويات التوتر، فلا بد أن نتعلم كيف نهدأ وحين نهدأ نسترجع السيطرة ونعيد ترتيب أولوية الأشياء من حولنا، لنبدأ بإعادة تخطيط حياتنا كما نريد، وعن العلاقة بين العقل البدائي والعقل المفكر فيمكن وصفها كعلاقة الأب بالابن، والعقل المفكر هو الأب والبدائي هو الابن، فالطفل يعلم متى يلقي شيئاً ما على الأرض، للحصول على ما يتمناه.

وذلك يترافق مع شعور الأب بأنه لا يسيطر على الوضع، ويعلم الطفل بذات الوقت بأن والده يقف عاجزاً أمامه، والعقل البدائي يعمل بنفس الطريقة، يقذف الأشياء ليحصل على ما يريد ليسيطر على الوضع، فكلما ضعفنا كلما سيطر العقل البدائي، ولكن الأب يستطيع استعادة السيطرة ويقول هذا (يكفي)، وكلما فرض العقل المفكر نفسه كلما أصبح هذا الجزء من الدماغ أقوى، بقدر ما يتم إدارة مستويات التوتر لدى الفرد، بقدر ما يكون لديه القدرة على إحداث التغييرات التي يريد بحياته، فالإبداع والخيال يوجدان في الجزء الأيمن من الدماغ، بينما المنطق وحل المشاكل يوجدان في الجزء الشمال من الدماغ، بينما الكتاب يحتاجون لكلا الجزأين معاً ليتمكنوا من نسج قصة، أو رواية جيدة بمختلف فصولها وكافة حبكاتها المثيرة للاهتمام.





تستمد روحها من عبق الأرواح التي التصقت بجدة التاريخية

داليا العبدلي.. سعودية تعشق التراث وتأثيث البيوت القديمة



وسيلة الحلبي: الرياض

> تعمل سيدات سعوديات في تأثيث منازل قديمة تعود لمئات السنين، في مناطق متفرقة في المملكة. وبالعودة إلى التاريخ القريب، يحكي سكان محليون في مناطق متفرقة من المملكة، أن النسوة شاركن في بناء البيوت وتصميم التفاصيل الصغيرة، ونقش الزينة على جدران تلك البيوت التي تحاول هيئة السياحة والآثار الاعتناء بها مجدداً، كما يؤكد رئيسها في أكثر من مناسبة.

المستشارة داليا الشريف سراج العبدلي، مالكة تراث وأثر للأعمال والتجهيزات التراثية، وقلب جدة للتنظيم؛ يلاحقها عشق جدة ومبانيها التراثية، ذات الطابع الحجازي، حيث أطلقت مبادرة لتاريخ منطقة البلد بجدة، عبر صنع مجسم خشبي يدوي الصنع، نقشت عليه خريطة جدة التاريخية، وتعتبر هذه القطعة الفنية هي الأولى من نوعها.

المرأة وصناعة المنزل

تقول داليا العبدلي إن المرأة بشكل عام كانت هي صانعة منزلها، وأنها في الحجاز قديماً عرفت بتصميم وتأثيث منزلها، فكانت تحيك، وتصنع جهاز زواجها بنفسها، وبعد أن تصبح زوجة وأماً تتولى منزلها كاملاً، بقطع الأثاث والديكور والثياب والزينة والطبخ، وتتباهى بكونها ماهرة في الحياكة وعمل الصنارة والصوف وصنع المفارش واللوحات والطبخ وكل الحرف التي وجدت من عهد قديم.

وقامت بتأثيث بيت المتبولي التاريخي (عمره 410 سنوات)، وتم افتتاحه على يد رئيس هيئة السياحة الأمير سلطان بن سلمان. كما نفذت المتخصصة في قطاع التراث المستشارة داليا الشريف سراج العبدلي «البيت التراثي» في موقع الاحتفالات بفعاليات اليوم الوطني في أبحر الجنوبية. وتولت العبدلي مهام تنفيذ البيت التراثي من حيث ديكور البيت الحجازي لموقع احتفالات محافظة جدة باليوم الوطني. كما لم يتوانَ كل المهتمين بالتراث في تقديم الدعم لفكرة البيت الحجازي، ومنهم المختصون في التراث الحجازي السيد محمد العطاس.

مشاريع بيوت المرأة

وتحت إشراف الشريفة داليا العبدلي والدكتور محمد العطاس تم تأثيث وتجهيز عدة مشاريع، ضمنها مهرجان جدة التاريخي، وتأثيث وتجهيز بيت باعشن بالكامل، وتشغيل مبنى الميرة بفعاليات عدة بمجلس تراث وأثر، وإدارة وتشغيل وتنفيذ ديكور ووضع فكرة لبرنامج بارع التابع للهيئة العامة للسياحة والآثار، المقام خلف مسجد الشافعي لعدة حرفيات في مهرجان جدة التاريخية «كنا كدا2».

وأوضحت الشريفة داليا العبدلي أن العمل يتم وفق منظومة عمل متجانسة ومتناغمة من أجل تحقيق ما نتطلع إليه لهذه المدينة بكل تفاصيلها الصغيرة والكبيرة. وعن فريقها قالت



المستشارة داليا العبدلي: إن المرأة هي سيدة المنزل وتعرف تفاصيله أكثر من الرجل الذي يقضي معظم وقته خارج المنزل.

وأكدت العبدلي أنها اختارت فريقها بعناية قصوى، فملاك صباحي، مصممة الجرافيكس، وأحد أعضاء الفريق؛ درست الفن الإسلامي في المرحلة الجامعية، وقد وجدت ضالتها في البيوت التراثية في المنطقة التاريخية وسط جدة. وتقول إن المنزل التاريخي أسرها بنقوشه القديمة وتفاصيله التي تعود لـ400 عام، وسعت مع فريقها لإعادة الصبغة القديمة للبيت باختلاف غرفه وأدواره.

سور جدة الشمالي

ومضت العبدلي متحدثة عن تنظيم قلب جدة طوال فترة المهرجان «كنا كدا3» تحت عنوان «فجر جديد»، حيث بلغ عدد الزوار أثناء المهرجان 20 ألفاً. واشتملت تلك النسخة الكثير من الفعاليات التراثية والثقافية والترفيهية والتسويقية، واستمر 10 أيام. وشهد عودة سور جدة الشمالي، وأيضاً عودة الرسام الشهير ضياء عزيز ضياء بمجموعة من أعماله المميزة التي تحكي حكاية المنطقة بريشته، وافتتحه الأمير مشعل بن ماجد بن عبدالعزيز محافظ جدة رئيس اللجنة العليا لمهرجان جدة التاريخية، بحضور الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز رئيس الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، وعدد من المهتمين وأهالي مدينة جدة.

وهدف هذا المشروع إلى تعزيز مكانة المملكة العربية السعودية كمصدر للأدب وللثقافة وللتاريخ العربي منه والإسلامي، بالإضافة إلى المحافظة على المرتكزات التراثية، والمقتنيات الأثرية والحضارية، ومحاولة ربط الماضي المتسم بالعراقة بالحاضر، وتسليط الضوء على منطقة جدة التاريخية، وتعريف زوار المهرجان بها وبما فيها من معالم تراثية وتاريخية كثيرة، وذلك كله بهدف المحافظة عليها أولاً، وثانياً العمل على إعادة إحياء عادات وتقاليد أهلها، وثالثاً جعلها مزاراً تاريخياً يقصده أهل وزوار عروس البحر الأحمر. وقد ساهم المهرجان بشكل كبير في التعزيز من ملف انضمام جدة التاريخية لقوائم منظمة اليونسكو العالمية، وتسجيلها موقعَ تراث عالمي.

العبدلي والنادي الأدبي

ولم يقتصر دور المرأة الجداوية في أعمال المحافظة على التراث، والمساهمة في نظافة المنطقة التاريخية، أو لعب دور في نجاح فعاليات المهرجان؛ بل إنها مضت إلى أبعد من ذلك، لذا أخذت المستشارة داليا العبدلي المبادرة بإنشاء ناد أدبي ثقافي في المنطقة التاريخية، حيث هيأته ليكون بمثابةٍ نافذة أدبية وفكرية وثقافية تستقبل فيه محبي التراث وأهله بالندوات واللقاءات العملية والثقافية والاجتماعية.

وقالت العبدلي إن فكرة إنشاء مكتب في جدة التاريخية حاضرة منذ سنوات طويلة، ولكن كنت بحاجة للوقت المناسب للتنفيذ، وفي رمضان من العام الماضي تم الإشراف على كيفية تنفيذه بطريقة تراثية تعكس هوية البيت الحجازي القديم، فاهتمامي بالتراث قادني لإنشاء المكتب، وذلك بعد أن تم إجراء حوار مع شخصي في مقعد جدة، وحينها كانت الانطلاقة للتنفيذ.

وأضافت أن الهدف من إنشاء النادي هو وجود واجهة جديدة وحديثة للتعريف بتاريخ الحجاز، وذلك لرغبتين: الأولى



بهدف استضافة الشخصيات النسائية المشهورة في الحجاز، وتعريفهن بالنساء والمجتمع في الوقت نفسه؛ والرغبة الأخرى منصبة في إنشاء مكتب خاص في المنطقة التاريخية لكونها تضم موروثاً ثقافياً كبيراً يحكي قصة الحجاز على مدى السنين الماضية والمقبلة. ولذلك عمدت إلى الدمج بالمشاركة ما بين حبي للتراث ومجال عملي في التنظيم والعلاقات العامة لإعداد هذا النادي الأدبي، والذي حصد ردود فعل رائعة ومحفزة من الزوار أثناء مهرجان جدة التاريخية، وقد حرصت فيه على استقطاب الندوات والملتقيات خلال الفترة المقبلة للنادي.

منازل جدة في أدبيها

وبينت العبدلي أنه تم عرض صورة المنازل التاريخية في جدارية النادي ليصل طولها ما يقارب ثلاثة أمتار في كل زاوية من زوايا النادي، وهذا الرسم عكس صورة التراث بشكل جميل جداً، وذلك أن الفكرة النهائية للمشروع تعمل على الحفاظ على التراث بشكل عام في مختلف مناطق الغربية، لذا فالجدارية تحمل تفاصيل البيت الجداوي والمكاوي والمديني والطائفي، كما عمدنا إلى الاستعانة بخريطة للمدينة المنورة، رسمها حينها المؤرخ إبراهيم العياشي، حيث تعود أصولها إلى ما يقارب عام 1959م.

ويتضمن النادي ثلاثة أجزاء مهمة، منها: صالون النادي لاستقبال الزوار وإعداد المحاضرات والندوات، إلى جانب إعداد مكتب للحرفيين لاستعراض أعمالهم وتفعيل نشاطهم بشكل واضح، كما يضم النادي النسائي مجموعة من الصورة القديمة التي تحكي تفاصيل تاريخ منطقة الحجاز، لتوثيق أهم المعالم التاريخية التي تبرهن الحضارة العريقة التي يعود أصلها إلى الحجاز بكل ما فيه من جماليات.

رؤى للمستقبل النبيل

بينت العبدلي أنها ستعمل على استكمال الرسالة والهدف من خلال دعوة نساء جدة القديمات من العائلات الحجازية المغمورة في المنطقة ليتحدثن لفتيات الجيل الحديث عن التفاصيل المميزة للقديم وحياتهن في المنطقة، والنادي مفتوح بكل الترحاب لكافة المهتمات بالتراث من طالبات الجامعات أو المثقفات وسيدات المجتمع.

واختتمت العبدلي حديثها للمجلة العربية قائلة: إن اهتمامي منصب في تتبع أثر التراث في كل منطقة من مناطق المملكة، ومن ثم جمعه ونقله من منبع التاريخ العريق جدة والتي ستحكي تفاصيلها وتفاصيل غيرها من مناطق المملكة، حيث سيساهم ذلك في تعزيز الثقافة الفكرية والحضارية بداخلنا نحن أبناء المنطقة، ومن ثم نقلها للزوار ليتمكنوا من اكتشاف تاريخنا من خلالنا، ومنحهم فيما بعد فرصة زيارة المناطق الأخرى والتعرف عليها عن كثب، وهذه الخطوة ستمكننا من جعل جدة منبراً للثقافات في البلاد. مقدمة شكرها لخبيرة التراث الفنانة خديجة صباحي إذ تتكئ على أكثر من 30 عاماً من الخبرة والدراية بالعمل التاريخي والتراثي لجدة، وهي مديرة لقلب جدة للتنظيم ومشرفه على مشروع بيت المتبولي التاريخي.

وكما أشكر فريقي على رأسهم المشرف عبدالرشيد عبدالله حسن وأهلي على دعمهم وإيمانهم ومساندتهم كوني امرأة يفتخروا فيها.

أيادي الكائنات الفضائية
الخميس الأسود.. الدليل القاطع الذي كنا نبحث عنه

الكتاب: الثلاثة - رواية
المؤلفة: سارة لوتز
المترجم: محمد عثمان خليفة
الناشر: العربي للنشر والتوزيع 2016

يحكي الناشر شريف بكر، عن قصة هذ العمل «الثلاثة»: تعرفت لأول مرة على كتاب «الثلاثة» في معرض الشارقة نوفمبر 2013، ورغم أن تاريخ صدور الكتاب كان مايو 2014 إلا أن الكتاب كانت قد بيعت حقوق ترجمته إلى 16 لغة حتى ذلك الوقت. فكان هذا مدخلاً لترجمته إلى العربية.

وبعد ذلك تم تحويل قصته إلى عمل سينمائي، وعند صدور الرواية، حققت نجاحاً منقطع النظير؛ فكانت على قمة اختيارات القراءة على أشهر موقع للقراءة في العالم «goodreads».

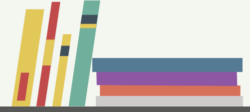
«الثلاثة» هي رواية الكاتبة الإنجليزية «سارة لوتز» الأولى التي كتبتها وحدها دون مشاركة من أحد، ففي السابق اعتادت «سارة لوتز» كتابة أدب الرعب تحت اسم مستعار هو «إس. إل. جراي»، كانت تكتب بالمشاركة مع «لويس جرينبيرج»، ومع ابنتها التي تكتب أيضاً تحت اسم مستعار هو «ليلي هيرن».

نالت «سارة لوتز» بعد نشر «الثلاثة» الكثير من النقد الإيجابي عنها وعن رواياتها، حيث تم تشبيهها باليد التي تخرج من الظلام لتجذبك إلى عالمها الذي ستخرج منه وأنت تلهث من فرط الانفعال. أمّا عن رواياتها، ففور صدورها، تم الإشادة بها وبكاتبتها التي أصبحت علامة مميزة ورئيسة في الحركة الأدبية بجنوب أفريقيا. كما قامت دار النشر الإنجليزية «هودر وستاوتون» Hodder & Stoughton ببيع حقوق ترجمة الرواية إلى ما يقرب من 21 لغة، من أهمها، العربية (بين يديك الآن)، والبرتغالية، والبلغارية، والصينية، والتشيكية، والفنلندية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، واليابانية، والروسية، والتركية.. وفي المملكة المتحدة وحدها بيع ما يقارب 30.000 نسخة.

نشرت العديد من الصحف آراء النقاد في رواية «الثلاثة»، حيث أشاد بها الكثيرون، مثل كاتب الرعب الشهير «ستيفن كينج» الذي قال إن رواية «الثلاثة» رائعة، وإنها مزيج من «مايكل كريشتون وشيرلي جاكسون»، وختم قوله بأنه ما إن بدأ في قراءتها لم يستطع تركها حتى أنهاها تماماً. كما علقت الـ«جارديان» على رأي «ستيفن كينج» مؤكدة على فكرة أن «الأستاذ» بنفسه أُعجب بالرواية وأن هذا تأكيد لا يقبل الشك على أن «الثلاثة» هي بالتأكيد واحدة من أفضل قصص الرعب، وأضافت الجريدة أن مفهوم الإثارة بهذه الرواية كالانفجار. وأضافت الـ«إندبيندنت» أنها رواية تستحق جمهوراً عريضاً، فهي تدفع القارئ للتفكير وتشغيل مخه، فـ«لوتز» قامت بتحريك الأحداث بغموض وبالكثير من لحظات الرعب الذي يوقف القلب، «... هذه رواية واثقة، وثابتة، ومحفزة للتفكير...»، أمّا الـ«دايلي ميل» فقالت إن رواية الرعب هذه تقف على حبل رفيع للغاية يفصل ما بين الفانتازيا والرعب.

إنها رواية كُتبت بأسلوب جديد ومختلف عن المتداول في هذا المجال الإبداعي؛ يعتمد على المقابلات الشخصية والصحفية مع شهود العيان، ومجموعة من شهادات الرواة، وتفريغ للعديد من التسجيلات، والمدونات والرسائل الإلكترونية (التشات)، والسير الذاتية التي لم تنته، بالإضافة إلى التعليقات ومقالات الصحف والمجلات وكل وسائل الاتصال الحديثة لتحصيل المعلومات وتوظيفها درامياً بمهارة تربط ما بين الرعب وأمراض البارانويا؛ بحيث تورط الكاتبة القارئ فيما تحكيه، وتُدخله في عالم من الرواة غير الموثوق فيهم.

إننا نحاول تقديم ترجمة أمينة وكاملة لنص مركب وطويل في إطار لا يعزل المتلقي عن الواقع المعيش.. واقع الحدث والروايات المتعددة والأقاويل والتصورات المتضاربة حوله من جميع الزوايا التي أجادت الكاتبة - باقتدار - حبكها وصياغتها وبنائها الفني والجمالي. و سارة لوتز كاتبة سيناريو وروائية، كتبت قصصاً لبرامج الرسوم المتحركة للأطفال. عاشت مع المشرّدين في الشوارع، أثناء فترة مراهقتها عندما كانت في باريس. تكتب في أدب الرعب تحت اسم «إس. إل. جراي» بالاشتراك مع الكاتب «لويس جرينبيرج». ألفت وحدها العديد من الكتب، كما اشتركت مع آخرين في كتابة سلسلة من قصص الرعب «ذا داون سايد»،







وقصص الزومبي المرعبة مثل «الأراضي الميتة» التي كتبتها مع ابنتها «سافانا» تحت اسم «ليلي هيرت»، وتكتب كذلك القصص البوليسية المثيرة. روايتها الأخيرة: «الثلاثة» نشرتها دار «Hodder & Stoughton» في بريطانيا، مايو 2014، ثم نشرتها دار «براون» في الولايات المتحدة الأمريكية. تعيش «سارة لوتز» الآن مع عائلتها في مدينة «كيب تاون».

من نص الرواية:

أربع حوادث طائرات. أربع قارات. أحداث أذهلت وسائل الإعلام العالمية بصورة غير مسبوقة في تاريخ العالم. ولا يمكن أن يكون هناك أي تفسير آخر عدا أن هذا من صنيع الآخرين، الكائنات التي تعيش بيننا وتخترقنا، بعدما قررت أن تمارس قوتها وتتباهى بها.

تذكروا هذه الكلمات.. إنها مسألة وقت فحسب، قبل أن يقوم العظماء الاثنا عشر بخطة تعمية رفيعة المستوى. ولسوف ينكرون وجود أي سبب «خارق» في التقارير عن الحوادث، انتظروا وسترون. إنهم بدأوا بالفعل يلقون باللوم على الطيارين في حادث الطائرة الأفريقية. وبدأوا يروجون أن عطلاً هيدروليكياً هو سبب الحادث الياباني.

ونحن نعلم أن هذا كذب. وأنهم سيكذبون. سيكذبون لأنهم متواطئون مع هؤلاء الغرباء. وسأندهش لو لم يكونوا قد نقلوا الأطفال الثلاثة (هذا إن كانوا أطفالاً أصلاً) بالفعل إلى المختبرات لحمايتهم (طالعوا خريطة الأماكن المحتملة).

ولنمعن النظر في الأدلة:

أربع طائرات

أربع؟ نحن نعرف أن فرص ضلوع أي شخص في حادث تحطم طائرة لا تتعدى واحداً في 27 مليون. فما هي احتمالات أن تتحطم أربع طائرات في اليوم نفسه مع نجاة ثلاثة أشخاص فقط؟ تكاد تكون هذه الفرص معدومة.

وبالتالي فنحن أمام حوادث متعمدة. إرهابيون؟ فلماذا لم تعلن أي جماعة مسؤوليتها حتى الآن؟ هذا ببساطة لأن الإرهابيين ليسوا المسؤولين. الآخرون هم المسؤولون.

أضواء وامضة قوية

لماذا ذكَر راكبان اثنان على الأقل من ركاب رحلة «صن أير» في رسائلهما أنهما شاهدا أضواءً ساطعة؟ فلا يوجد أي دليل على وقوع انفجار أو نشوب حريق على متنها. وكذلك ليس هناك ما يدل على فقدان مباغت لضغط الطائرة. ولا يمكن أن يكون هناك إلا تفسير واحد. ونحن نعلم أن هناك حالات شوهدت فيها مركبات غامضة بُعيد ظهور أضواء ساطعة في السماء. أي أن الأضواء الساطعة علامة على أنهم كانوا هناك.

لماذا هم أطفال؟

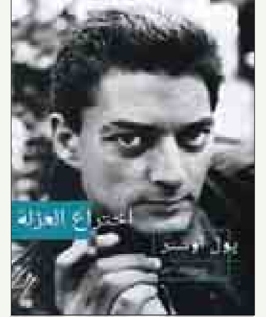
نقطة الاتفاق الوحيدة هنا هي أن نجاة هؤلاء الثلاثة من الحوادث معجزة أكبر من أن يصدقها أحد.

ولكن لماذا اختار الآخرون أن يكون الناجون أطفالاً؟ أعتقد أن هذا لأننا نعطف ونحنو على الصغار، وأننا سنبادر بمضاعفة تلك الرعاية أضعافاً مضاعفة في حالة كهذه.

نحن نعلم أن طريقة الهجوم المفضلة لدى الآخرين هي التسلل والتخفي مثل الأشباح. وسيكون اختراق الحكومات لعبة واضحة جداً وكرتاً محروقاً لو أنهم كرروها مرة أخرى. لقد حاولوا ذلك من قبل وفشلوا!! إنهم هنا لمراقبتنا، لا تنسوا هذا. ونحن لا نعرف موعد الخطوة المقبلة. سيكون الثلاثة تحت سيطرة قوى الكائنات الفضائية هذه، فيتلاعبون بعقولهم وأجسادهم، وسنكون شهوداً على ذلك في المستقبل.

لقد نجحوا في زراعة هؤلاء الأطفال وسطنا، ومن ثم بدأوا في مراقبة تصرفاتنا معهم.

هذا هو التفسير الوحيد!!



الكتاب: اختراع العزلة – رواية

المؤلف: بول أوستر

المترجم: أحمد العلي

الناشر: دار أثر للنشر، 2016

صدر عن دار أثر كتاب مذكرات الروائي الأمريكي بول أوستر: اختراع العزلة، والذي يقول عنه «إنه، بشكل أو بآخر، جوهر أعمالي كلها»، مع مقدمة فاتنة كتبها الأستاذ عبدالله السفر.

ومن مقدمة السفر «الأبناء نيام، فإذا مات الآباء انتبهوا. على نحو مفاجئ ودون إرسال إشارة تمهيد لمغادرة العالم؛ يموت الأب، يسدل غيابه على حياة الابن. وبموته، الأشبه بضربة حارقةٍ أو قطْع في اللحم من الداخل؛ يجري استدعاء الذاكرة ومُساءلة الوثيقة لإعادة بناء صورة الأب طبقاً لظرفه الاجتماعي والاقتصاديّ والثقافي ليكون ما عليه من وضْع ومن صفات مثّلت حاجزاً ليس بينه وبين أفراد عائلته، بل بينه وبين العالم نفسه».



الكتاب: مسار الأزرق الحزين

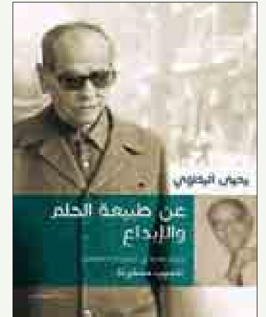
المؤلف: علاء خالد

الناشر: دار الكرمة، 2016

تصدر الكرمة الكتاب الجديد للشاعر علاء خالد. فعندما دخل علاء خالد المستشفى لإجراء عملية جراحية بسيطة، لم يكن يتوقع أنه سيتعرض لتجربة مرض صعبة وخطيرة. فقد ساءت حالته الصحية فجأة بسبب خطأ طبي، وخضع لعملية ثانية، وأُدخل قسم العناية المركزة وهو بين الحياة والموت.

يبوح لنا أحد أهم شعرائنا المعاصرين في هذا الكتاب بما راوده من أفكار ومخاوف وأحاسيس، في نص استثنائي وخاص جدّاً، يعيد النظر في عديد من المسائل، من فقدان الخصوصية، والصراع مع الموت، إلى الحب والحياة ومكان الإنسان في الكون.

يُعد الشاعر علاء خالد أحد الأسماء الأساسية في قصيدة النثر. صدرت له حتى الآن سبعة دواوين شعرية، وستة كتب أخرى، تنوعت ما بين النثر والصور القلمية والرواية. يعيش علاء خالد في الإسكندرية مع زوجته المصورة سلوى رشاد، حيث يصدران مجلة (أمكنة) المرموقة، التي تعنى بثقافة المكان.



الكتاب: طبيعة الحلم والإبداع - دراسة

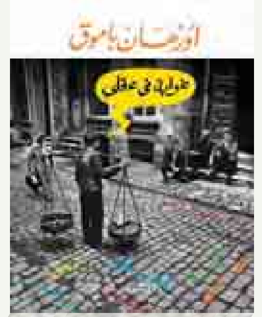
المؤلف: يحيى الرخاوي

الناشر: دار الشروق، 2016

صدر حديثاً في طبعة جديدة من دار الشروق بالقاهرة (طبيعة الحلم والإبداع: دراسة نقدية في «أحلام فترة النقاهة» لنجيب محفوظ) للناقد يحيى الرخاوي.

«في هذا الكتاب يغوص الدكتور يحيى الرخاوي بخبرته الكبيرة في عالم الطب النفسي والنقد الأدبي، في واحد من أهم أعمال الكاتب الكبير نجيب محفوظ وهو (أحلام فترة النقاهة)، وهي فترة تَبِعتْ حادث الاعتداء الغاشم المعروف، وقد كان الرخاوي شاهداً على جانب شديد الخصوصية من شخصية كاتبنا الكبير.

ينقسم الكتاب إلى ثلاث أفكار رئيسة، تبدأ بالكشف عن طبيعة أحلام نجيب محفوظ وعلاقتها بإبداعه. ثم في الفصل الثاني يقدم لنا قراءة نقدية في الـ52 حلماً الأولى من أحلام فترة النقاهة، يقدم الحلم كاملاً ثم يتبعه بقراءته له، مفسراً ما يشير إليه الحلم، وكيف تجلت عبقرية نجيب محفوظ في صياغته بكل ذلك العمق. وفي الفصل الثالث تأتي تقسيمات على لحن محفوظ، حيث يضع المؤلف الحلم ثم يتبعه بما أسما تقاسيم على اللحن الأساسي (الحلم). وهكذا من الحلم الثاني والخمسين إلى نهاية أحلام فترة النقاهة، يمتعنا الرخاوي بتجربة أدبية ونقدية ونفسية شديدة الجسارة والخصوصية والعمق».

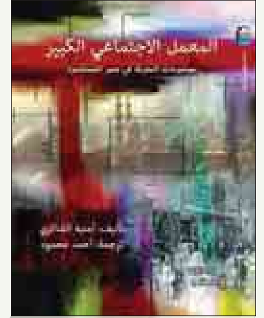


الكتاب: غرابة في عقلي
المؤلف: أورهان باموق
المترجم: عبدالقادر عبداللي
الناشر: دار الشروق، 2016.

صدر حديثاً عن دار الشروق بالقاهرة في أول ترجمة للرواية إلى العربية «غرابة في عقلي» للكاتب التركي أورهان باموق ومن ترجمة عبدالقادر عبداللي.

في العقود الأربعة ما بين 1969 و2012، عمل (مولود) في عدد من الوظائف المتنوعة بشوارع إسطنبول، من بيع الزبادي والأرز المطهو إلى حراسة موقف سيارات. يراقب مولود الناس بمختلف أشكالهم وشخصياتهم وهم يمرون في الشوارع، ويشهد تدمير وإعادة بناء المدينة، ويرى المهاجرين من الأناضول وهم يصنعون الثروات. وفي الوقت ذاته يشهد كل لحظات التحول المهمة في تاريخ المدينة، من صراعات سياسية وانقلابات عسكرية تشكِّل البلد. يتساءل مولود دائماً عما يميزه عن الآخرين، عن مصدر الغرابة التي تعشش في عقله، ولكنه لا يتوقف عن بيع البوظة في ليالي الشتاء ويحاول أن يفهم من هي حبيبته.

ماذا يهم أكثر في الحب: ما نتمنى، أم ما يخبئه لنا القدر؟ هل تفرض علينا اختياراتنا السعادة، أم التعاسة، أم أن كل هذه الأشياء تحددها قوى أكبر منا؟. تحاول رواية (غرابة في عقلي) الإجابة عن هذه الأسئلة، وهي ترسم التوتر بين حياة الحضر وحياة الأسرة، وغضب النساء وعجزهن داخل بيوتهن.

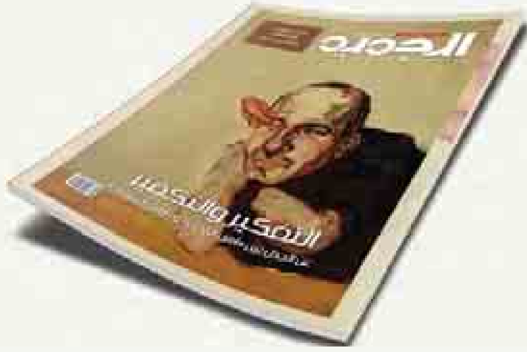


الكتاب: المعمل الاجتماعي الكبير
المؤلفة: أمينة الشاكري
المترجم: أحمد محمود
الناشر: المركز القومي للترجمة، 2016

صدر حديثاً عن المركز القومي للترجمة بالقاهرة كتاب (المعمل الاجتماعي الكبير.. موضوعات المعرفة في مصر المستعمرة) من تأليف أمينة الشاكري، ومن ترجمة أحمد محمود.

نقلاً عن المترجم: «يعرض الكتاب تطور العلوم الإنسانية الأنثروبولوجيا والجغرافيا البشرية وعلم السكان في مصر أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وفي تتبع لإنتاج علم أنساب المعرفة الفكري والمؤسسي؛ يبحث هذا الكتاب علم الاجتماع من خلال مجال واسع من النصوص والمنتجات الثقافية التي تتراوح بين المتحف الإثنوغرافي والتصميمات المعمارية، وحتى تلك الذروة من أبحاث علم الاجتماع، وهو «المقال». وتستكشف المؤلفة أمينة الشاكري التفاعل بين خطابات علم الاجتماع الأوروبية والمصرية، وتبحث حدود إنتاج المعرفة في وضع استعماري وما بعد كولونيالي، كما تفحص الحقائق الملحة المعقدة الخاصة بالجنس والطبقة والنوع في السياق الاستعماري المصري، حيث تكشف عن أنماط جديدة من الحوكمة والخبرة والمعرفة الاجتماعية التي حددت حقبة مميزة من السياسة القومية في فترة ما بين الحربين وما بعد الحرب العالمية الثانية. وأخيراً يبحث الكتاب المجال الواسع الذي تحدد معالمه الخطابات الاستعمارية والقومية بشأن الهوية العرقية للمصريين المحدثين».

الجديد بين التكفير والتفكير



أصدرت مجلة (الجديد) الثقافية التي تصدر في لندن، عددها الثاني عشر، وهو الأول في العام 2016، متضمناً عدداً من الإبداعات الشعرية والسردية والمسرحية، بالإضافة إلى نقاشات فكرية وثقافية واسعة عن عدد من القضايا الثقافية المعاصرة.

وحفل العدد الأول للسنة الجديدة بثلاثة محاور رئيسة، يتمثل الأول في خمس مقالات سجالية لعدد من الأقلام العربية، حاورت من مواقع ومشارب متعددة الأفكار التي طرحها المفكر عزيز العظمة في العدد الحادي عشر من (الجديد)، وتمحورت حول القضايا المتفرعة من صدام الأصولية والحداثة، ومسألة (الصعود الأصولي) في المجتمعات العربية.

أما المحور الثاني حول (حال اللغة العربية)، فضم ستّ مقالات من مشرق العالم العربي ومغربه، شخّصت وناقشت مسألة اللغة والمصطلح والتفكير المعاصر، وأدوار اللغة العربية ومشكلاتها في مجتمعات عربية تتكلم لغات شتّى، وتصدر عن مرجعيات ثقافية ولغوية متعددة، وتعاني من مشكلات فكرية عميقة ومتشعّبة، وتفتقر إلى لغة نقدية خلاقة قادرة على سبر المشكلات الثقافية والاجتماعية من باب الحاجة إلى تفكيكها وتحليلها استناداً إلى أفكار ومصطلحات جديدة.

في حين اهتم المحور الثالث بالإرهاب الفكري والقمع في المجتمعات العربية من خلال ما تسميه المجلة (فكر التحريم)، وهو ما عبّر عن نفسه في معاداة الكلمة والأدب والفكر الحر، والمضي في هذا العداء إلى (حدود العنف والإرهاب الجسدي).

ولم يخلُ العدد من نصوص شعرية وقصصية ومسرحية، وحوارين، واحد أدبي والآخر فني، ورسوم وعروض للكتب، ثم أخيراً رسالة ثقافية من باريس عكست النقاش المستعر بين النخب الفرنسية حول الإسلام والمسلمين والمهاجرين انطلاقاً من أحداث باريس الأخيرة.

تأسست مجلة الجديد على يد الكاتب العراقي هيثم الزبيدي، ويرأس تحريرها الشاعر السوري نوري الجراح. صدر العدد الأول مطلع 2015، وقد حملت المجلة شعار (فكر حر وإبداع جديد)، وتهدف إلى مناقشة أبرز القضايا الفكرية والثقافية العربية.

wأنثروبولوجيا



صدر العدد الثاني من مجلة (أنثروبولوجيا) المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة التي تصدر عن مركز (فاعلون) للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية.

وقد ترأس هيئة تحكيم العدد الثاني البروفيسور محمد سعيدي أستاذ الأنثروبولوجيا من جامعة تلمسان، وشارك في عضويتها مجموعة الأساتذة الكبار المعترف لهم بالمعلم والمعرفة من مختلف الجامعات العربية.

وقد احتوى العدد على مجموعة من المقالات العلمية القيمة:

فوكو وتقويض الأنتروبولوجيا.. نقد العقل السياسي لعبدالسلام حيدوري – تونس. الاستخدام الطلسمي للقرآن لمحمد الهادي الطاهري – تونس. العمل الحقلي في البحث الأنثروبولوجي لسليم درنوني – الجزائر. دراسة المسلمين في الغرب قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبعدها لغابرييل مارنسي – ترجمة: هناء خليف غني – العراق. تقاطع الأنثروبولوجي والمسرحي لديلمي فطيمة – الجزائر. والحرب والتحالف في المجتمع البيضاني قبل الاستعمار لفايز عبد الحميد – المغرب. والمجتمع التونسي في مواجهة العنف الاجتماعي لفاتن مبارك – تونس. والحقول المعرفية في الثقافة الشعبية الجزائرية لبوحسون العربي – الجزائر. وعبد الصمد الديالمي في الميزان لمحمد الإدريسي – المغرب.الجدير ذكره أن المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة هي مجلة نصف سنوية تصدر عن مركز (فاعلون). يرأس تحريرها مبروك بوطقوقة، ويدير النشر يمين رحايل.

وأعلنت المجلة عن البدء في استقبال مقالات العدد الثالث الذي سيصدر في شهر مارس على بريدها الإلكتروني: anthroporevue@gmail.com

المرأة والسلام والمنفى في عود الند

صدر العدد الجديد، من مجلة (عود الند) الثقافية الشهرية (oudnad.net) التي يرأس تحريرها الدكتور عدلي الهواري. تناقش كلمة العدد مسألة المرأة والسلام على ضوء دراسة أعدتها اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا التابعة للأمم المتحدة (إسكوا)، وتركز على سبع دول عربية. جاء في الافتتاحية:

«أما الانفصام الواضح عن الواقع (في الدراسة) فهو جلي في الجزء المتعلق بفلسطين، فالدراسة تقول: (وفي فلسطين، حيث تستمر المفاوضات الآن لأكثر من عشرين سنة، لم تشارك من الوفود الفلسطينية المختلفة فيها سوى بضع نساء). هل لو شارك عدد أكبر من النساء الفلسطينيات في المفاوضات لما احتاجت أن تستمر أكثر من عشرين عاماً دون أن تتوج باتفاق؟».

ونقرأ في العدد أيضاً مقتطفاً من الدراسة التي تناقشها الافتتاحية، إضافة إلى مقتطف من قرار مجلس الأمن الدولي 1325 لعام 2000 المتعلق بمسألة الأمن والسلام وذي العلاقة بالدراسة نفسها. ويلقي العدد الضوء على الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة، الذي كان يعد زعيماً للمعارضة السياسية الأردنية في المنفى حتى نهاية الأربعينات، وكان ذلك بنشر فصل من كتاب أعدته ابنته، هدى أبو غنيمة، عنوانه (سيرة منفية)، ومما جاء فيه:

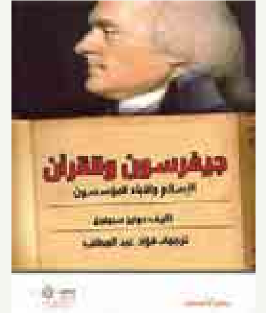
«بقي الدكتور صبحي أبو غنيمة في دمشق زعيماً

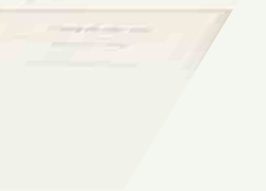


للمعارضة السياسية الأردنية في المنفى حتى نهاية عقد الأربعينات. وقد التف حوله الطلبة الأردنيون والدارسون في سوريا. كما كان منزله ملتقى المعارضين الأردنيين، الذين كانوا يترددون على العاصمة السورية بين فينة وأخرى، وبينهم اندست عناصر كانت مهمتها رصد نشاط صبحي أبو غنيمة في دمشق عن كثب ونقل الأخبار إلى عمان».

في العدد أيضاً نصوص متنوعة لكل من طه بونيني وغانية الوناس وزكي شيرخان وإيناس ثابت وربا الناصر وليلى زخريا، إضافة إلى أخبار موجزة عن إصدارات جديدة، ومؤتمرات أكاديمية أحدها حول اللغة العربية وسؤال المعرفة سيعقد في المغرب، وآخر عن القدس في الأدب العالمي تنظمه الجامعة الأردنية وسيعقد في أكتوبر المقبل. لوحة الغلاف للفنان الإسباني بيكاسو.

من الأقوى: القانون أم التقاليد؟





الكتاب: جيفرسون والقرآن: الإسلام والآباء المؤسسون

المؤلفة: دينيس أ. سبيلبيرغ

المترجم: فؤاد عبد المطلب

الناشر: جداول للنشر والترجمة والتوزيع - مؤمنون بلا حدود 2015.

أحمد الواصل: الرياض

يعلق الناشر بأن هذا الكتاب يتعلق بقصة الحرية الدينية الأمريكية، وهي قصة مثيرة اضطلع الإسلام فيها بدور مدهش.

في العام، 1765م، أي قبل أحد عشر عاماً من كتابة «بيان الاستقلال» قام توماس جيفرسون باقتناء نسخة من القرآن الكريم، فكان ذلك بمنزلة الإشارة الأولى إلى اهتماماته بالإسلام الذي استمر طوال حياته، كما تابع الحصول على مزيد من الكتب حول لغات الشرق الأوسط وتاريخه إلى الأسفار، مدوناً ملاحظات كثيرة حول الإسلام ولاسيما الأمور الي يمكن ربطها بالقانون الإنجليزي العام، المبني على العرف والعادة.

فقد سعى جيفرسون إلى فهم الإسلام، على الرغم من وجود مشاعر ازدراء شخصية أساسية لديه حيال هذا الدين، وهي مشاعر كانت تستحوذ معظم معاصريه من البروتستانت في إنجلترا وأمريكا، بيد أنه على خلاف على الكثيرين منهم، تمكن جيفرسون في العام 1776م من تصور المسلمين بوصفهم مواطنين مستقبليين في بلاده الجديدة.

كما يدور هذا الكتاب حول موضوع: أمريكا والإسلام في عصر التنوير، ويشكل بذلك محاولة استكشاف مفصلة في الموقع الذي كان ينطلق منه الغرب خلال عصر هذه النهضة، وتُوِّج في النهاية بنظرات الآباء المؤسسين للحرية الدينية. وعلى الرغم من أن الإسلام كان ديناً بعيداً ونظاماً عقدياً غير مفهوم بصورة مقبولة بالنسبة إلى المؤسسين، فإنهم دافعوا عن نُظم معتقدات خارجية مثل الإسلام.

يتكون الكتاب من سبعة فصول تسبقها مقدمة على التوالي:

المقدمة : تخيل المسلم مواطناً عند تأسيس الولايات المتحدة

الفصل الأول الأصول المسيحية والأوروبية للأفكار الأمريكية السلبية ولكن الدقيقة أحياناً حول الإسلام والمسلمين، 1529 - 1797

الفصل الثاني: الأسبقيات المسيحية الأوروبية الإيجابية للتسامح مع المسلمين، ووجودهم في أمريكا الاستعمارية 1554 - 1706.

الفصل الثالث: ما تعلمه جيفرسون -ولم يتعلمه- من كتابه: آراؤه السلبية عن الإسلام، واستعمالاتها السياسية، المتباينة مع دعمه للحقوق المدنية الإسلامية 1765 - 1786

الفصل الرابع: جيفرسون مقابل جون آدمز: مشكلة القرصنة الأفريقية الشمالية ومفاوضاتهما مع سفير مسلم في لندن 1784 - 1788.

الفصل الخامس: هل يمكن لمسلم أن يصبح رئيساً للحقوق الإسلامية وإقرار الدستور 1788.

الفصل السادس: جيفرسون يشن الحرب ضد قوة إسلامية، ويستضيف أول سفير مسلم، ويقرر أين يضع القرآن في مكتبته، ويؤكد دعمه للحقوق الإسلامية 1790 - 1823

الفصل السابع: ما بعد التسامح: جون ليلاند محام مؤيد لحقوق المسلمين 1776 - 1841.

ولعل معرفة جيفرسون بالإسلام كما يقول عدد من مؤرخي حياته، ترجع إلى مقابلته لسفراء مسلمين وشيوخ إسلام، وقد كان البعض منهم على استنارة كافية بمسألة الحريات الدينية في الإسلام، وهذه ظلت وراء اهتمامه بكتابة دستور يمنح المواطنة لكل أتباع الديانات، بل يذهب بعض الباحثين للقول إن جيفرسون ربما كان على معرفة بوثيقة المدينة التي كتبت في عهد الرسول مع الطوائف المتمثلة بالمدينة بعد الهجرة.

ويروي أيضاً أن جيفرسون كان أول رئيس يقيم إفطاراً رمضانياً في البيت الأبيض عام 1805، وجاء هذا بسبب موعد اجتماع له مع مسؤول تونسي، حيث علم أن المسؤول صائم، ومن هنا غير موعد الغداء من الساعة الثالثة والنصف لغروب الشمس حتى يتسنى للمسؤول أو المسؤولين الإفطار..

وبحسب مقدمة المؤلفة:

(أما بالنسبة لي، فقد مثلت صفحات جيفرسون والقرآن دليلاً تاريخياً مقدساً، ليس على حقيقة الإسلام، بل على قدرة بعض أوائل الأمريكيين وتوقهم إلى معرفة ذلك الدين. وبما

أنني أستاذة في التاريخ الإسلامي، فقد أردت معرفة ما يعلم الأمريكيون القدماء عن الإسلام وكيف عرفوا الدين وتاريخه. ولدهشتي، وجدت أن كثيراً من الأمريكيين في عصر التأسيس، على رغم تراث التضليل العنيد من أوروبا، رفضوا الاستسلام للمخاوف المعاصرة التي تروج لاضطهاد المسلمين. وفضلوا أن يكونوا ورثة سلالة أقل شهرة، لكنها مهمة للتسامح الأوروبي نحو المسلمين، سلالة كان تأثيرها مغفلاً حتى ذلك الوقت في التاريخ الأمريكي المبكر).

وقد أثار الكتاب حال صدوره بالإنجليزية كما العربية مناقشات كما يعلق الكاتب خالد غزال: احتل القرآن موقع سجال بين مؤيد لاستلهام بعض مبادئه وبين معارض له من موقع عداء ديني كان سائداً ضد الأديان غير المسيحية، خصوصاً البروتستانتية منها. لذا، يشكل الكتاب وثيقة مهمة في مرحلة زمنية كانت الحروب الدينية مندلعة في الأقطار الأوروبية وتحصد مئات الآلاف من أبنائها باسم الدين الحق الذي تحتكره هذه الفئة أو تلك، والهرطقة والكفر اللذين تتسم بهما المذاهب والطوائف كافة.

ولعل حادثة الكاهن المعمداني هنري أبوت (توفي 1791) تكشف عن قلق حيال الحريات الدينية في أمريكا ذلك الوقت. إذ يكشف موقفه الخوف من الهيمنة الكاثوليكية باعتباره يمثل نموذجاً بروتستانتياً مع أنه سوف ترسخ البروتستانتية كونها الدين الرسمي للولايات المتحدة.

غير أن الكاهن أبوت أول مندوب يقدم إمكانية أن يتولى المسلمون وظائف حكومية إذا أقر الدستور. وكان بحسب المؤلفة إلغاء الاختبار الديني قد عده الكثيرون خطيراً وغير متعقل، وقدم الفرصة بأن الوثنيين والمؤمنين العقلانيين والمحمديين -أي المسلمين- قد يحصلون على وظائف بيننا وأن أعضاء مجلس الشيوخ والمندوبين قد يكونون جميعاً وثنيين.

ويعلق الكاتب خالد غزال: بأنه ظلت مسألة الحرية الدينية والمساواة فيها لجميع المواطنين موضع سجال طوال القرن التاسع عشر، لعل أبرز النقاشات كانت على يد القس المعمداني جون ليلاند الذي دافع عن حقوق المسلمين، والذي اعتبر أن «العقائد الرسمية» في موطنه ماساتشوستس هي «أسوأ الشرور»، وذلك لأنها لا تعترف بالمساواة الدينية والسياسية. ترددت أصداء إخلاص ليلاند لقضية حقوق المسلمين بصورة متكررة في مواعظه الكنسية ومقالاته الصحافية حتى نهاية حياته. كان يمقت فكرة التسامح لأنها تفترض أن بعض الناس أرفع شأناً من بعضهم الآخر، كي يمنحوهم غفران، في حين أن جميع الناس يجب أن يكونوا أحراراً وفي شكل متساو بعيداً من أي تصنيف ديني.

تقرن المؤلفة في الكلمة الختامية: لماذا لا يمكن لمسلم أن يصبح رئيساً؟ ما بين خطاب جيفرسون عام 1801 حيث قال:

إن الجميع أيضاً سيأخذون في الاعتبار هذا المبدأ المقدس بأنه على الرغم من ضرورة سيادة إرادة الغالبية في الحالات كلها فإن تلك الإرادة لتكون سليمة يجب أن تكون معقولة، وأن تحصل الأقلية على حقوقها المتساوية، التي يجب أن يحميها قانون متماثل، وأن الانتهاك سيعد ظلماً ودعونا نفكر في أنه بعدما أبعدنا عن بلادنا ذلك التعصب الديني الذي نزفت وعانت منه البشرية طويلاً جداً، لن نكون قد كسبنا حتى الآن إلا القليل إذا قبلنا تعصباً سياسياً يكون استبدادياً وشريراً ومتمكناً مثل الاضطهاد المرير والدامي.

وخطاب دوايت أيزنهاور عام 1957 حين قال: وأود أن أطمئنكم يا أصدقائي المسلمين، بأنه في ظل الدستور الأمريكي، وفي ظل التقليد الأمريكي، وفي القلوب الأمريكية، وهذا المركز، مكان العبادة هذا، مرحب به بقدر ما يمكن لمنشأة مماثلة لأي دين آخر. وفي الحقيقة، إن أمريكا ستحارب بكل قوتها من أجل حقوقكم في الحصول هنا على مكان عبادتكم وتتعبدون وفقاً لضميركم. هذا المفهوم في الحقيقة هو جزء من أمريكا ومن دون ذلك المفهوم سنكون شيئاً مختلفاً عما نحن عليه.

فإنها تعترف بأن هذه الحقوق صعبة المنال من حيث إن التاريخ يقول كلمة أخرى بعيداً عن السياسيين سواء كذبوا أو صدقوا.

ففي القرن الثامن عشر ساد الجهل والخوف المتعلقان بالإسلام بين البروتستانيين، وبسبب التمييز العنصري والعبودية. لم يكن المسلمون الأمريكيون المعروفون من قبل سيمنحون قط حقوقاً متساوية.

فلم يكن المواطنون الأمريكيون الأوائل الذي سيعرفون قانوناً بأنهم مسلمون قد ولدوا في الولايات المتحدة بل كانوا مهاجرين من الشرق الأوسط. ومنذ عام 1790 لم يكن ممكناً حرمانهم قانوناً من المواطنة استناداً إلى ديانتهم.

فإذا كان جيفرسون اتهم بالدين التركي إشارة إلى دين الإمبراطورية العثمانية أي الإسلام كذلك حامت الشكوك حول دين أوباما عندما ترشح عام 2008.

فقد ظل التقليد أقوى من القانون. حيث لم ير جيفرسون ولا أوباما من خلال حقوق المواطنة وإنما التقاليد.

عن المؤلفة

مؤرخة أمريكية، حاصلة على الدكتوراه من جامعة كولومبيا. متخصصة في التاريخ الإسلامي، أستاذة مشاركة للدراسات الشرق أوسطية بجامعة تكساس. من مؤلفاتها: «السياسة، النوع، والماضي الإسلامي: ميراث عائشة بنت أبي بكر» (1994)، «جيفرسون والقرآن» (2013).

حميد خزعل
ترك شهرزاد تخربش وحدها

أحمد الواصل: الرياض

غاب عن معرضه الأخير..

أخذه المرض عن شهرزاد..

جمع في ذلك المعرض هوامش لا متن شهرزاد..

ظل حميد خزعل ينبش في الهامش فتنة في الضوء واللون..

وقد علق الناقد د.مصطفى عطية جمعة عن ذلك المعرض بأن الفنان التشكيلي يصوغ لوحاته مستلهماً ومتخيلاً ومعبراً عن حكايات من السرد العربي التراثي.

وقد تنسّم عبق حكايات ألف ليلة وليلة، واستحضر شخصية شهرزاد، تلك المرأة التي شكلت شخصية محورية في بناء حكايات ألف ليلة وليلة، لأنها الحكاءة الأساسية في قصص الليالي، تنثال الحكايات على لسانها، ومولاها شهريار مضطجعاً بجانبها، منصتاً مستمتعاً. ومهما تفرعت الحكايات، وامتدت وتشعبت؛ فإن صوت شهريار يأتينا في ثناياها أو في نهاياتها، يذكرنا بحضورها، وأنها هي المحرك الأول للقص، وراوية الفعل، وساردة الشخصيات وتفاعلاتها.

جاءت اللوحات كلها إكليريك، وهي الخامة الفنية التي تطورت في السنوات السبعين الأخيرة بتطورات عظيمة، فمادة الإكليريك يمكن استعمالها على أي سطح حتى المعدني للتلوين الزيتي.

يغوص بنا فناننا المتميز حميد خزعل في أجواء السرد التراثي، ولكنه لا يفعل مثلما فعل السابقون، بأن صوّر بريشته عوالم متخيلة من ألف ليلة وليلة في لوحات تكون أقرب لقص الأحداث بواقعية، كما فعل فنانو عصر النهضة في أوروبا أو الفنانون التقليديون، أو يكون قد رسم شهرزاد نفسها، متخيلاً ملامحها وجمالها الآسر، مستحضراً صوتها الملائكي الذي جعل شهريار بكل جبروته واستهانته بالنساء والدماء يقبع جوارها، ويستجدي حكاياتها وإلا فإن سيّافه حاضر لها.

ماذا فعل حميد خزعل في معرضه المبدع إلى درجة الإدهاش، الفريد إلى درجة الطرافة؟

لقد غاص في أعماقه الخاصة كإنسان وفنان، وعاد إلى سنواته الأولى في طفولته وشبابه المبكر، متذكراً حكايات شهرزاد، متخيلاً أبرز رموزها التي نجدها تترى في حكاياتها، مثل الأحصنة، الطيور الحقيقية والخرافية، أبطال القصص الفرسان والفتيات والبسطاء، الشجر والبحر والثمار. كل هذه الرموز القابعة في أعماقه منذ الطفولة، أخرجها، برؤية فنية هي مزيج من السيريالية والتجريد والرمزية العالية.

أوراق تشكيلية

واستكمل تجربته التشكيلية بإصدار نقدي عنوانه (أوراق تشكيلية كويتية)، حيث يوثق للتشكيليين في الكويت من خلال التركيز على نتاج مجموعة من الفنانين في الجزء الأول من الإصدار. وتتضمن السلسلة بعض الأسماء المضيئة في مجال التشكيل المحلي.

في التقديم للكتاب، يشير الروائي وليد الرجيب إلى فرادة خزعل في مجاله، فهو يجمع بين ممارسة التشكيل والنقد معاً، معتبراً (أوراق تشكيلية كويتية) قيمة فنية فاتنة، حلق الكاتب عبرها على صفحاته في هالات الفن بجناحي الوعي والذائقة، فصياغة رؤيته وكلماته تشبه صياغة اللون على لوحة بكر، أو صياغة الحلم عن عمد وسبق إصرار، ويقول الرجيب: «حسب علمي وظني، أنه لم ينتج كتاب في النشر التشكيلي الكويتي، يتجاوز المألوف بدراسته للإبداع التشكيلي، وقراءة أفكار الفنان وتشريح فلسفته الحياتية والفنية؛ مثل هذا الكتاب الذي عمل عليه بجهد الفنان التشكيلي الكويتي، والناقد والدارس للفنون التشكيلية الأستاذ حميد خزعل».

وعن أهمية الإصدار يلفت الرجيب إلى أن خزعل يكاد يكون «أحد الفنانين الكويتيين القلائل الذين اهتموا بتوثيق ودراسة الفن التشكيلي الكويتي عبر رؤية متقدمة، وضمن أدوات نقدية فنية متطورة وواعية للأبعاد التاريخية والنفسية والفكرية للأعمال الفنية ومنتجيها، ولا يستبعد من المعادلة جمهور التلقي والتذوق، وهو المهموم بضرورة مشاركة الجمهور في صياغة أعماله الفنية، وهذا ما يجعل الفنانين والكتاب يتسمون بالخلود، فمن يضع الجمهور نصب عينيه أثناء عملية الإبداع، يكتشف بوابة التاريخ».

يسلط الإصدار الضوء على سبعة فنانين تشكيليين هم: حسين مسيب، ومحمد البحيري، ومحمود أشكناني، وسهيلة النجدي، وفاضل العبار، وناجي الحاي، وسوزان بوشناق. ويقول المؤلف عن تجربة الراحل حسين مسيب إن فكره لا يتقد أو تعمل مخيلته


حميد خزعل





إلا مع الناس وبينهم، لأنه يعشق الناس، ويستلهم خياله الفني والعاطفي من هموم بسطائهم، وحركة رحلتهم اليومية وهم يتصيدون لقمة العيش. بينما يصف خزعل المنجز الفني للفنان محمد البحيري بأنه يكاد يغوص في غياهب الرمزية التي تختزل مكونات المشهد التشكيلي إلى مساحات لونية مجردة. وعن الصياغة البصرية في أعمال محمود أشكناني، فيرى أنها تركز على علاقة متوترة تفرز نوعاً من الصراع المتفجر، ينبجس بين الحين والآخر خلال مسيرة تطور المدينة، صيغةً معمارية، ونمواً بشرياً. وفيما يتعلق بالفنانة سهيلة النجدي فيؤكد خزعل أنها تجربة لونية أبرزت بوضوح سهولة التعايش التلقائي والخالي من التصنع بين الفكرة وكتلة اللون والخط. أما الفنان فاضل العبار فيلفت المؤلف إلى أن المسحة العاطفية تظل هي الغالبة على مجمل فكر العبار التشكيلي في مجال إعادة صياغة الكتلة، مستفيداً في بعض الأحيان من الأشكال والملامس التي تطفو على خريطة تضاريس الخامة. ويرى خزعل أن الأفكار الكثيرة في أعمال الفنان ناجي الحاي تتعايش بسلام مع المساحات اللونية داخل حدود اللوحة؛ إذ أنها نتاج صياغة تلقائية. ويحدد خزعل أبرز ما يميز أسلوب الفنانة سوزان بوشناق، بأنه تبسيطها للغة الطرح البصري في محيط لوح الرسم، وهذا ما جنبها الدخول في متاهات الحوار اللغوي.

ويشير الفنان حميد خزعل إلى أن فكرة توثيق الحركة التشكيلية الكويتية «بدأت منذ سنة 1987 عندما كُلفتُ والمرحوم الدكتور عادل المصري بتأليف كتاب حول الحركة التشكيلية الكويتية، وقد كتبتُ عن الجانب الذي يتعلّق بالحركة التشكيلية الكويتية، بينما كتب الدكتور عادل المصري عن الجانب الذي يتناول علاقة الحركة التشكيلية الكويتية بالحركة الفنية العالمية، وذلك ضمن مشروع عربي لتوثيق الحركة التشكيلية العربية المعاصرة، توطئة لإصدار موسوعة تشكيلية عربية، وقد أصدرت دول عربية عدة الأجزاء الخاصة بها ضمن هذا المشروع تحت رعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم».

عن حميد خزعل

اكتشفه اللون باكراً وهو صغير على مقاعد دراسته الابتدائية،

إذ كان يدرس في مدرسة الفحيحيل الابتدائية (سميت لاحقاً عثمان بن عفان). وبناء على توجيهات مدرسي التربية الفنية التحق بمعهد المعلمين، وأنهى بعد أربع سنوات دراسته بحصوله على دبلوم التربية الفنية سنة 1970.

عمل مدرساً للتربية الفنية في المرحلة الابتدائية مدة خمسة أعوام، حصل بعدها على إجازة تفرغ دراسية، سافر خلالها إلى القاهرة والتحق بكلية الفنون الجميلة -قسم الرسم والتصوير الزيتي- وتتلمذ خلال فترة الدراسة على يد مجموعة كبيرة من أساتذة الكلية الفنانين، منهم: حامد ندا، وكمال السراج، ومصطفى الفقي، ومحمد رياض، وأحمد نبيل.. وغيرهم. وحصل بعد ذلك على بكالوريوس الفنون الجميلة سنة 1980- 1981، عاد بعدها إلى التدريس في ثانوية الصباحية، ثم عين موجهاً فنياً في قسم النشاط الفني بمنطقة حولي التعليمية.

وقد مارس النقد التشكيلي في بعض الصحف المحلية والعربية. ومن مؤلفاته كتاب عن الحركة التشكيلية الكويتية المعاصرة بالاشتراك مع الدكتور عادل المصري بتكليف من منظمة اليونسكو- المكتب العربي للتربية والعلوم والثقافة، و(أوراق تشكيلية كويتية).

وانتسب خزعل إلى مجموعة جمعيات وروابط مهنية، منها الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية، وجمعية الصحافيين الكويتية، وعضو منظمة الصحافيين العالمية.

العودة في ليلة ثلجية عاصفة

تأليف: خيه وي بينغ

خيه وي بينغ كاتبة صينية ولدت في مقاطعة جيه تجيانغ التي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي للصين. تخرجت في كلية التربية بجامعة جيه تجيانغ عام 1982، صدر عمل قصصي لها 1987 تحت عنوان "منظر تشانغ شان"، حصلت على جائزة مقاطعة جيه تجيانغ لأفضل رواية قصيرة.

ترجمة / مي عاشور: مصر

يختلف ما يجول في خاطر كل من يعود إلى المنزل مبكراً، ومن يعود متأخراً. كانت هي من هؤلاء الذين يعودون متأخراً. في تلك الليلة كانت الشوارع مهجورة وموحشة، والجو عاصف وثلجي، والأرض مغطاة بلون أبيض، عليه آثار أقدام كثيرة.

تزايدت دقات قلبها عندما وقعت عيناها على ذلك الباب الكبير الذي رأته عندما انعطفت إلى الشارع، كانت أوصالها متجمدة، فتمنت لو لم يكن الباب مغلقاً. عند ذلك المنعطف كان الثلج يتطاير تحت ضوء المصباح القاتم، وكان ذلك الباب الكبير موصد بإحكام.

ربطت كوفيتها على عنقها بإحكام، ثم مسحت المكان من حولها بعينيها مثل الرادار، تمنت أن يكون بهذه الباحة شخص، يعود مثلها في وقت متأخر من الليل، تستأنس به في وحشة ذلك الطريق المظلم، ولكن كان المكان خالياً تماماً.

عليها أن تنادي ليفتح لها أحد ذلك الباب، مشت حول السور. فعلى من تنادي إذا؟. أتنادي على تجين دي، صديقتها المقربة التي تزوجت الشهر الماضي، فكم تمنت أن تصحبها إلى السينما لمشاهدة فيلم سينمائي. انتابها شعور بالسخرية من نفسها. فلتنس الأمر، وتنادي على ليو آن شين، أكثر شخصية كانت تلقي عليها السلام بحرارة في باحة هذا المنزل، ولكن هذه المرأة العجوز المغرورة، كانت لا ترد عليها أو تكترث بها. عندما تركت التعليم وهي في المرحلة الثانوية، حزنت أمها كثيراً وبكت، ولكن ليون آن شين هذه المرأة العجوز قالت لها: (ستكونين فلاحة فقيرة، وستنجبين أطفالاً فقراء مثلك). ولكنها فيما بعد توظفت، وأصبح معها نقود، لم تكن ليون آن شين إنسانة سيئة، ولكن هذه الجملة جرحتها كثيراً، بل حُفرت في ذاكرتها، حتى أنها لم تتمكن من نسيانها إلى يومها هذا، حتى بعد مرور وقت طويل، فمنعها ذلك من أن تناديها لتفتح لها الباب، أو ربما لم تنادها لأنها ليست على تواصل معها.

قررت أن تنادي على ما بينغ بينغ، ذلك الصبي الذي يبلغ من العمر 14 عاماً، يعمل والداه خارج المقاطعة، وهو حالياً يعيش مع جدته. تذكرت كيف كان يطلب منها أن تحكي له قصصاً في طفولته، وأنها كانت تلبي طلبه ولم تكن تكسر خاطره. نظرت تجاه بيت بينغ بينغ، وكأنها ترى ذلك السور الشاهق لأول مرة. لن يصل الصوت إلى الداخل مهما ارتفع صوتها، وحتى إن وصل، فطفل عمره 14 عاماً، سيكون حتماً مستغرقاً في سبات عميق، ولن يصحو حتى ولو قرعت بجانب أذنيه الطبول.

فكرت في أن تنادي على جدة ما بينغ بينغ. لم يكن بحنانها أحد في هذا المنزل برمته، وكانت هي أكثر من يهتم بأن تزوجها، كل يوم تقريباً تعرفها على عريس. ولكنها كانت تخشى كثيراً من هؤلاء الشباب أنيقي الملبس، عندما كانوا يتفحصونها بنظرات مليئة بالاستخفاف.

كان قلبها يفيض حزناً على عمرها الذي ضاع سدى، فكان يمكنها أن تتمسك بموضوع الزواج، إذ كانت أصغر سنًا، ولكنها تبلغ الثلاثين من عمرها الآن، فإذا كانت أصغر بخمس سنوات أو حتى ثلاثة، كان يمكنها أن تهتم بذلك الأمر. ولكنها ليست غبية، فهي تعرف أن الوقت قد تأخر، تماماً كمشاهدة الفيلم مع صديقتها، وذلك الباب الذي أُغلق، لذلك كلما وضع القدر أمامها شخصاً، ترفضه على الفور، حتى أخذ الناس يتحدثون عليها من وراء ظهرها، ويقولون إنها متكبرة وصعبة الإرضاء، ولكن جدة ما بينغ هي الوحيدة التي لم تفعل. لكن مهما كان فهي لا تستطيع أن تنادي على هذه المرأة العجوز التي تجاوزت الستين، في مثل هذا الوقت المتأخر.

شعرت فجأة بالبرودة تتخلل عظامها، أخذ الثلج يتساقط بغزارة، واشتدت الرياح، ورُدمت الأمكنة كلها باللون الأبيض، وكأن العالم كله تحول إلى قطعة قطنية. عندما نظرت إلى نهاية الشارع، وجدت شخصاً آتياً من بعيد، وكأنه نقطة سوداء صغيرة. برقت عيناها، فسيكون الحظ حليفها. إذا كان واحداً من أهل هذا المنزل الكبير، سوف تشكره كثيراً سواء اكترث أم لا.

في النهاية اقترب هذا الشخص حتى بات على بعد بضع خطوات منها، كان رجلاً في منتصف العمر، يحمل سلة بيده. لكنه مع الأسف لم يكن يقصد الدخول إلى البيت ذي الباب المغلق، ومر بسرعة كزبد البحر.

تمنت لو استطاعت أن تشل قدميه عن الحركة، أرادت أن تلعنه، ولكنها لا تعرف إذا كانت يجب أن تلعنه أم تلعن نفسها، أم تلعن ذلك الطقس البارد أم سوء حظها. أخذت تنظر إلى ظله المتلاشي بانكسار، وبنظرات يشوبها الحقد والحسد.

فمن المؤكد أن هناك من سيفتح الباب لهذا الرجل فور وصوله إلى منزله، ربما زوجته أو والدته؟ فبيته متلئ بالدفء قطعاً.

هي أيضاً لها بيت، وعندها سرير، غطاء، وسخان، فعلى الرغم من أنها وحيدة، ولكنها تشعر بالدفء، وفي نفس الوقت يسيطر عليها شعور بشيء من الغربة، لذلك لا تريد العودة إليه.

لا يمكنها أن تتصور أنها ستقضي الليلة بأكملها في الخارج، قررت أن تصرخ بقوة، فعندما يسمعها أي شخص من الداخل، سيفتح لها الباب، فقد حلفت أنه بغض النظر من سيفتح لها، ستكون لطيفة معه بعد ذلك.

في النهاية صرخت صرخات دوت في الفضاء، وخبطت بيدها على الباب وكأنها تقرع طبلة قائلة: (افتحوا الباب...).

أصدر الباب صوت صرير، ثم فُتح.

فلم يكن مغلقاً من الأصل.

ما الشعر؟

مبارك أباعزي: المغرب

دأبت الأبحاث في (الشعرية) على البحث عن الخصائص التي تميز الشعر عن غيره من الأجناس الأدبية والنصوص العادية ولغة التواصل اليومي، فتوصل كثير منها إلى أنه ينماز بمقاومة النمط التركيبي المألوف في أشكال التعبير الأخرى، والرفع من قيمة الصوت من خلال الوزن والجناس والسجع والقافية وغيرها، وتكريس التنافرات الدلالية بين الكلمات والعبارات، وخلق طرق جديدة في خلق الانسجام، وغير ذلك من الخصائص.

بيد أن الشعريين يعترفون أيضاً أن الشعرية في تحول عبر الزمان، فما يعد في حقبة تاريخية شعراً قد يخرج من دائرة الشعر في حقبة أخرى، وما أخرج من دائرة الشعر في مرحلة تاريخية قد يعتبر شعراً في مرحلة تاريخية أخرى. وعبر المكان كذلك، فكلما تعددت الأصقاع، تعددت اللغات، واختلفت وفق ذلك معايير الشعرية في كل لغة. ونظراً لأن مسالك الشعر الخالقة للشعرية تتغير بتغير الأزمان، فإنه يصعب تحديد سمات محددة له، (فرغم أننا يمكن أن نصل إلى تحديد المسالك الشعرية النوعية لشعراء حقبة معطاة، إلا أننا لن نكتشف بعد حدود الشعر).

ورغم ذلك، يصر الشعريون على مواصلة البحث وكد الحصول على نموذج للشعرية، يصاغ وفقه الإبداع الشعري في كل زمان ومكان، وهو ما يتطلب في نظرهم مجهودات عظيمة يتوجب على الباحثين القيام بها قصد تحقيق الغاية المنشودة. غير أننا ننظر إلى الأمر من منظور آخر، يتعلق الأمر بالتلقي والاستقبال.

نعتقد أن شعرية الشعر كامنة في ذهن المتلقي الذي يقرأ النص ويستنطقه، فهو الذي يحكم في آخر الأمر على النص بالجودة أو الرداءة، فالقيمة الصوتية التي طالما كانت ضرورية في الشعر العربي أثبتت نازك الملائكة وبدر شاكر السياب أنها لم تكن عنصراً مهماً، وأثبتا أن شعر التفعيلة الذي تمرد على عنصر مهم من عناصر الشعرية العربية ليس ذا شأن. كما أثبتت قصيدة النثر أن الشعر يمكن له أن يستغني عن الوزن. وفي المقابل، وجدنا أن بعض نصوص أحمد عبدالمعطي حجازي وأدونيس اعتبرت شعراً، رغم أنها نثرية الإيقاع والدلالة معاً، فلا وجود فيها للقيمة الصوتية أو للانزياح، ومع ذلك لا نجادل في أنها شعر حقيقي.

إن القبض على شعرية الشعر إذن وهم ما بعده وهم، وستبقى العودة إلى المتلقي أمراً محتوماً للحكم على نص ما بشعريته. ها هو تزفيتان تودوروف **Tzvetan Todorov** نفسه يقول: (من الحقائق التي لا يرقى إليها الشك اليوم، أن الحكم التقويمي على عمل ما مرتبط ببنيته. لكن لعله من الواجب التأكيد على أمر آخر، وهو أن ذلك ليس هو العامل الوحيد للحكم. فلنا أن نفترض، حتى نفهم بشكل أفضل قيمة العمل، أنه يجب التخلي عن هذا التقسيم الإقليمي الأولي غير المفيد، وإن كان ضرورياً، هذا التقسيم الذي يقتطع العمل من قارئه. فالقيمة كامنة في العمل، ولكنها لا تبرز إلا في اللحظة التي يستنطقه فيها قارئ ما). فرغم توافر الخصائص الشعرية لنص ما، على مستوى الانزياح الصوتي والدلالي والتركيبي، يبقى الرجوع إلى القارئ سبيلاً لإضفاء الشعرية على نص معين أو رفعها عنه.

وفي ذات السياق نجد الناقد مايكل ريفاتير **Rifattere** يشير إلى القيمة الشعرية لبعض العبارات والكلمات التي تنمحي فور تشبع السياق التواصلي أو

الشعري بها. يقول وهو يتحدث عن التشكلات الشعرية: (هذه التشكلات، لا تمدنا هي وحدها مع ذلك إلا بمعرفة قليلة عن التقاطب المزدوج للتناقضات الأسلوبية، لأنها يمكن أن تلغى بالقدر الذي يكون سياق ما قد تشبع بها، وتصبح هكذا متوقعة بصورة أقوى). وهو نفس ما نجده لدى الناقد تيري إيجلتون **Terry Eagleton**، الذي قدم مقاربة شعرية بالغة الأهمية، فهو يعتبر أن العبارات الشعرية تفقد شعريتها كلما استعملت أكثر، فمجرد الاستعمال المتكرر للعبارات المجازية يسلبها ما كان لها من ألق وتأثير. وتبعاً لذلك يصبح التلقي مهيمناً في تقدير القيمة الإبداعية للشعر، إذ يقول: (إذا كان عدم النظر إلى الأدب باعتباره مقولة (موضوعية) وصفية أمراً محبذاً، فينبغي القول إن الأدب هو بالذات ما خصه الناس، على نحو غير مفهوم، باسم الأدب).

وتبعاً لشليغل **Schlegel**، تبقى شعرية الشعر رهن الانطباعات الجمالية لكل فترة، يقول: (يمكن لتعريف للشعر أن يحدد فقط ما ينبغي أن يكون عليه الشعر، لا ما كان أو ما هو عليه في الواقع. وإلا فقد يعبر عن نفسه بشكله الأكثر اقتضاباً: إن الشعر هو ما دعوناه بالشعر في كل زمان ومكان). فباعتبار اعتياص الحديث عن مستقبل الشعر على مستوى الشكل، لاختلاف الناس وتباين أذواقهم، يستسلم شليغل للقارئ في عبارة (دعوناه). فالشعر وإن كان لابد أن ينماز ببعض الخصائص، إلا أنها تظل متغيرة باستمرار، وهذا التغير يستوجب تجديد معاييرنا عما ندعوه شعراً، وما لا ندعوه بالشعر.

وليس الأمر حتماً مرتبطاً بالعملية النقدية الصارمة، فقد شفع القراء لنصوص لم تنل حظها من النقد، كما شفع النقاد لنصوص تكون في هامش الأدب. وهذا يخالف ما ادعاه خلف الأحمر، إذ ورد عنه أن قائلاً قال له: (إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك. قال له: إذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته، فقال لك الصراف إنه رديء، هل ينفعك استحسانك له؟). فوجه المقارنة بين النقود ذات الطابع المصلحي الذي يربط الناس ببعضهم في المعاملات وشؤون التجارة، مخالف للجانب الإمتاعي في الأدب الذي يصل الإنسان بخصوصيته الفردية. إن القراءة النقدية إذن تتراجع لصالح ما يرشحه القراء شعراً، وتنكص القوانين والضوابط المعيارية أمام هذا الترشيح.

وقد أشار الشاعر محمود درويش، بعد أن استحال عليه التفريق بين الشعر والنثر، إلى أن الشعر هو (الكلام الذي يجعل قارئه يقول هذا شعر، ورد فعلك الغريزي النقدي يجعلك تقول إن هذا الكلام لا يشبه الكلام العادي، هذا الكلام اسمه الشعر). ففي نظر درويش، يرتبط التقييم بالغريزة المجبولة على الحس النقدي.

إن الشعر إذن في تحول مستمر، لا يفتأ يتوقف حتى يواصل المسير، ولا تُحدد ضوابطه حتى يتمرد ويعتاص على التحديد. لذلك تتجدد المعايير باستمرار، ولا يحصرها زمان أو مكان. وبعد ذلك كله، نعود إلى القارئ على الدوام، لأنه مصدر المعنى ومكمن التفاعل.



هل (اسم الوردة) مُصادفة؟!

عادل البطوسي: مصر

طُرحت عقب نشر روايته «اسم الوردة» عدة تساؤلات حملت الكثير من الدهشة لتحوُّل هذا الرجل المتخصّص في علم «السيمولوجيا» الكاتب الإيطالي «إمبرتو إيكو» إلى الرواية، وكيف له بابتداع هذا الاسم الفريد لروايته الأولى التي تُرجمت إلى عشرات اللغات وبيعت ملايين النسخ منها في مختلف بلاد العالم؟!

وعقب نشر الترجمات هرع الصحافيون المهتمُّون بالأدب لإجراء العديد من الأحاديث معه وطرح التساؤلات التى حملت نفس الدهشة للنجاح المُذهل للرواية الذى أغرى «إيكو» بتكرار المحاولة فأصدر روايته الثانية «بندول فوكو» التى لاقت بدورها نجاحاً واسعاً فانطلق فى مشروعه الروائي.

وصدرت عدة دراسات حول رمزية الرواية بدءاً من عنوانها «اسم الوردة» باستناد مرجعي إلى كتابين لإمبرتو إيكو هما «النص المفتوح- السيميوطيقيا وفلسفة اللغة»، وخلُصت هذه الدراسات إلى أن الصيغ الرمزية هى السمة الغالبة لكتاباته المُشْرَعَة للتأويل المتعددة الدلالات التى تظهر بوضوح فى هذه الرواية البوليسية المحبُوكة بشكل جيد والمزيَّنة بنصوص من القرون الوسطى.

ولأن الرواية ذات حبكة بوليسيَّة فقد كان اسمها فى المسودَّة الأولى «دير الجريمة» واستبعده «إيكو» بعد أن رآه عنواناً «إعلانياً خادعاً يستدرج المُتلقين البائسين» وجعل من صوت الراوي «إدسو دوملك» اسماً ثم عاد واستبعده لأن الناشرين فى إيطاليا لا يحبون أسماء الأعلام وفجأةً خطرت له «مُصادفة» فكرة «اسم الوردة» وراقت له ذلك أن الوردة -حسب تعبيره- رمزية معبَّأة بالدلالات إلى الحد الذى أصبحت فيه لا تملك معنى محدَّداً.

وهذه الرواية «المغامرة» أو المغامرة الروائية تدور حول حياة الرهبان في القرن الرابع عشر الميلادي، وفكرتها جاءته «مصادفة» فقد كتبها بعد أن عثر على كرَّاسات يعود تاريخها لعام 1975 كان قد سجَّل فيها قائمة بأسماء الرهبان الأحياء في دير مهجور، وكتاب قديم عن «معالجة السموم» وآخر عن «فن القرون الوسطى» 1956 وعدة كتابات أخرى تراكمت لديه منذ عام 1952 وكأنها أُعدَّت «مصادفة» لكتابة الرواية فكتبها وجعل البطولة فيها لمكتبة ضخمة تُمثِّل في الحقيقة المعرفة الإنسانية.

وعندما شرع «إيكو» في الكتابة استغرق عاماً كاملاً في إجراء التخطيطات الأولية والتصوُّرات المكانية والحبكة الروائية دون أن يكتب كلمةً واحدة، لكنه بعد ذلك انتقل إلى تنظيم الكتابة حسب قوله دون أن يترك شيئاً هذه المرَّة إلى «المصادفة» فكل الأشياء تتوافق بدقة تبعاً لتصميم معيَّن واختزان لتجاربه وتوثيقها من خلال الصلة القائمة مع التجارب التى عاشها الآخرون.

وهكذا وإن كانت الفكرة قد جاءت إمبرتو إيكو «مُصادفة»، والعنوان «اسم الوردة» أيضاً «مُصادفة»، فإنه كتب الرواية بوعي ودقة دون أن يترك شيئاً للمُصادفة، كما أنه في روايته هذه لم يبعد كثيراً عن مجال تخصصه في علم السيميولوجيا.



التوجس من الأدب والأدباء

سليّم السوطاني: الباحة

الأدب بنوعيه.. سفينة مجاديفها الأبداع.. ربانها أديب بارع.. تبحر بنا إلى مدن الجمال والضباب والإبداع..

الأدب يقودنا إلى التأمل في جمال اللغة والأسلوب والفصاحة.

نعلم أن هذا الإبداع يعتمد على الخيال والتصوير والمبالغة، واستخدام المحسنات البديعية «اللفظية والمعنوية»، ويجمع الأديب الفصاحة والبلاغة في نصّه الشعري، أو المنثور، ويخرج بنص خيالي يبهر عقولنا ويرضي ذائقتنا الأدبية، ولكن للأسف بلينا منذ العصور الأدبية السابقة حتى عصرنا الحديث بمن يزرع الشوك في طريق الأدباء المبدعين، وكلّ ذلك بسبب «التوجس» من بعض الألفاظ التي داخل النص فتحمل على غير معناها، أو من الذين تصدهم ظواهر الألفاظ دون بواطنها وتساق الاتهامات والشكوك حول شخصه بناءً على ذلك النص الذي جنح إلى الخيال في نظمه وطرق الرمزية لأسلوبه، ويتعدى المتربصون لهذا المبدع إلى غير ذلك برميه بالزندقة والهرطقة.. ولنا خير مثال في الشاعر والعالم اللغوي والأديب والفيلسوف «أبو العلاء المعري» حيث زرعوا حول أدبه الشكوك والريبة وحملوا بعض ألفاظه وابتكاراته في اللغة الشعرية على غير المعاني التي رسمت لها، والحق يقال لمن يهتم في الأدب العربي بأن هذا الأديب «هو أول من خط للشعر العربي طريقاً جديدة فلسفية خاصة به، وملأ شعره بأسمى المبادئ والقيم». ناهيك عن رسائله التي وصلت إلينا «لزوم ما لا يلزم» و«رسالة الغفران».

ولو عمل الغرب مثل ما نعمله مع أدبائنا، ولو جمعوا سخافات وسقطات أدبائهم، مثل: «شكسبير وداني وفولتير وفيكتور هوجو» لعملوا مجلدات وصدوا القراء عن قراءة أدبهم، ولكنهم كانوا يأخذون من الشيء أحسنه.. ويتركون الغث.

أتحدث في مقالي عن الأدباء الجيدين الذين قدموا أدباً رفيعاً للأدب العربي من العصور السابقة حتى عصرنا الحديث.. ولندرك بأن جميع البشر يخطئون، ولنأخذ الجيد منهم، ونترك السيئ الذي لا يوافق ذائقتنا.. ولا نجعل أهواءنا تتحكم في ذائقتنا ونصبح ناقمين على الأدب والإبداع.



عالم مليء بالدوائر

عبدالله بن محمد: تونس

في 14 مارس من كل سنة، تحتفل المجموعة الدولية باليوم العالمي للثابت الرياضي أو ثابت الدائرة، أي العدد «ط» أو «باي» «π»، وهو الاحتفال الذي أسسه العالم الفيزيائي لاري شو، ويصادف كذلك عيد ميلاد العالم الفيزيائي ألبرت أينشتاين. حيث يتجدد الحديث عن الفرضيات والتخمينات المتعلقة بالهياكل أو الأشكال الدائرية، سواء الطبيعية منها أو من صنع الإنسان.

ولم تعد مقولة (الدائرة المثالية لا يمكن أن توجد خارج نطاق الرياضيات) صالحة لكل زمان بحكم ما تحقق من تطور في الأبحاث والنظريات العلمية. ولئن لم يتوصل أي عنصر في العالم المادي -من الجسيمات دون الذرية إلى الهياكل المبنية بعناية- إلى اجتياز اختبار الدائرة المثالية، أي عندما تتساوى كل النقاط الموجودة على محيط الدائرة وتكون على نفس المسافة من مركزها، فإن بعض الأشكال الطبيعية البارزة والنادرة والمباني التي شيدتها الحضارات البشرية يمكن أن تستوفي هذا الشرط. وتبرز هذه المواقع، التي وجدت إما عن طريق المصادفة أو التي شيدت بهدف محاكاة الشكل الذي وصفه العالم اليوناني بروكلوس «بالنموذج الأول والأبسط وأكثر مثالية»، التماثل الفريد والرمزية التي تجسدها الدائرة.

إن اهتمام البشر وشغفهم بالدوائر سابق حتى للتاريخ المكتوب، وقد سعت العديد من الثقافات القديمة كالبابلية والمصرية إلى الوصول إلى تقريبية «باي» أو ثابت الدائرة والذي يعرف أيضا باسم ثابت أرخميدس -وهو معادل لنسبة محيط الدائرة إلى قطرها- ولكن يظل من غير المعروف كيف أو متى اكتشف الإنسان أن النسبة بين محيط الدائرة وقطرها هي نسبة ثابتة، إلا أن الثابت والأكيد أن هذه الحقيقة قد عرفت منذ قديم الزمان. وبسبب تماثلها، كانت الدوائر تعتبر تمثيلات على «التوازن الطبيعي» أو «الإلهي» في اليونان القديمة. وفي وقت لاحق، أصبح الشكل أساساً حيوياً للعجلة والآلات البسيطة الأخرى.

وكان هناك تركيز واضح على الدوائر في المباني والهياكل التي بنيت على مر التاريخ. وعلى الرغم من أن فك شفرتها لم ينته بعد، فإن كوبيكلي تبه «Göbekli Tepe»، سلسلة الدوائر الحجرية في تركيا، حيث توجد أقدم المنشآت المعمارية للبشرية منذ نحو آلاف السنين، وهي تعد كذلك أقدم معبد معروف بني حوالي ستة آلاف سنة قبل ستونهنج «الدائرة الشهيرة الآخرى». ويتضمن الموقع المذكور العديد من أماكن التجمع الأكثر أهمية التي استخدمت من قبل ثقافات متنوعة مثل مراكز العبادة وإدارة الحكم وحتى مشاهدة المباريات. فالمدرجات الرومانية، بما في ذلك الكولوسيوم، على سبيل المثال، قد صممت في شكل دوائر أو قطع منقوصة بهدف تركيز الاهتمام على نقطة واحدة وحدث رئيسي واحد، على غرار منافسات المصارعة والملاكمة. وفي إيطاليا، تضمنت ساحة القديس بطرس، وهي الساحة المؤدية إلى المبنى الرئيس للفاتيكان، نصفي دائرة تحيطان بالمكان، وتهدفان إلى تجسيد «أمومة الكنيسة التي تضم كل الأمم معاً، في حضن محب».

وبالإضافة إلى الغايات والاستعمالات المادية التي تشغلها، شيدت الهياكل الدائرية أيضاً لتحمل رموزاً حبلى بالمعاني المجردة. ونذكر هنا «معبد السماء» في بكين، الهيكل المخروطي الشكل الذي ينتصب متاخماً للمذبح الرخامي الدائري المتدرج في ثلاثة مستويات، وهو يستخدم للقرابين الإمبراطورية خلال حكم سلالة مينغ وتشينغ. وترمز الدائرة إلى السماء، بينما تحيل الساحة المجاورة لها عن الأرض. كما صمم مبنى القاعة المركزية للبرلمان الهندي في شكل دائري لتجسيد «أشوكا شقرا»، الرمز الهندوسي الذي يمكن ترجمته حرفياً «بعجلة

القانون»، وهو الرمز الذي يتوسط علم البلاد كذلك.

وفي مجال التطبيقات العملية الحديث، اتخذ «مصادم الهدرونات الكبير» «Large Hadron Collider» -أضخم مُعجّل جسيمات قرب الحدود السويسرية الفرنسية- شكل نفقاً دائرياً بطول 16.7 ميل. وفي شكله الدائري هذا يجبر النفق الجسيمات على تغيير اتجاهها باستمرار مع التسارع ثم التصادم بقوة كبيرة بما فيه الكفاية لتحريك أنواع جديدة وسابحة من المادة.

وفي الفضاء الطبيعي، كان الاعتقاد السائد أن وراء وجود المناطق والأشكال الدائرية الكبيرة معنى ثانوياً. فالمحاصيل الدائرية المعقدة، وهي عبارة عن أنماط محيرة أربكت الشعوب لفترة طويلة، قد أطلقت التكهنات بوجود قدرة أو نشاط «خارق» خارج نطاق الأرض، على الرغم من أن أكثر التفسيرات المنطقية تعزي ذلك لأنماط وحركات الرياح والعامل البشري. وفي جانب آخر، تنطوي الدوائر الخرافية في القارة الأفريقية على الكثير من الغموض، في حين تظل المناطق العارية من الأرض والمحاطة بحلقات دائرية من العشب دون تفسير مقنع، مع أن البعض يصفها بأنها «آثار أقدام الآلهة».

وهكذا يبدو أنه حتى بعد آلاف السنين من نجاح الحضارات القديمة عموماً والمصرية والإغريقية بالخصوص في تقدير قيمة الثابت الفيزيائي أو الدائري «باي»، فإن أسرار وخدع الدوائر لا تزال محيرة إلى حد الآن.





بائية أبي تمام في الأندلس

د.أيمن محمد ميدان: مصر

عني الأندلسيون بأبي تمام عناية خاصة، وفتنوا به شاعراً وصاحبَ اختيارات، وقد تعددت مظاهر هذه العناية وتنوعت رواية وتدريساً وشرحاً ومعارضة عيون قصائده.

فقد بلغتهم أشعار أبي تمام في حياته عبر روايات مختلفة، نقل بعضها عنه في أخريات حياته، وعقدوا لأشعاره حلقات شرح وإقراء في مساجد قرطبة وإشبيلية والزهراء وبطليوس وبلنسية وألْمَريَة.. وكانت حلقة الأعلم الشنتمري أكبر حلقة لشرح «الشعرين» شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب المتنبي، دون نظر إلى الشروح المشرقية، تحدوه رغبة صادقة لتقديم قراءة أندلسية خالصة لهما.

ولم تقف عنايتهم عند شعره، بل امتدت إلى حماسته التي لقيت استحسانهم، فراحوا يشرحونها ويقلدونها، فشرحها الأعلم الشنتمري وابن سيدَه وثابت الجرجاني، وصنفوا على نهجها حماسات متعددة، للأعلم الشنتمري والجراوي والبياسي وآخرين.

كانت بائية أبي تمام في فتح عمورية ومدح الخليفة العباسي المعتصم (ت 227هـ) أكثر قصائد أبي تمام حضوراً في الذائقة الأندلسية، ويفتتحها بقوله:

السيف أصدق إنباءً من الكتب
في حَدِّه الحد بين الجدِّ واللعبِ
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في
متونهنَّ جَلاء الشكِّ والرِّيَبِ

فراح المبدعون الأندلسيون كتّاباً وشعراء يوظفونها في أشعارهم ومنثور كلامهم عبر صور مختلفة تجسد إعجابهم بها نصاً وبمبدعها شاعراً، فقال بعضهم:

إذا رقمَ القرطاسَ قلتَ: ابن مقْلَة
وإن نظم الأشعارَ قلتَ: حَبيب

كان لذيوع هذه القصيدة بين الأندلسيين كبير أثر فيما يكتبون، فكانت أبياتها تضمن في حنايا كتب الفتح، فعندما هزم جيش الموحدين أحد ملوك الطوائف «محمد بن هود» في موقعة «وادي ماسة» وقتله، كتب قائد الجيش يهنئ القائد الموحدي عبد المؤمن، مصدراً كتابه بقول أبي تمام: «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 2/111»

فتحٌ تفَتَّح أبواب السماء له
وتبرز الأرض في أثوابها القشب

وقد عارضها ثلة من مبدعي الأندلس معارضة تجسِّد إعجابهم بها، ورغبتهم في الفَوْق الفني، ويأتي في مقدمتهم المعتمد بن عباد الذي عارضه بقوله:

يا سائلَ الشعرِ يجتاب الفلاة به
تزويدك الشعرَ لا يغْني عن السَّغَبِ

ثم يختمها ببيت يشي بمعارضة البائية مضمناً صدر البيت الأول منها، قائلاً:

فهاكها قطعةً طوى لها حَسَداً
«السيف أصدق إنباء من الكتب»

ويعارضها الأصمّ المروانيّ «وقيل: الطليق» بقصيدة تتفق معها محرضاً «فتح جبل طارق» ومادحاً «الخليفة الموحدي عبد المؤمن»، فيقول:

ما للعدى جنَّةٌ أوقى من الهَرَبِ
أين المفر وخيل الله في الطَّلَبِ
لو بدَّلوا قدماً زلت بقادمه
لأصبح الكل طياراً من الرَّعْبِ
وأين يذهب مَنْ في رأس شاهقة
إذا رمته سماء الله بالشّهبِ

ولابن الخطيب الغرناطيّ معارضةٌ لبائية أبي تمام، وإن خالفها غرضاً، فجاءت في الهجاء، حيث هجا فيها خصمه اللدود القاضي أبا الحسن النباهي، قول أبي تمام:

وخوفوا الناس من دهياءَ داهية
إذا بدا الكوكبُ الغربيّ ذو الذَّنَبِ

في تضاعيف هجائيته اللاذعة للنباهي فقال:

لمّا رأيناكَ حققنا الذي وصغوا

للناس من حَدَثان جاءَ في الكتبِ

إذ قال شاعر «طَيٍّ» في قصيدته

وهو المقلَّد في عِلْمٍ وفي أدَبِ

وخَوَّفوا الناسَ من دهياءَ داهية

إذا بدا الكوكب الغربيّ ذو الذَّنَبِ

ولابن أبي الخصال ولع شديد ببائية أبي تمام، حيث ضمنها في منثور كلامه أبياتاً وحَلَّ معقود أبيات، وراح يخمِّس أبياتها، فقال:

الحمد للهِ أضحى الدين معتليا

وبات سيف الهدى الظمآن قد رَويا

إن كنتَ ترتاح للأمر الذي قضيا

فَسَلْه نشراً ودَعْ عنكَ الذي طويا

«فالسيف أصدق إنباءً من الكتبِ»

ويختم مخمسَّه هذا قائلاً:

فتح الفتوح الذي هذي أمارته

وافَتْ بقوريَّةٍ عنه بشارته

وبعدها وَقعةٌ فيها إبارته

يا حبّذا ناطقٌ هذي عبارته

«بالله قلْ وأعِدْ يا أفصحَ العَرَبِ»

مما سبق يتجلى للقارئ أن ثمة حضوراً طاغياً حققه أبو تمام شاعراً وصاحبَ اختيارات في الحياة الأدبية الأندلسية، حيث تعددت مظاهر الحفاوة به، رواية وإقراء وشرحاً ومعارضة وتضميناً وتخميساً.

تعليم المهارات الحياتية

محمد عباس عرابي: مصر

أصبحت المهارات الحياتية ضرورة حتمية لجميع الأفراد في أي مجتمع، فهي من المتطلبات الأساسية التي يحتاج إليها الفرد لكي يتوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ويتعايش معه، حيث إنها تمكنه من التعامل الذكي مع المجتمع، وتساعده على مواجهة المشكلات اليومية، والتفاعل مع مواقف الحياة.

وتعرف المهارات الحياتية بأنها: مجموعة من المهارات المرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها الفرد، وما يتصل بها من معارف وقيم واتجاهات، يتعلمها بصورة مقصودة ومنظمة عن طريق الأنشطة والتطبيقات العملية.

كما تعرف بأنها : مجموعة من السلوكيات التي تعتمد على معارف ومعلومات ومهارات يدوية، واتجاهات وقيم، يحتاج كل فرد إلى إتقانها وفقاً لعمره وطبيعة مجتمعه وموقعه في هذا المجتمع، ليتفاعل بإيجابية وموضوعية مع متغيرات العصر، سواء أكانت معلومات أم مواقف أو مشكلات.

وتُعنى المهارات الحياتية ببناء شخصية الطلاب للتعامل مع مقتضيات الحياة الواقعية الشخصية والاجتماعية والوظيفية، والتفاعل الخلاق مع مشكلات مجتمعه، وتتضمن مهارات التفكير، ومهارات التواصل الاجتماعي، ومهارات العمل اليدوي، واستخدام التقنية.

والمهارات الحياتية كثيرة ومتعددة، منها: التفاعل مع الآخرين، التغذية السليمة، المهارات الغذائية والصحية، ترشيد الاستهلاك، مهارات المواطنة، مهارات الاتصال، مهارات تحقيق الذات، مهارات الوعي الاجتماعي، مهارات الوعي العلمي، مهارات حل المشكلات واتخاذ القرار.. وغيرها.

وإن من الأهمية إكساب الطالب المهارات الحياتية، فهي مستهل تنشئتهم الاجتماعية بشكل يكفل لهم التعامل مع الأحداث والمواقف العديدة والمتنوعة والمتغيرة التي يبوح بها المجتمع، بما يهيئ للجيل الجديد أن يتمرس على التعامل مع الآخرين، ويعيش حياته بشكل أفضل عندما يحسن تعامله مع المواقف وينجح في مواجهة الأحداث، ويكتسب ثقة بنفسه تساعده على الارتقاء بقدراته.

وتؤكد الدراسات التربوية على أهمية المهارات الحياتية في إعداد الطالب للحياة، ومساعدته على التفاعل الناجح والإيجابي مع المواقف والمشكلات اليومية التي تعترضه، وتنمية ثقته بنفسه، وتحمل المسؤولية لديه وإكسابه القدرة على التواصل الفعال مع الآخرين وتطوير ملكاته العقلية المرتبطة بالإبداع والابتكار والاكتشاف وحل المشكلات.

إن تعليم المهارات الحياتية للطالب يركز بشكل كبير على التعليم العملي النشط، فلا يكون تعليم المهارات نظرياً وإلا لما كان اسمها مهارات حيث إن:

- الطالب هو المحور، فتعليم المهارات الحياتية يبنى على احتياجات الطالب.
- يستعمل المعرفة والخبرة لديه.
- يعطي الفرصة للطفل لاكتشاف القيم والمواقف في بيئة آمنه وخاليه من التهديد.
- دور المعلم في تعليم المهارات الحياتية هو «الميسر» وليس المدرس الملقي.
- تعتبر الطرق التعليمية الاكتشافية والتجريبية ولعب الأدوار، وقراءة القصص، ومجموعات العمل أساساً له.

ومن العوامل التي تساعد المعلم على تنمية المهارات الحياتية لدى الطالب ما يلي:

- البحث عن الطرق التي تزيد من إحساس الطالب بالبيئة المحيطة به. وتوفير المصادر والخامات الضرورية لإنتاج وإخراج أفكار الطلاب.
- العروض العملية، حيث يتعلم الطالب الكثير من المهارات الحياتية عن طريقها.
- الاهتمام الواعي بأسئلة الطلاب واقتراحاتهم.
- تنمية التقييم الذاتي لدى الطلاب.
- عدم الحكم السريع على الأفكار التي يقدمها الطلاب.

الإمام محمد عبده رائد التنوير رجل سبق عصره

وليد رمضان: مصر

ظل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده طيلة حياته يكافح من أجل نصرة دينه ووطنه.. حيث وهب حياته وعلمه وماله للعلم والدين الإسلامي ورفعة الوطن، فكانت حياته حافلة بالعمل والكفاح والمثابرة. فقد كان يقرأ ويتعلم ويكتب المقالات، ويلهم الثورة العرابية، وينشر دعوة «العروة الوثقى»، ويدافع عن الإسلام، ويناقش من يهاجمونه، ويشتغل بالقضاء في المحاكم، ويحضر جلسات مجلس شورى القوانين، ويصدر الفتاوى في الشؤون الدينية والاجتماعية، وينشر المقالات الفلسفية، ويراسل علماء المسلمين، ويصادق أفضل العلماء القريبين، وينفق من ماله على الفقراء والمحتاجين، ويفعل ذلك بلا كلل أو ملل طوال حياته «57 عاماً».

جمع الإمام الشيخ محمد عبده بين عدة شخصيات في شخص واحد، حيث تميز بالقدرة على قراءة الأحداث ومعايشتها وتفسيرها. فقد ساند الثورة العرابية رغم عدم الاقتناع بها في البداية، وبسبب هذه المساندة تعرض الإمام للسجن ثم النفي إلى بيروت وباريس، كما كان الإمام مؤرخاً بارعاً استطاع أن يرصد الأحداث التي تعيشها مصر في كتابه «تاريخ الأحداث العرابية» الذي تميز بغزارة المعلومات التاريخية والسياسية، كما كان شاعراً مرهفاً، فله مؤلفات شعرية عن الثورة العرابية وغيرها من الأشعار في مجالات ومناسبات مختلفة. كما كان الإمام مفكراً لا يشق له غبار، وعالماً يملك الكثير من العلم والمعرفة، وكاتباً مرموقاً تمكن بما لديه من علم وثقافة وقدره على الإقناع في الدفاع عن الإسلام ضد مفتريات خصومه وخصوم الإسلام، خصوصاً من المستشرقين، وكان دفاعه بلا تجاوز أو مبالغة، بجانب إجادته اللغة الفرنسية. وقد سافر إلى أوروبا كثيراً من أجل مواجهة هؤلاء الذين يكتبون ما يسيء إلى الإسلام، مما جعل شهرته وأثره الفكري الإصلاحي يصل إلى كل البلاد العربية والإسلامية. حيث كان من أرسخ الكتاب علماً، ومؤرخاً من أصدق المؤرخين، وفيلسوفاً لآيات القرآن الكريم، وحكيماً، وداعياً إسلامياً، وخطيباً مفوهاً.

ولد محمد عبده حسن خيرالله في عام 1849 بقرية محلة نصر بمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة المصرية، لأم مصرية وأب تركماني، وفي عام 1866 التحق بالجامع الأزهر بعد التعلم في طفولته بكتّاب القرية، وفي عام 1877 حصل على الشهادة العالمية، وبعد عامين عمل مدرساً للتاريخ بمدرسة دار العلوم، ثم قام بتأسيس مدرسة عظيمة في تجديد الفكر الإسلامي، تعتمد هذه المدرسة على الاجتهاد العقلي، وتدعو إلى التصدي للجهل والتخلف والجمود، كما تدعو للعمل على رفعة شأن الوطن، ورفعة الدين الإسلامي. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف ناضل الإمام محمد عبده من أجل بناء حضارة دينه، وإصلاح أوضاع وطنه، وظهر ذلك من خلال كتبه ورسائله وحماسه اللامحدود في تناول كل قضايا الوطن والدين الإسلامي، بجانب براعته في تفسير الدين الإسلامي.

تأثر الإمام محمد عبده في بداياته بخاله الشيخ درويش، وكان التأثر الأكبر بأستاذه جمال الدين الأفغاني (1838-1897)، حيث أصدر معه صحيفة (العروة الوثقى) من باريس، وفيها كتب الإمام محمد عبده عدداً من المقالات الرائعة، تناول خلالها القضايا التي تتناول العلاقة بين الشرق والغرب.

يقول الدكتور محمد عمارة الذي تناول ونشر الأعمال الكاملة للإمام: هناك ثلاثة رجال قاموا بقيادة مسيرة النهضة والبعث والإحياء التي بدأتها شعوب الشرق في القرن الـ19، هؤلاء هم: رفاعة الطهطاوي (1801-1873) وجمال الدين الأفغاني (1838-1897) والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده؛ والأخير منذ شبابه اهتم بالعلوم الدينية والفلسفية، مما كان له أثر عظيم على فلسفته القائمة على العلم، والنظر إلى العقل، ورفض أن يسير على خطى أقرانه من الطبقة الوسطى، وعمل على تحرير الفكر من قيد التقليد، وإصلاح أساليب اللغة العربية. وقال الإمام إنه إذا كان للحكومة حق الطاعة على الشعب فللشعب حق العدالة على الحكومة، ورأى أن إصلاح الأزهر الشريف إصلاحاً لحال المسلمين، وكذلك إدخال العلوم الحديثة ضمن المواد التي يتم تدريسها، كما قدم الإمام الكثير من المساعدات المالية والإنسانية لطلاب الأزهر الشريف، وتجديد المكتبة الخاصة، وتدريس العلوم الحديثة.

في عام 1889 عاد الإمام محمد عبده إلى مصر، بعد صدور عفو ملكي من الخديوي توفيق (1830-1895) بعد وساطة الزعيم سعد زغلول التلميذ النجيب للإمام (1859-1927)، وبعد عودته إلى مصر تم تعيين الإمام محمد عبده قاضياً بمحكمة الزقازيق، ومنها لمحكمة عابدين بالقاهرة، ثم ارتقى إلى منصب مستشار بمحكمة الاستئناف عام 1891، وفي 3-6-1899 عين في منصب مفتي الديار المصرية، وأصبح عضواً بمجلس الأوقاف الأعلى، وفي 25-6-1899 عين عضواً في مجلس القوانين، وفي العام التالي أسس «جمعية إحياء العلوم العربية لنشر المخطوطات»، كما زار العديد من الدول الأوروبية والعربية، وأصدر خلال وجوده بمنصب المفتي 944 فتوى في كافة شؤون الدين والحياة. وتوفي الأستاذ الإمام محمد عبده في يوم 11-7-1905 بالإسكندرية، بعد معاناة مع مرض السرطان عن عمر يناهز 57 عاماً.



ثقافة الصحراء وصحراء الثقافة

حامد أحمد عبدالمجيد: مصر

في سياحة رائعة عبر الوهاد والجبال والأشجار والنخيل والجمع بين الأضداد والمزج الرائع بين الكتابة والصحراء طاف بنا الأستاذ محمد رمصيص من خلال مقالته (الصحراء والكتابة) بالعدد (470) من (المجلة العربية) الغراء داخل دهاليز الصحراء وأسرار الكتابة والمشترك بينهما بوصفهما -الصحراء والكتابة- سفر نحو المجهول ومتعة اكتشاف الغامض والملتبس داخل كل منهما وأوجه الشبه المتطابقة بينهما وبين الثقافة بشكل عام والتي تعد الكتابة أحد روافدها المكينة وحاجتنا أيضاً إلى قراءة «ثقافة الصحراء» قراءة جديدة في ضوء هذه العلاقة لما لهذه الثقافة من ثراء وتنوع وأصول وتقاليد قامت على قواعدها الثقافة العربية بشكل عام لكن للأسف هذه الثقافة لا تعجب البعض ممن يسمون أنفسهم بالتنويريين في بلادنا فلك أن تقرأ في أدبيات البعض منهم من يثير الغبار على هذا المصطلح ويحاولون تشويهه في الإدراك العام وتحميله الكثير من السلبيات بل وانتقاصه وكأنه سبة بدعوى أن هذه الثقافة لا تصلح إلا للصحراء فقط ومن يعيشون فيها ومن ثم فهي في نظرهم ثقافة بدائية لا تصلح لمجتمع مدني عصري كمجتمعنا الآن بل ويعتبرونها معوقاً حضارياً لنا والواقع أن هذا التشويه المتعمد والتسفيه لهذا المصطلح من جانب هؤلاء يأتي في معرض هجومهم على التيار المخالف لهم الذي يتبنى العودة إلى قيم هذه الثقافة التي أنتجت لنا كنوزاً مازلنا ننهل منها فيستبيحون في سبيل ذلك الحقائق. إن صحراء الجزيرة العربية على سبيل المثال هي الوعاء الذي خرج منه الإسلام ليشع على العالم بنوره ومن ثم فإنهم بموقفهم هذا يتنكرون لكل القيم التي قامت عليها ثقافتنا العربية والإسلامية مع أنهم أول من يدركون أن الثقافة العربية بكل تجلياتها وإبداعاتها نشأت في حضن هذه الصحراء في مسارات إبداع هذه النخبة من الكتاب والشعراء وما أنتجوه من تراث زاخر وحافل في كافة مجالات الفكر والأدب والعلم والفلسفة وغيرها من الفنون القولية والشفاهية وأنشأوا ديوان العرب من خلال مفردات هذه الصحراء وما أشار إليه الأستاذ محمد رمصيص ملمح بسيط، وغيض من فيض من تجليات هذه الثقافة وتأثيرها فهي في الحقيقة الأصل لكل ثقافه أخرى وهي عماد لها كما يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته (إن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها) ومما له دلالة أن العرب قديماً كانوا يرسلون أبناءهم إلى البادية وسط الصحراء ليتنشأوا وسط هذه البيئة النقية وبين القبائل العربية الأصيلة لإتقان وتعلم العربية برونقها وجزالة ألفاظها من مضانها ونبعها الصافي والتأدب بآدابها.

بين دكتوراه ودكتوراه



ياسر عرفة توفيق: مصر

حسناً فعلت المجلة العربية بطرحها موضوع الدكتوراه الوهمية ملفاً لعددها 471، وهو موضوع ملموس عربياً في ظل الصراع المحموم على نيل ألقاب الوجاهة الاجتماعية، واستكمالاً لخطوات شغل مكان ليس له تمثل فيه الدكتوراه عتبة كبيرة من العتبات.

المتتبع لرحلات كفاح الأوائل الذين حازوا الدكتوراه من الرواد العرب الأوائل يتصفح أولاً قصص كفاح سطرت بجهد السنوات الثقال لنيل هذه الشهادة، هذه القصص ذاتها تصلح لأن تكون موضوعات لرسائل دكتوراه للمعاصرين فضلاً عن القيمة العلمية لهذه الرسائل التي تتجدد وتزداد أهميتها بمرور الوقت حتى أنك عندما تذكر هؤلاء الأعلام يندفع إلى ذهنك بقوة موضوعات رسائل الدكتوراه التي حازوها وصاروا فيها أعلاماً وقد ارتبطت بهم ارتباطاً وثيقاً، على سبيل المثال كانت رسالة الدكتوراه الأولى للدكتور طه حسين سنة 1914 عن «ذكرى أبي العلاء» وتوالت السنون حتى كان هو المشرف على رسالة الدكتوراه المقدمة من عائشة عبد الرحمن -بنت الشاطئ- عام 1950م وكانت في تحقيق «رسالة الغفران» للمعري وكم أضاف كل منهما فلا يسع أي باحث أو دارس يتناول أبا العلاء المعري دونما أن يمر بما أثريا عن أبي العلاء المعري، وهذا على سبيل المثال والأمثلة في هذا المجال ومن هذا النوع كثيرة.

لذا إذا بحثت عن إسهامات هؤلاء الوهميين -وهو ما برعت المجلة العربية في إطلاقه عليهم- لوجدته لا يذكر وليس لهم أثر بل يذكرهم طلابهم ومن تعامل معهم بسوء فعالهم فليس لمثل هؤلاء أثر، وهل للوهم أثر؟!

هذا ليس على سبيل التعميم على كل المعاصرين في هذا المجال بل هؤلاء الوهميون هم شواذ القاعدة، ولكنهم شواذ فيهم من السوء ما شنّع بأفعالهم.



الظاهري
شخصية العام الثقافية

المجلة العربية: الرياض

احتفى المهرجان الوطني للتراث والثقافة «الجنادرية» في دورته الـ 30 لهذا العام بالعلامة الموسوعي الشيخ محمد بن عمر بن عبدالرحمن العقيل، المشتهر بـ(أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري) بوصفه شخصية العام الثقافية.

وسلم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز يحفظه الله وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى للشيخ الظاهري تقديراً لما قدمه من علم وعمل وتعلم وتعليم ومنهج ونهج معرفي موسوعي كبير، وذلك خلال حفل الافتتاح عشية الأربعاء 24/ 4/ 1437هـ وسط حضور ثقافي وإعلامي واسع.

والأديب الشيخ ابن عقيل الظاهري ولد عام 1357هـ بمدينة شقراء، وهو عالم جليل تخصص في علوم القرآن وتفسيره، وهو حاصل على درجة الماجستير، كما أنه عالم بالأحاديث النبوية صحيحها وضعيفها وفقيه وأصولي وأديب ومتقن لعلم الكلام والفلسفة، كما اشتهر باهتمامه بكتب الإمام علي بن حزم الأندلسي تحقيقاً وترجمة لابن حزم نفسه، كما أسهم ردحاً من الزمن ببرامج يومية في الإذاعات السعودية وبرامج أسبوعية بالتلفاز، ثم توقف إلا من بعض المقابلات التلفازية في السعودية وغيرها. أما الصحافة فحضوره عبرها منذ عام 1379هـ، ولا يزال في هذه المسيرة بنشاط منقطع النظير.

طبع الشيخ ما يقرب من مئتي مؤلف في اللغة والأدب والفلسفة والفن وعلوم الشريعة والتاريخ، بعضها تأليف وبعضها تحقيق، وأهم مؤلفاته لم يطبع، وما طبع معظمه نافد. ومن بين أهم مؤلفاته: (من أحكام الديانة)، و(تخريج بعض المسائل على مذهب الأصحاب)، و(شيء من التباريح)، و(تباريح التباريح)، و(تخريج حديث: لا صلاة لمنفرد خلف الصف)، و(تحقيق بعض المشكل من حديث: الصيام جُنة)، و(كيف يموت العشاق)، و(نظرية المعرفة)، و(المرأة وذئاب تخنق ولا تأكل)، و(الإمتاع بنَسْق الذخائر عن بَشْق المسافر وأي أيام الأسبوع هو الآخِر؟)، و(يا ساهر البرق لأبي علاء المعري.. تحليل وتفسير)، و(عبقرية ابن حزم)، و(ابن حزم خلال ألف عام).



بأكثر من 200 عنوان

المجلة العربية في معرض القاهرة للكتاب

المجلة العربية: الرياض

امتداداً لمشاركاتها في معارض الكتاب الدولية؛ تشارك المجلة العربية ضمن أكثر من 900 دار نشر عربية ودولية في معرض القاهرة الدولي للكتاب 2016م، في دورته الـ(47) التي انطلقت في 27 يناير.

وبين رئيس تحرير المجلة العربية الأستاذ محمد السيف أن المجلة تشارك عبر جناح خاص في مقر المعرض، بأكثر من 200 عنوان، لمؤلفين ومؤلفات وباحثين من مختلف أقطار الوطن العربي، إضافة إلى عدد كبير من الكتب المترجمة، وفق معيار خاص فيما يتعلق باختيار العناوين والمجالات والحقول التأليفية، مراوحة فيها بين الثقافي والعلمي، بما يعزز حضور الفعل المعرفي بصورة شاملة.

وكشف السيف عن نفاد جملة من الكتب والعناوين التي عرضتها المجلة في جناحها خلال الأيام الأربعة الأولى، مؤكداً أن المجلة حرصت على أن تجعل مؤلفاتها وكتبها في متناول أيدي الناس من خلال أسعار تكاد تكون رمزية في معظمها، وذلك انطلاقاً من الغاية التثقيفية والتنويرية التي تهدف إليها.

وأوضح السيف أن مشروع النشر الموازي الذي تتبناه المجلة تتبلور فكرته في إصدار الكتب والمؤلفات والترجمات والأبحاث إلى جانب إنتاج أعداد المجلة شهرياً، متضمنة كتاب الإهداء المصاحب لها. إضافة إلى سلسلة (الثقافة العلمية للجميع) التي تصدرها المجلة بالتعاون مع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

وأشار السيف إلى استعدادات المجلة العربية للمشاركة في معرض الرياض الدولي للكتاب 2016م بحصيلة خاصة ومميزة من الكتب؛ نظراً لما يتميز به معرض الرياض من إقبال كبير وتفاعل واسع، الأمر الذي يجعله في صدارة معارض الكتب العربية، وبالتالي حرص الناشرين على حضور معرض الرياض والمشاركة فيه.

الموائد الثقافية

حتى نلتقي

محمد الجلواح: الأحساء



أجزم أن أغلب الكُتّاب والأدباء والمثقفين والإعلاميين والمؤسسات الثقافية في معظم دول مجلس التعاون الخليجي يتلقون أو يبتاعون عدداً من المطبوعات العربية "الدسمة" مع بزوغها كل شهر، أو كل شهرين أو كل فصل، التي تشكل كل واحدة منها "مائدة" أرضية، زاخرة بما لذ وطاب من المواد والموضوعات الأدبية والثقافية والفنية والأبحاث والنقد والإبداع بمختلف وجوهه.

وقبل الاسترسال في هذا الموضوع، أود إعادة التأكيد على أن المادة الورقية مازالت بخير كثير ولله الحمد رغم مزاحمة ومداهمة الوسائط "التكنولوجية" لتحل محلها.

وحتى لا يشطّ بنا الحديث في هذا الموضوع المكرور فسنكتفي بمثال واقعي وعملي يجسد ما نذهب إليه، وهو هذا الإقبال الكثيف على معارض الكتب طيلة أيامها، وارتيادها من قبل الشباب والفتيان بالذات "وهم الشريحة التي تتعامل بشكل مباشر مع وسائط التقنية أكثر من غيرها".

والغريب الذي قد لا يصدقه القراء الكرام أنني شاهدت بعض الأجنحة التي تبيع الوسائط الفنية والتقنية ومنتجاتها "كأقراص المعلومات"، وغيرها ليس عليها ذلك الإقبال الذي لاحظته على الأجنحة التي تعرض الكتاب الورقي!

ونعود لموضوع الموائد الثقافية الشهرية، فحين تأتي أي مطبوعة.. تجد نفسك ترفل بثوب الفرحة، وتهرول لتخلو بنفسك معها، لتنعم من خيراتها وثمارها وألوانها.. ولعل من أبرز الموائد الثقافية المحلية والخليجية.. الشهرية والفصلية التي تقدم غذاءها الفكري للقارئ أينما كان:

من ذلك المجلة العربية التي تصدر في المملكة العربية السعودية، وتمتاز بمواد صحفية وموضوعات متنوعة وأطروحات، وقضية العدد وملفات معاصرة، ويصدر معها كتاب شهري ذو موضوعات مختلفة، إلى جانب سلسلة من الكتب الثقافية تصدر بشكل منفصل عن العدد الشهري للمجلة، أما مجلة الفيصل فتصدر كل شهرين هجريين عن مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالرياض، وهي مجلة رصينة رزينة، ذات طابع بحثي وثقافي واستطلاعي، وبمواد معرفية منوعة.

ومن المجلات القافلة وهي مجلة عريقة تصدرها شركة أرامكو السعودية كل شهرين ميلاديين، وكان اسمها "قافلة الزيت"، وتزخر بموضوعات علمية وصحية وفنية وثقافية بالإضافة إلى ملف صحفي غزير في آخر المجلة يتناول موضوعاً أو مفردة ذات دلالة معرفية، تخصص له المجلة "ملزمة" ورقية، والملزمة تتكون في الغالب من 6 إلى 10 ورقات، وتوزعها الشركة مجاناً لطالبيها.

مجلة مشابهة وهي الخفجي التي تصدرها شركة عمليات الخفجي المشتركة كل شهرين، تتضمن وجبة معرفية متنوعة دسمة، ويقترب خطها من خط مجلة القافلة، وكنا نقرأها منذ أيام الابتدائية، وآخر عدد صدر منها "رمضان/ شوال 1436هـ، يوليو/ أغسطس/2015م".. يحمل سمة عمرها: السنة الخامسة والأربعون، وأحسب أن هذا العمر يشاركها فيه أغلب المجلات الثقافية المذكورة بزيادة أو نقص طفيف في عدد الأعوام.

وفي الكويت تجيب العربي الكويتية بثبات واستمرار صدورها الشهري على التساؤل القائم الذي يطرحه الكثير من الناس حين تُذْكَر العربي: هل مازالت تصدر؟، بجانبها مجلة الكويت وهي شهرية إعلامية تصدرها وزارة الإعلام الكويتية، وتطرح موضوعات ثقافية وإبداعية متنوعة وخفيفة.

أما الدوحة فهي المجلة الثقافية الرسمية لدولة قطر، تصدرها وزارة الثقافة والفنون والتراث ويصدر معها كتاب ثقافي وأدبي من التراث ومن الإبداعات الحديثة.

والثقافة الشعبية إحدى المجلات المحكمة التي تصدرها وزارة الثقافة البحرينية ومعها بعض الكتيبات والأبحاث التراثية والفولكلورية، وملحق باللغة الإنجليزية.



عبدالرحمن الرويشد - مؤرخ سعودي

المجلة العربية

منشورات
العربي







